تفسير ابن كمال باشا لسورة الأنعام
دراسة وتحقيق

إعداد
مندوح يلدرم

المشراف
الدكتور ياسين عايش

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

كانون الثاني، ٢٠١١

الجامعة الأردنية

نموذج التفويض

أنا ممدوح يلدرم، أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي/أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات الأشخاص عن طلبها.

التوقيع

التاريخ: ٥ / ١ / ٢٠١٢

الجامعة الأردنيــة
كلية الدراسات العليا

التاريـــخ: / /

نموذج رقم (١٨)
اقرار والتزام بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها لطلبة الماجستير

أنا الطالب: منذوح بلدرم الرقم الجامعي: ٨٠٨١٠٦٥
التخصص: اللغة العربية الكلية: الآداب

اعلن بأنني قد التزمت بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة باعداد رسائل الماجستير والدكتوراة عندما قمت شخصيا" باعداد رسالتي / اطروحتي بعنوان: (تفسير ابن كمال باشا لسورة الأنعام، دراسة وتحقيق)

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية. كما أنني أعلن بأن رسالتي /اطروحتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة اعلامية، وتأسيسا" على ما تقدم فانني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في الجامعة الأردنية بالغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب: .... التاريخ: ٥ / ١ / ٢٠١٢م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة وعنوانها **(تفسير ابن كمال باشا لسورة الأنعام - دراسة وتحقيق)** وأجيزت بتاريخ ٢٠١١/١٢/٢١م

أعضاء لجنة المناقشة	**التوقيع**
الدكتور ياسين عايش خليل، مشرفاً أستاذ مشارك - الأدب العباسي	....
الدكتور إسماعيل أحمد عمايرة، عضواً أستاذ اللغويات	....
الدكتور إبراهيم محمود خليل، عضواً أستاذ مشارك - اللغة والنقد	....
الدكتور سالم مرعي الهدروسي، عضواً أستاذ مشارك - الأدب العباسي	....

(جامعة اليرموك)

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، حتى أفصح وبان، وتفرّق عن سائر الخلق بالبيان. والصلاة والسلام على سيدّنا محمد خير من نطق بالضاد، وهدى بهدايته العباد، وألجم بفصاحته أهل العناد، وكشف بحجته سبل السداد.

أصدّر رسالتي هذه بتقديم الشكر الجزيل بين أيدي أساتذتي الكرام، الذين أعطّر هذه الصفحات بتحبير أسمائهم عليها، فأتقدم بالشكر الجزيل أولا للدكتور ياسين عايش خليل، على ما شرّفني به من قبول الإشراف على الرسالة في المقام الأول، وعلى ما بذله من جهدٍ عظيم، ووقت ثمين، ولما قدمه لي من نصح قويم، وقدم من توجيهات وتعليقات وإرشادات، فلم يبخل علي بشيء منها، كما أشكره على سعة صدره، وحلمه المنقطع النظير خلال مراحل البحث ودروبه الوعرة الطويلة.

كما أشكر من أعماق قلبي الأساتذة الكرام:

أ.د. إسماعيل أحمد عمايرة

د. إبراهيم محمود خليل

د. ساليم مرعي الهدروسي

لتكرمهم بالموافقة على المشاركة في مناقشة رسالتي هذه، وأسأل الله لهم دوام الصحة والسداد.

وأود أن أهتبل هذه الفرصة للتعبير عن شكري لأساتذتي الكرام بكليّة الآداب في الجامعة الأردنية، الذين اغترفت من علمهم الغزير، وأدبهم الجمّ طوال هذه السنوات. وأشكر جميع زملائي من طلبة الجامعة الأردنية من شتّى الكليات، الذين أفدت منهم الكثير، وأنا أتعلم العربية وأمارس الكلام بها. كما أشكر الجامعة الأردنيّة، تلك الأمّ الحنون التي احتضنتني وأنا ضيف عليها حتى أضحيت أشعر بأني ابنٌ من أبنائها، وأنّ لها عليّ حقّ الوفاء، فأسأل الله أن يقدّرني على ذلك.

فهرس المحتويات

تفسير ابن كمال باشا لسورة الأنعام، دراسة وتحقيق

إعداد

مندوح يلدرم

المشرف

الدكتور ياسين عايش

الملخص

تقوم هذه الرسالة على تحقيق سورة الأنعام من تفسير ابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠ هـ. وتتألف من فصلين:

الفصل الأول: درست فيه باختصار حياة المؤلف، وبينت جهوده في التفسير، ثم بينت قيمة تفسيره للقرآن الكريم، ومنهجه فيه. كما وصفت المخطوطات التي اعتمدتْ في التحقيق، كما وصفت منهجي في التحقيق وأجريت دراسة مختصرة لتفسير ابن كمال باشا لسورة الأنعام.

الفصل الثاني: حققت فيه تفسير سورة الأنعام من تفسير ابن كمال باشا، واعتمدت في هذا التحقيق على ثلاث صور لثلاث نسخ خطية موجودة في مكتبة السليمانية في إسطنبول.

وقد ألحقت بالدراسة والتحقيق فهارس عامة تضمنت فهارس للآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والأشعار، والأعلام، وفهرس الأماكن والمدن والفرق والقبائل.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمن فضل الله ومنته أن يسر لي الاشتغال بتحقيق تفسيرسورة من سور كتابه العزيز،هي سورة الأنعام، ومفسرها هو ابن كمال باشا، وهو مفسر عثماني من القرن العاشر الهجري، وقد كان اختياري للتحقيق مشروعا لرسالة ماجستير، لإيماني بأن في التحقيق فائدة جليلة، إذ تأخذ بيدي إلى التراث العربي الإسلامي الأصيل، وتوقفني على معارف كثيرة لغوية، ونحوية، ودلالية، ومعجمية، أرى أني بحاجة ماسة إليها، لأن لساني صار عربيا بالتعلم والممارسة، وآمل أن يكون مشروعي هذا عاملا في توطيد معرفتي بلغة القرآن الكريم من خلال الوقوف على كتاب من كتب التفسير، هو تفسير ابن كمال باشا. كما أن العمل المباشر في استخدام المصادر والمراجع يعرف الباحث بمفاتيح هذه المصادر، وبكيفية التعامل معها، بالإضافة إلى أن التحقيق يصقل شخصية الباحث، ويثري معارفه المختلفة.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالمصنف؛ ابن كمال باشا، اسمه، ومولده، ومنزلته العلمية، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، ومذهبه الفقهي، والتعرف أيضا إلى منهجه وطريقته في التفسير على ضوء انفتاحه في تفسيره على كتب ومناهج مفسرين كثيرين.

وقد سبق هذا الجهد الذي أقوم به جهد آخر، قام به طائفة من طلبة الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، عني فيه أصحابه بتحقيق مجموعة من سور القرآن الكريم التي فسرها المؤلف ابن كمال باشا وهي: تحقيق ودراسة سورتي آل عمران والنساء من تفسير ابن كمال باشا لـــ "أمل إسماعيل صالح يوسف"، و تفسير ابن كمال باشا: دراسة وتحقيق من خلال سورتي التوبة ويونس لـــ "تحسين أحمد محمد أحمد"، و تفسير ابن كمال باشا: دراسة وتحقيق من خلال سور هود، ويوسف، والرعد لـــ "أنور محمد أربا، و تفسير ابن كمال باشا: دراسة وتحقيق من خلال سور إبراهيم، والحجر، والنحل، والإسراء لـــ"تغريد عبد الفتاح محمد تاي"، وتفسير ابن كمال باشا: دراسة وتحقيق من خلال السور: الكهف ومريم وطه لـــ "سعاد إبراهيم محمد عريقات"، وتفسير ابن كمال باشا: دراسة وتحقيق من خلال سور: الفرقان، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم لـــ "محمد عبد الحليم محمود قطيشات، وتفسير ابن كمال باشا: دراسة وتحقيق من خلال

سور: لقمان، والسجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس، والصافات لـ "غالب عبد الله عثمان أحمد.
وقد حاولت أن تكون دراستي مستكملة لعناصر البحث العلمي، وأن تحقق الأهداف المرجوة منها.
وقد اعتمدت في التحقيق على ثلاث صور لثلاث نسخ من المخطوط الموجود في مكتبة السليمانية بإسطنبول. ورمزت لأقدم صور هذا المخطوط بالرمز أ، واعتبرته أصلا للتحقيق، ورمزت للصورة الثانية بالرمز ب، ورمزت للصورة الثالثة بالرمز ج، وكنت أقابل باستمرار بين صورة نسخة الأصل أ و صورتي النسختين الأخريين، كما كنت أقابل بين ما ورد في هذه الصور مع مصادر أخرى في التفسير واللغة والنحو والقراءات، زيادة في التثبت والتحري والتدقيق.
وجعلت دراستي هذه في فصلين وخاتمة:

الفصل الأول: و ينقسم إلى قسمين؛ الأول عنيت فيه بدراسة حياة المؤلف: اسمه ومولده ونسبه، ونشأته ومنزلته العلمية، وشيوخه، وتلاميذه، ومذهبه الفقهي، ووفاته.

أما القسم الثاني فعنيت فيه بدراسة الكتاب، وإثبات نسبته إلى مؤلفه، ووصف نسخ المخطوطات، ومصادره في التفسير، وطريقة المؤلف في تفسيره، وقيمة الكتاب العلمية، ومنهجي في التحقيق.

الفصل الثاني:
هو التحقيق والدراسة، وتلخيص منهجي في ذلك، وهو قائم على المقابلة بين مصورات نسخ المخطوطات الثلاث التي اعتمدت، وإثبات الفروق بينها، وتخريج الآيات الكريمة الواردة في متن التفسير، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة أيضا، وكذلك تخريج الأشعار بردها إلى مصادرها، وتوثيق القراءات القرآنية التي أفاد منها ابن كمال باشا، وترجمة الأعلام المغمورين. ثم ختمت الدراسة بفهارس شاملة للآيات، والأحاديث، والأشعار، والأعلام، والمصادر والمراجع.
وتضمنت الخاتمة نتائج البحث.

وبعد:

فهذا عملي الذي بذلت فيه خلاصة جهدي، وغاية اجتهادي، راجيا المولى عز وجل أن يكون مستوفيًا للشروط العلمية، ومحققًا لها، إلا أن البشر يتصفون بالنقص، فالكمال لله وحده، فما كان في هذا الجهد من صواب فهو من ربي، وما كان فيها من خطأ فهو من تقصيري وقصوري.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

القسم الأول: حياة ابن كمال باشا

١. اسمه ونسبه

٢. مولده ونشأته

٣. منزلته العلمية

٤. شيوخه

٥. تلاميذه

٦. مؤلفاته

٧. مذهبه الفقهي

٨. وفاته

القسم الثاني: دراسة الكتاب:

١. نسبة الكتاب إلى مؤلفه

٢. وصف نسخ المخطوط

٣. مصادره في التفسير

٤. طريقة المؤلف في التفسير

٥. قيمة الكتاب العلمية

٦. منهجي في التحقيق

القسم الأول:

حياة ابن كمال باشا

١. اسمه ونسبه:

هو الإمام، العلامة، شهاب الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا[١]، اشتهر بابن كمال باشا نسبة لجده كمال باشا، الذي كان من أمراء الدولة العثمانية، كما عرف واشتهر بمفتي الثقلين، ومفتي الأنام، وشيخ الإسلام، وعالم الروم، وأحمد شمس الدين الرومي وإلخ ... لسعة اطلاعه بالمسائل الشرعية والعلوم الدينية[٢].

٢. مولده ونشأته:

ولد ابن كمال باشا في سنة ٨٧٣ هـ ــ ١٤٦٨م[٣]. وقد اختلفت المصادر في مكان ولادته. فمعظم المصادر ذهبت إلى أنه ولد في مدينة توقات[٤] ، ويرى البعض أن مولده كان بمدينة

---

(١) انظر في ترجمته: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، طاشكبري زاده، ت ٩٦٨هـ ، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٥، ص: ٢٢٦ ، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري، ت١٠٠٥ هـ، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار الرفاعي: ٤٠٩/١ ، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد للغزي، ١٠٦١ هـ، دار الكتب العلمية :١٠٨/٢ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ١/ ٢٣٨ ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد البغدادي، ت ، ١٣٣٩، مكتبة المثنى، ١٩٥٥، بيروت: ١/ ١٤١ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي، ت ١٠٨٩ هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر غطا، دار الكتب العلمية : ٨/ ٢٣٨ ، عثمانلي مؤلفلري (بالتركية) لمحمد طاهر بورسلي: ١/ ٢٢٣ ، كشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٢٨٣ ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عبد الحي الكنوي، ت ١٣٠٢هـ، مكتبة ندوة المعارف، الهند، ١٩٦٧، ص:٢١ ، الأعلام للزركلي: ١/ ١٣٣ ، ابن كمال باشا وآراؤه الإعتقادية لسيد حسن سيد باغجوان: ٤٠ .
İslam Ansiklopedisi (الموسوعة الإسلامية بالتركية):٦:٥٦١, İbn-i Kemal,Hayatı,Tefsire Dair Eserleri ve Tefsirindeki Metodlar;**Mustafa Kılıç**:١, Türk Dünyası edebiyatçıları ansiklopedisi. -Ankara: AYK Atatürk Kültür Merkezi,٢٠٠٢, c:١ ,sayfa ١٤٧.

(٢) İbn-i Kemal,Hayatı,Tefsire Dair Eserleri ve Tefsirindeki Metodlar;Mustafa Kılıç: ١-٢ .

(٣) İslam Ansiklopedisi (الموسوعة الإسلامية بالتركية):٢٥:٢٣٨

(٤) تقع هذه المدينة في شمال شرق تركيا.

أدرنه[١]، وهناك من ذهبوا إلى أن ابن كمال باشا ولد في مدينة آماصيا[٢]، وقيل إنه ولد في طوبقابي. إلا أننا نرى أن المؤرخ التركي شرف الدين توران يقول: إن الذين أشاروا إلى مدينة توقات أو مدينة أخرى قد اعتمدوا على ما ورد في "سلم الوصول" لكاتب جلبي، و "التذكرة" للطيفي، وما اعتمدوا عليه ليس بقطعي[٣]. ويبدو أن قول شرف الدين توران أصحّ وأنسب، لأننا لا نجد أي دليل يشير إلى أن ابن كمال باشا انتقل من مدينة توقات إلى المدينة التي نشأ فيها، وترعرع، وهي مدينة أدرنه.

نشأ ابن كمال باشا في بيت عز ودلال، إذ كان والده سليمان بن كمال باشا من قادة جيوش الدولة العثمانية، ويقال إنه اشترك في فتح القسطنطينية، إلا أن شرف الدين توران يرى بأن هذا الخبر غير مؤكد بالأدلة. وقد عُيّن محافظا لمدينة آماصيا في سنة ٨٧٩هـ /١٤٧٨م، وسنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م وواليًا لولاية توقات، وبعد ذلك عاد إلى إسطنبول، وتوفي فيها، ودفن إلى جانب قبر أبيه[٤]. وكان جده كمال باشا من أمراء الدولة في عهد السلطان محمد الفاتح (١٤٨١)، وكان ذا حظوة لدى سلاطينها، وكان مربيًا لبايزيد الثاني (١٥١٢)، وبهذا حصل على لقب باشا[٥].

أما أمه فهي تنتمي إلى أسرة علمية، فهي بنت المولى الفاضل محيي الدين محمد الشهير بابن كُوبلَي (ت ٨٧٤هـ)، وهو من أشهر العلماء في عهد السلطان محمد الفاتح[٦].

فهو إذا ينتمي إلى أسرة عسكرية مشهورة من قبل أبيه، وإلى أسرة علمية عريقة من قبل أمه. وأخذ التربية العسكرية والعلمية في صباه. واشتغل بالعلم وهو شاب، ثم ألحقوه بالعسكر. ولما رأى توقير الأمراء والقادة وأصحاب السلطنة للعلماء، وتقديمهم لهم في مجالسهم، دعاه ذلك إلى طلب العلم، وقرر أن يسلك طريقه، وينهج نهج أهله، لعله يحظى بالمنزلة التي نالها العلماء. وحدثت حادثة في مدينة "فليبه" أثّرت في نفسه، فانتقل على إثرها من صفوف الجيش إلى صفوف العلماء.

ويقصّ علينا ابن كمال باشا قصة تحوله من صفوف العساكر إلى صفوف العلماء، فيقول عن نفسه: إنه كان مع السلطان بايزيد خان في سفر، وكان وزيره وقتئذٍ إبراهيم باشا ابن خليل باشا،

---

(١) تقع هذه المدينة في القسم الأوروبي من أراضي تركيا، وكانت عاصمة الدولة العثمانية بعد مدينة بورصه ، وهي تبعد عن مدينة اسطنبول ٢٢٧ كم. انظر: İslam Ansiklopedisi (الموسوعة الإسلامية بالتركية):١٠:٤٢٥ .

(٢) مدينة تركية تقع في شمال الأناضول، إلى جانب مدينة توقات. . انظر الموسوعة الإسلامية بالتركية: ٣/١.

(٣) انظر تفسير ابن كمال باشا: دراسة وتحقيق من خلال سور هود ويوسف والرعد؛ لأنور محمد أربا، ص ٦.

(٤) İslam Ansiklopedisi (الموسوعة الإسلامية بالتركية) ٢٥ /٢٣٩

İbn-i Kemal,Hayatı,Tefsire Dair Eserleri ve Tefsirindeki Metodlar; **Mustafa Kılıç**:٣

(٥) İslam Ansiklopedisi (الموسوعة الإسلامية بالتركية) ٢٥\٢٣٩

(٦) المصدر السابق.

وكان في ذلك الزمان أميرًا ليس في الأمراء أعظم منه، يقال له: أحمد بيك بن أورنوس. قال: فكنت واقفًا على قدمَيْ قدام الوزير، وعنده هذا الأمير المذكور جالسًا، إذ جاء رجل من العلماء رثّ الهيئة، رثّ اللباس، فجلس فوق الأمير المذكور، ولم يمنعه أحد من ذلك، فتحيرتُ في ذلك الأمر، وقلتُ لبعض رفقائي: من هذا الذي تصدّر على مثل هذا الأمير؟ قال: هو رجل عالم مدرّس يقال له: المولى لطفي. قلتُ كم وظيفته؟ قال ثلاثون درهمًا. قلت: فكيف يتصدّر على هذا الأمير ووظيفته على هذا القدر؟ فقال رفيقي: العلماء معظّمون لعلمهم، فإنه لو تأخّر، لم يرض بذلك الأمير، ولا الوزير. قال: فتفكّرتُ في نفسي، فقلت إني لا أبلغ رتبة الأمير المذكور في الإمارة، وأني لو اشتغلت بالعلم، يمكن أن أبلغ رتبة هذا العالم، فنويتُ أن أشتغل بالعلم الشريف[١].

وقد غيرت هذه الحادثة في مجرى حياته جذريًّا، فقرّر أن يسلك طريق العلم الشريف، فترك الجيش بعد عودته من السفر، ولازم العلماء. وعبّر عن ذلك بقوله: " فلما رجعنا من السفر، وصلت إلى خدمة المولى المذكور (لطفي)، فقرأت عليه حواشي شرح المطالع ". وقد أعطي هو عند ذلك مدرسة دار الحديث بمدينة أدرنه، وعيّن له كل يوم مائةُ درهم عثماني"(٢).

وقد سبق له قراءة مبادئ العلوم في صدر شبابه(٣)، وبعد انخراطه في دار الحديث، قرأ أصول الفقه، والتفسير، وغيرها على أفاضل الفضلاء المشاهير، حتى وصل إلى الذروة، وفاق أقرانه. ويقول التميمي: " دأب وحصّل وصرف سائر أوقاته في تحصيل العلم، ومذاكرته، وإفادته، واستفادته، حتى فاق الأقران، وصار إنسان عين الإنسان. وقرأ عليه – أي على المولى لطفي –، ثم قرأ على غيره، إلى أن مهر، وصار إمامًا في كل فن، بارعًا في كل علم، تشدّ الرحال إليه، وتعقد الخناصر عليه(٤)".

وفي سنة ٩١١هـ صار ابن كمال باشا مدرّسًا بمدرسة علي باشا في أدرنه، وقد طلب منه السلطان بايزيد الثاني أن يكتب تاريخ العثمانيين.

---

[١]: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي:٢٣٨/٨ ، الكواكب السائرة للغزي: ١٠٨/٢ ، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، طاشكبري زاده ت ٩٦٨، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٩٧٥، ص: ٢٢٦ ، الطبقات السنية للتميمي: ٤١٠/١.

(٢)الكواكب السائرة للغزي: ١٠٨/٢

(٣) عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر، جميل العظم، المطبعة الأهلية، ١٩٠٨، بيروت، ص : ٢١٧.

(٤) الطبقات السنية للتميمي: ٤٠٩/١ .

وفي سنة ٩١٧هـ ولي التدريس بمدرسة "إسحاق باشا" في مدينة أوسكوب في اليونان. ثم رجع في سنة ٩١٨هـ إلى المدرسة الحلبية بأدرنه. ثم صار مدرسًا بإحدى المدرستين المتجاورتين بأدرنه، وبعدها بإحدى المدارس الثماني [١]، إلى أن أصبح مدرسًا لمدرسة السلطان بايزيد الثاني بأدرنه، وهي أكبر مدارس الدولة العثمانية في ذلك التاريخ[٢].

وفي عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م عيّن قاضيًا لمدينة أدرنه، ثم قاضي العسكر [٣] لمنطقة الأناضول، وأثناء ذلك اشترك مع السلطان سليم في فتح مصر التي ضُمّت آنذاك للدولة العثمانية. وفي عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م انتقل إلى دار الحديث في أدرنه، ثم إلى مدرسة بايزيد مرة ثانية، وفي تلك الفترة شارك مع السلطان سليمان القانوني[٤] في عدة معارك[٥].

وأخيرًا صار ابن كمال باشا في سنة ٩٣٢هـ ١٥٢٥م شيخ الإسلام بعد وفاة العلامة الكبير علي زَمْبِلّي. وهو شيخ الإسلام التاسع للدولة العثمانية، ولم يزل في منصب الإفتاء إلى أن توفي رحمه الله يوم الجمعة الثاني من شوال ٩٤٠ هـ[٦]، الموافق ١٧ نيسان ١٥٣٤م في عهد سليمان القانوني[٧].

٣. منزلته العلمية:

ويبدو جليًا من سيرة هذا العالم الكبير، أنه كان دائم العكوف على المطالعة والتأليف بهمة عالية ومستمرة. وبلغ في العلم منزلة يشار إليه بالبنان. فملازمته لعظماء عصره في العلوم المختلفة، جعلته يتقن أكثر من علم، كما يتقن العربية والفارسية إلى جانب لغته الأم، وهي التركية.

---

(١) أنشأها السلطان محمد الفاتح، وتعرف هذه المدارس بمدارس الصحن الثمان، وهي للتعليم العالي المتكامل في مرافقه وخدماته لطلاب العلم.

(٢) İslam Ansiklopedisi ٢٥\٢٤٠ (الموسوعة الإسلامية بالتركية)

(٣) قاضي عسكر: كان لقبًا علميًا كبيرًا في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة العثمانية مقسمة إلى منطقتين كبيرتين من هذه الوجهة هي الأناضول والروملّي (أي بلاد الروم) وكان يعيّن على كلّ منهما قاض للعسكر. (انظر : معجم صفصافي ٢٣٣).

(٤) هو سليمان الأول (١٥٢٠-١٥٦٦ م) عاشر السلاطين العثمانيين، وعهده هو العهد الذهبي في تاريخ الدولة العثمانية إذ ازدهرت العلوم والفنون والآداب، واستبحر العمران، وارتقت الدولة في جميع مرافقها.

(٥) İslam Ansiklopedisi ٢٥\٢٤٢ (الموسوعة الإسلامية بالتركية)

(٦) هذا التاريخ ما اتفق عليه معظم المؤرخين، وهناك ثلاثة آراء مختلفة ، فمنهم من ذهب إلى أنه توفي في سنة٩٣٨هـ ، وهناك طائفة أخرى تقول بأنه ٩٤١، وهناك طائفة ثالثة تقول بأنه ٩٤٢. إلا أنني ذهبت إلى ما ذهب إليه معظم المؤرخين وهو سنة ٩٤٠.

(٧) İslam Ansiklopedisi ٢٥\٢٤٢ (الموسوعة الإسلامية بالتركية)

وله تآليف كثيرة كتبها بهذه اللغات الثلاث، في الدين والآداب واللغة، وله في تاريخ العثمانيين كتاب كبير ومهم، فضلا عن مئات الرسائل والمقالات والمقطوعات الشعرية[١]. فقد أثبت مكانته الرفيعة في كل العلوم التي تناولها، لذلك نرى أن المترجمين أثنوا عليه بما هو أهله، فقال فيه صاحب الشقائق النعمانية، في بيان دأبه على التحصيل العلمي: " كان من العلماء الذين صرفوا جميع أوقاتهم إلى العلم، وكان يشتغل ليلا ونهارًا، ويكتب جميع ما سنح بباله. وقد فتر الليل والنهار، ولم يفتر قلمه. وصنّف رسائل كثيرة من المسائل المهمة الغامضة، وعدد رسائله قريب من مئة، وله من التصانيف تفسير لطيف حسن قريب من التمام، اخترمته المنية، ولم يكمله. وله حواش على الكشاف ... وكان صاحب أخلاق حميدة حسنة، وأدب تامّ، وعقل وافر، وتقرير حسن ملخص، وله تقرير مقبول جدًا لإيجازه مع وضوح دلالته على المراد. وبالجملة أنسى – رحمه الله تعالى – ذكر السلف بين الناس، وأحيا رباع العلم بعد الاندراس، وكان في العلم جبلا راسخًا، وطودًا شامخًا، وكان من مفردات الدنيا، ومنبعًا للمعارف العليا. روّح الله تعالى روحه، وزاد في غرف الجنان فتوحه[٢]."

وقال عنه تقي الدين بن عبد القادر التميمي: " الإمام، العالم، العلامة، الرُّحلة، الفهامة، أوحد أهل عصره، وجمال أهل مصره، من لم يخلف بعده مثله، ولم تر العيون مَن جمع كماله وفضله. كان رحمه الله تعالى إمامًا بارعًا في التفسير، والفقه، والحديث، والنحو، والتصريف، والمعاني، والبيان، والكلام، والمنطق، والأصول، وغير ذلك، بحيث أنه تفرد في إتقان كل علم من هذه العلوم، وقلّما يوجد فن من الفنون إلا وله مصنف أو مصنفات... [٣]".

وعندما شارك ابن كمال باشا في فتح مصر مع السلطان سليم، لقيته أكابر العلماء في القاهرة، وأعاظم الفضلاء، وناظروه، وباحثوه، وتكلموا بما عندهم، فامتحنوه، فأعجبوا بفصاحة لسانه، وحسن كلامه، وبلاغة بيانه، وبسط مرامه، وأقروا له بالفضل والكمال، وكانوا يذكرونه بغاية التبجيل والإجلال[٤]".

وقد جعله اللكنوي من أصحاب الترجيح المقلدين القادرين على تفضيل بعض الروايات على بعض، وقد عقد مقارنة بينه وبين السيوطي فقال:

---

(١) الطبقات السنية للتميمي: ٤١٢/١ .
(٢) الشقائق النعمانية لطاشكبري زاده : ٢٢٧-٢٢٨ ، الكواكب السائرة للغزي: ١٠٨/٢.
(٣) الطبقات السنية للتميمي:٤٠٩/١ ، الفوائد البهية للكنوي: ٢٢ ، الكواكب السائة للغزي: ١٠٨/٢.
(٤)الطبقات السنية للتميمي:٤١١/١ ، الفوائد البهية للكنوي: ٢٢ .

"كان ابن كمال مساويًا للسيوطي في كثرة التأليف، وسعة الاطلاع في الأدب والأصول، ولكن لا يساويه في فنون الحديث، فالسيوطي أوسع نظرًا، وأدقّ فكرًا في هذه الفنون منه، بل من جميع معاصريه، وأظن أنه لا يوجد مثله بعده، وأما صاحب الترجمة (ابن كمال) فبضاعته في الحديث مزجاة، كما لا يخفى على من طالع تصانيفهما، فشتان ما بينهما كتفاوت السماء والأرض وما بينهما... [١]".

ويقول التميمي: إنه كان رحمه الله في كثرة التأليف، وسرعة التصنيف، ووسع الاطلاع، والاحاطة بكثير من العلوم، في الديار الرومية، نظيرًا للحافظ جلال الدين السيوطي في الديار المصرية[٢].

واختلف النقاد المترجمون في الموازنة بين هذين العالمين العظيمين، فذهب التميمي إلى أن ابن كمال باشا قد حاز السبق على السيوطي فقال: وعندي أن ابن كمال باشا أدق نظرًا من السيوطي، وأحسن فهمًا، وأكثر تصرفًا، على أنهما كانا جمال ذلك العصر، وفخر ذلك الدهر، ولم يخلف أحد منهما بعده مثله، رحمه الله تعالى[٣]".

وهناك قصة طريفة نقلها الباحث أنور محمد أربا تدل على رفعة ابن كمال باشا وعلوّ مكانته ومدى احترام السلاطين للعلماء، فإنه أثناء عودته مع الجيوش التي توجهت لضم مصر كان يسير في مقدمة الجيش مع السلطان سليم، فتراشق الطين من أرجل حصانه، فأصاب السلطان سليم. فحزن ابن كمال باشا، فما زاد ذلك السلطان على أن قال: "إن الطين الذي أصابني من حوافر خيول العلماء لهو مدار زينة، وباعث مفخرة[٤]."

٤. شيوخه:

قرّر ابن كمال باشا أن يسلك طريق العلم، وينهج نهج أهله، لعله يحظى بالمنزلة التي نالها العلماء، فلجأ إلى حلقات العلم، واستظل بظل العلماء حتى أصبح واحدًا منهم. وقد ذكرت

---

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي: ٢١.
(٢) الطبقات السنية للتميمي: ٤١٢/١.
(٣) المرجع السابق.
(٤) انظر إلى تفسير ابن كمال باشا: دراسة وتحقيق من خلال سور هود ويوسف والرعد؛ لأنور محمد أربا، ص ١٠.

المصادر[١] عددًا من أسماء أساتذته الذين أخذ عنهم العلم بعد الحادث الذي حفّزه على انشغاله بالعلم، ومنهم:

١- المولى لطف الله التوقاتي. وهو عالم كبير له منزلة كبيرة عند الشعب والسلاطين معًا. كان مدرّسًا في مدرسة مراد خان في زمن بايزيد خان ثم أعطي مدرسة دار الحديث، وكان كثير العلم فحسده أقرانه، فقتل سنة ٩٠٠ هـ[٢].

٢- المولى مصطفى مصلح الدين القسطلاني. هو عالم ماهر، وكان مدرسًا في عدة مدارس من مدارس الدولة العثمانية، توفي سنة ٩٠١ هـ[٣].

٣- المولى خطيب زاده محي الدين محمد[٤]*.

٤- المولى معروف زاده سنان الدين يوسف[٥].

٥- المولى مؤيد زاده عبد الرحمن أفندي[٦].

وقد أسهم هؤلاء العلماء في إعداد ابن كمال باشا إعدادًا حسنًا في الخلق والأدب، وزوّدوه بالعلم والمعرفة النافعة.

٥. تلاميذه:

كان ابن كمال باشا من العلماء الذين صرفوا جميع أوقاتهم إلى العلم، وكان يشتغل له ليلا ونهارا، ونقل هذا العلمَ إلى تلاميذه الذين تتلمذوا على يديه، فأخذوا عنه. وقد ذكر مصطفى قليج في رسالته عن حياة ابن كمال باشا عشرين[٧] تلميذا لابن كمال باشا، وقف عليهم في مصادر شتى

(١) الطبقات السنية للتميمي: ٤١٠/١ ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي:٢٣٨/٨ ، عقود الجوهر :٢١٧ .
(٢) انظر ترجمته في الشقائق: ١٦٩.
(٣) انظر ترجمته في الشقائق: ١٦٩.
(٤) المرجع السابق. *: لم أهتد إلى تاريخ وفاة بعض شيوخه، ولذلك لم أسجله هنا.
(٥) شذرات الذهب: ٢٣٨/٨.
(٦) İslam Ansiklopedisi ٢٥\٢٤٢ (الموسوعة الإسلامية بالتركية)
(٦) (İbn-i Kemal,Hayatı,Tefsire Dair Eserleri ve Tefsirindeki Metodlar;Mustafa Kılıç, sayfa ٧٤.

وهم: أبو السعود العمادي (٨٩٨ –٩٨٢ ه): محمد بن مصطفى العمادي، مفسر شاعر من علماء الترك المستعربين، ولد بقرب القسطنطينية، ودرس في بلاد متعددة ــ وتقلد القضاء [1].

١- سعدي جلبي٩٤٤ هــ: سعد الله بن عيسى بن أمير خان، الشهير بــ: سعدي جلبي، أو سعدي أفندي: قاضٍ حنفي من علماء الروم، عمل في التدريس وولي القضاء ثم الإفتاء حتى وفاته وله تصنيف على حاشية البيضاوي[2].

٢- محمد عبد الكريم ويزلي: كان قاضيا في مدينة آماصيا ومدرسًا في مدرسة خاتونية توفي سنة ٩٦١ هــ. [3]

٣- عبد اللطيف أفندي: كان مدرسا في مدرسة سليمان باشا بمدينة إزنيك، توفي سنة ٩٥٣ هــ.[4]

٤- عبد الوهاب بن عبد الرحمن على سياووش بن أوران المؤيدي: درّس في مدارس مختلفة ومدن متعددة، توفي سنة ٩٧٠ هــ.[5]

٥- علاء الدين ماناوغاتي: كان مفتي مدينة آماصيا، وقاضيا في بغداد، ودرّس في عدة مدارس، توفي سنة ٩٧٤ هــ.[6]

---

[1] (İbn-i Kemal ve düşünce tarihimiz, Yrd. Doç. Dr. Sayın Dalkıran, Osmanlı Araştırmaları Vakfı ١٩٩٤, sayfa ٤٧

الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، (ت١٣٩٦ه)، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢، ٥٩/٧.

[2] (İbn-i Kemal ve düşünce tarihimiz, Yrd. Doç. Dr. Sayın Dalkıran, Osmanlı Araştırmaları Vakfı ١٩٩٤, sayfa ٤٤.

الأعلام للزركلي، ٨٨/٣.

[3] (İbn-i Kemal ve düşünce tarihimiz, Yrd. Doç. Dr. Sayın Dalkıran, Osmanlı Araştırmaları Vakfı ١٩٩٤, sayfa ٤٤.

[4] (İbn-i Kemal ve düşünce tarihimiz, Yrd. Doç. Dr. Sayın Dalkıran, Osmanlı Araştırmaları Vakfı ١٩٩٤, sayfa ٤٤.

[5] المرجع السابق.

[6] المرجع السابق.

٦- جلال زاده صالح أفندي: عمل في التدريس والقضاء، كتب حاشية على رسالة "الإصلاح والإيضاح" لابن كمال باشا و "شرح المفتاح" للجرجاني. وله كتب كثيرة في التاريخ والفقه والبلاغة، توفي سنة ٩٧٣ هـ.[١]

٧- ملا محمد: كتب حاشية لتفسير قاضي البيضاوي، وعمل في التدريس.

٨- محمد درويش: عمل في القضاء والتدريس، توفي ٩٦٢ هـ.

٩- دورصون بن حاجي مراد: عمل في القضاء والتدريس، توفي ٩٦٦ هـ.

١٠- حسن بن زين الدين محمد بن محمد شاه الفناري: عمل في القضاء والتدريس، توفي ٩٦٤هـ.[٢]

١١- آشجي زاده حسن الجلبي: عمل في القضاء والتدريس، توفي ٩٤٢ هـ.[٣]

١٢- هداية الله بن بار علي العجمي: عمل في القضاء والتدريس، توفي ٩٤٨ هـ.[٤]

١٣- قُرْبي: عمل في القضاء والتدريس، توفي ٩٥٤ هـ.[٥]

١٤- لآلي: عمل في القضاء والتدريس، توفي ٩٧٢ هـ.[٦]

١٥- محمد بن عبد الوهاب: عمل في القضاء والتدريس، توفي ٩٧٥ هـ.[٧]

١٦- ملا بالي أفندي: عمل في القضاء والتدريس، توفي ٩٧٢ هـ.[٨]

---

[١] المجع السابق.

[٢] (İbn-i Kemal ve düşünce tarihimiz, Yrd. Doç. Dr. Sayın Dalkıran, Osmanlı Araştırmaları Vakfı ١٩٩٤, sayfa ٤٤.

[٣] المرجع السابق.

[٤] المرجع السابق.

[٥] المرجع السابق.

[٦] المرجع السابق.

[٧] (İbn-i Kemal ve düşünce tarihimiz, Yrd. Doç. Dr. Sayın Dalkıran, Osmanlı Araştırmaları Vakfı ١٩٩٤, sayfa ٤٤.

[٨] المرجع السابق.

١٧- محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم: عمل في القضاء، توفي ٩٧٥هـ.[١]

١٨- برْوَزْ أفندي: عمل في القضاء والتدريس في عدة مدن، فوفي٩٨٧هـ.[٢]

١٩- سعدي سعد الله: كتب لكتب عدية حاشية وعلى رأسيهم حاشية لتفسير القاضي بيضاوي، وله رسائل للفتاوى، وتوفي ٩٤٥هـ.[٣]

٢٠- شاني: شاعر وله كتاب باسم "فرخت نامه"، توفي ٩٤١هـ.[٤]

٢١- محمد بن محي الدين الشيخ تاورود ٩٧٥هـ.[٥]

٢٢- محي الدين محمد بن إبراهيم ٩٦٦هـ.[٦]

٢٣- محي الدين محمد بن عبد الله ٩٥٠هـ.[٧]

٢٤- هجري ٩٦٥هـ.[٨]

٢٥- محي الدين معلول ٩٦٣هـ.[٩]

---

[١] المرجع السابق.

[٢] المرجع السابق.

[٣] المرجع السابق.

)٤((İbn-i Kemal ve düşünce tarihimiz, Yrd. Doç. Dr. Sayın Dalkıran, Osmanlı Araştırmaları Vakfı ١٩٩٤, sayfa ٤٤..

٥ (İbn-i Kemal,Hayatı,Tefsire Dair Eserleri ve Tefsirindeki Metodlar;Mustafa Kılıç, sayfa ٧٤.

ve düşünce tarihimiz, Yrd. Doç. Dr. Sayın Dalkıran, Osmanlı Araştırmaları ٦ (İbn-i Kemal
.٧Vakfı ١٩٩٤, sayfa ٤

(٧) المرجع السابق.

(٨)المرجع السابق

(٩) المرجع السابق.

٦. مؤلفاته:

أغنى ابن كمال باشا المكتبة الإسلامية، وترك ثروة ضخمة من المصنفات التي تكشف عن شخصيته الموسوعية، وتجعله بحق من أكابر العلماء العثمانيين. فقد ترك لنا ثروة فكرية واسعة في اتجاهات مختلفة، وقد ظهرت جليًا هذه الآثار في التفسير، والفقه، والأصول، والأدب، والنحو، والتصريف، والمعاني، والبيان، والبلاغة، والكلام، والمنطق، والطبقات، والتراجم وغير ذلك. قال صاحب الطبقات السنية بأنه – ابن كمال باشا – تفرد في إتقان كل العلوم، وقلما يوجد فن من الفنون إلا له مصنف فيه أو مصنفات[١].

ولكثرة رسائله الشبيهة بالمقالات، اختلف مترجموه في عددها، فقيل: مائة[٢]، وقيل ثلاث مائة[٣]، وقيل غير ذلك، فذكر صاحب الشقائق أنها مائة، ثم قال: وهذا ما شاع بين الناس، وأما ما بقي في المسودة فأكثر مما ذكر. وذكر مؤلف كتاب "عقود الجوهر" مصنفاته مرتبة ترتيبًا هجائيًا، وقد بلغت ٢١٦ مصنفًا[٤].

وأذكر هنا بعضها موزعة على الموضوعات التالية:

في التفسير وعلوم القرآن:

١- إعجاز القرآن

٢- تفسير القرآن، المشهور بتفسير ابن كمال باشا

٣- تفسير سورة الملك

٤- تفسير سورة عمّ

٥- حاشية على تفسير البيضاوي

٦- رسالة في تسمية آية الكرسي سيدة الآيات

٧- تفسير آية الكرسي

٨- رسالة في تقرير أن القرآن العظيم كلام الله

٩- رسالة في معنى السنة الواردة في مواضع القرآن

---

(١) الطبقات السنية: ٤٠٩/١ .
(٢) الشقائق النعمانية ص: ٢٢٧ .
(٣) الفوائد البهية للكنوي: ٢١.
(٤) عقود الجوهر : ٢١٨- ٢٢٦.

في الفقه وأصوله:

١- إصلاح الإيضاح
٢- تغيير التنقيح
٣- مجمع البحرين
٤- فتاوى وهو باللغة التركية
٥- رسالة في حد شارب الخمر
٦- رسالة في المسح على الخفين
٧- رسالة في شروط الصلاة
٨- رسالة في الوقف على الأولاد والبنات
٩- رسالة في المفروض مسحه من الرأس

في اللغة والأدب والنحو والصرف:

١- رسالة في رسم الهمزة
٢- رسالة في أن صاحب علم المعاني يشارك اللغوي من جهة ويفارقه من أخرى.
٣- رسالة في خصائص اللغة
٤- رسالة في المجاز والاستعارة
٥- رسالة في حروف الهجاء
٦- رسالة في صنائع الشعرية
٧- رسالة في المجاز
٨- رسالة في تذكير لفظة القوم وتأنيثها
٩- رسالة في الصنائع الشعرية
١٠- شرح قصيدة ابن الفارض الخمرية
١١- محيط اللغة
١٢- غلط العوام

في علم الكلام:

١- التجريد في علمي الكلام والتوحيد

٢- منيرة الإسلام

٣- تحقيق الكلام

٤- التجويد في شرح التجريد

في العقيدة:

١- رسالة في الاستدعاء

٢- رسالة في مكانة خلق الأعمال

٣- رسالة في بيان معنى الماهية

٤- رسالة في مكانة الجبر والقدر

٥- رسالة في مكان العقل

٦- رسالة في سر عدم نسبة الشر إلى الله تعالى

٧- رسالة في معنى كان الله ولم يكن معه شيء

٨- رسالة في الرد على من قال بخلق القرآن

في الحديث:

١- شرح دعاء القنوت

٢- شرح صحيح البخاري

٣- رسالة في اصطلاحات المحدثين

٤- حدائق الأزهار في شرح مشارق الأنوار

وهناك دراسة تناولت مصنفاته، قام بها نهال أطيسز[١] وجمع مصنفات ابن كمال باشا الموجودة في مكتبات إسطنبول، وصنفها حسب موضوعاتهاز وقد بلغت مائتين وتسعة مصنفات، منها مائة وثلاثة وثمانون مصنّفًا باللغة العربية موزعة على الموضوعات كما يلي:

- في التفسير وعلومه : ١٢
- في الحديث : ٨
- في الفقه : ٤٣
- في الفلسفة والكلام : ٥٠
- في الأدب : ٢٢
- في المنطق : ٨
- في التصوف : ٢
- في الأخلاق : ٢
- في الموضوعات الموسوعية : ٢١
- في اللغة الفارسية وقواعدها : ٢
- في الموضوعات المختلفة : ٦

ومنها ١٩ مصنفًا باللغة التركية و٧ باللغة الفارسية.

٧. مذهبه الفقهي

كان ابن كمال باشا رحمه الله حنفي المذهب، كما ذكرت كتب التراجم[٢]. ويظهر ذلك من خلال مؤلفاته مثل: حاشية على غرر الأحكام في فروع الحنفية، والمهمات في فروع الحنفية وغيرها. وإن كان إيراد اسم أبي حنيفة في حد ذاته لا يعد دليلا كافيا على تبني ابن كمال باشا لمذهبه، إلا أنه في ظل غياب أسماء غيره من فقهاء المذاهب الأخرى قد يكون إشارة للباحث، تؤكد ما ورد في كتب التراجم عن اعتماد ابن كمال باشا لمذهب أبي حنيفة.

---

(١) انظر Şarkiyat Mecmuası: ٦: ٧١-١١٢ ٧: ٨٣-١٣٥

(٢) شذرات الذهب: ٨/ ٢٣٨ ، عقود الجوهر : ٢١٧ .

ويظهر مذهبه العقائدي كذلك من خلال ردّه على أهل الملل والفرق المخالفة لأهل السنة، ومؤلفاته تشهد بذلك، مثل: نزاع الحكماء والمعتزلة[1]، ورسالة في الرد على القول بخلق القرآن، ورسالة في تقرير أن القرآن العظيم كلام الله القديم، ورسالة في مسألة الجبر والقدر، ورسالة في مسألة خلق الأعمال.

٨. وفاته:

اتفقت المصادر على أن وفاته كانت في الثاني من شوال سنة تسعمائة وأربعين للهجرة في مدينة إسطنبول يوم الجمعة. وصلي عليه في مسجد الفاتح، ودفن في مقبرة " أدرنه قابي"(٢).

وقيل: ارتحل العلم بالكمال، وكتب على قبره: هذا مقام أحمد، وعلى أكفانه: هي آخر اللباس.(٣).

---

[1]: فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري ٨٠هـ، في البصرة، اعتمدت المعتزلة على العقل في تأسيس عقائدهم، ويسمون أصحاب العلدل والتوحيد،ومن عقيدتهم؛ الأصول الخمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد من الله، أن مرتكب الكبير في منزلة بين المؤمن والكافر، وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم أبو بكر أحمد الشهرستاني، ت ٥٤٨هـ، تحقيق: أمير علي مهنا و علي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، ص٤٣، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٨.

(٢) İslam Ansiklopedisi . ٢٥\٢٤١ (الموسوعة الإسلامية بالتركية)

(٣) عقود الجوهر : ٢١٨.

القسم الثاني

دراســــــة الكتـــــاب

١- إثبات نسبة الكتاب إلى مؤلفه

٢- وصف نسخ المخطوط

٣- مصادر ابن كمال باشا في التفسير

٤- طريقة المؤلف في التفسير

٥- قيمة الكتاب العلمية

٦- منهجي في التحقيق

القسم الثاني

دراسة الكتاب: ويتضمن

١. نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

ارتبط اسم ابن كمال باشا بتفسيره، حتى كان يقال في ترجمته: ابن كمال باشا صاحب التفسير، اخترمته المنية قبل أن يكمله[١]. ومن أدلة صحة نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه:

١- وصف هذا التفسير في الكتب التي ترجمت للمؤلف بأنه من سورة الفاتحة إلى سورة الصافات[٢]، والذي بين أيدينا كذلك.

٢- ما ورد على غلاف النسخ المصورة الثلاث من نسبته إلى مؤلفه.

٣- هناك معاصرة بين المؤلف وناسخ النسخة التي رمزنا لها بـ أ.

٤- لم ترد أي شبهة أو شك في المصادر حول نسبة هذا التفسير إلى ابن كمال باشا[٣].

٥- جاء هذا المخطوط كما وصفه المحققون في فهارس المخطوطات[٤].

٢. وصف نسخ المخطوط:

نسخة الأصل: ورمزت لها بـ"أ"

- وهي من مكتبة مهرشاه سلطان إسطنبول-تركيا. تحمل رقم ١٣، وقد كتبت سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة.
- عدد أوراق النسخة التي ضمت تفسير سورة الأنعام ١٢٩ ورقة. وكل ورقة تحتوي على ٢٥ سطرًا. وعدد كلمات السطر الواحد ١٢ كلمة.

---

(١) الكواكب السائرة:١٠٨/٢ ، شذرات الذهب: ٨/ ٢٣٨ ، عقود الجوهر : ٢١٧.
(٢) المرجع السابق.
(٣) شذرات الذهب: ٨/ ٢٣٨ ، الكواكب السائرة:١٠٨/٢ ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين،١/ ١٤١، عثمانلي مؤلفلري (بالتركية): ١/ ٢٢٣.
(٤) انظر الفهرس الشامل للمخطوطات ٥٥٩/١ ، وفهرس مخطوطات كوبرلي ٥٥،٥٦/١ .

- والنسخة مكتوبة بالحبر الأسود وبخط النسخ، أما الآيات القرآنية الكريمة فمكتوبة بالحبر الأحمر. وتكثر في هذه النسخة الحواشي على جانبي الصفحة، تصويبا لعبارة، أو إضافة لنقص في متن الأصل.
- وتمتاز هذه المخطوطة بضبط الآيات القرآنية ضبطًا كاملا، فضلا عن قدمها، إذ لا يفصل بين تاريخ نسخها وتاريخ وفاة ابن كمال باشا غير ثلاث وثلاثين سنة.
- ومجموع صفحات هذه المخطوطة بما تضمنته من تفسير للسور القرآنية: من بداية الفاتحة إلى نهاية التوبة ما خلا سورة المائدة، هو ٦٣٤ ورقة.
- قال الناسخ في آخر صفحة في المخطوط: تمت هذه القطعة من التفسير المنسوب إلى الإمام الهمام الغني عن التعريف والتوصيف بشهرته بين الكرام العظام، وقت العشاء، يوم الأربعاء، في أواخر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة من الهجرة النبوية.
- في أعلى صفحة الغلاف الأولى ثمة مستطيل كتب فيه بالحرف التركي:

  EYÜP HÜSREV PAŞA KÜTÜPHANESİ
  KISIM: MİHRİŞAH
  ESKİ SAYI NO: ١٣

وتفسير هذا بالعربية هو: مكتبة أيوب خسرو باشا، القسم: مهرشاه، الرقم القديم: ١٣. وأعيد هذا المستطيل بما فيه في أسفل صفحة الغلاف.

- ورد على غلاف الصفحة الأولى ختم دائري كتب فيه: قد وقفت هذا الكتاب مهرشاه سلطان أم أمير المؤمنين، سلطان سليم خان، بشرط أن لا يخرج عن خزانته، سنة ١٢١٥ هـ. كما ورد تحت هذا الختم الدائري العبارة الآتية، وهي عبارة غير منقوطة الحروف في المجمل: قد وقفت هذا الكتاب المستطاب راجية ألطاف ربة الأرباب، صاحبة الخيرات والحسنات، داعية الدرجات والمبرات، صفية الذات، عليّة الصفات، حضرة مهرشاه سلطان، دامت في حماية الرحمن، أم أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين، السلطان ابن السلطان، السلطان سليم خان ابن السلطان مظفر خان، ابن السلطان أحمد خان، أيده الله ونصره إلى نهاية الدوران، وبره العبد المحتاج إلى توفيق الرحمن محمد عطا الله، صدر الدين زاده، المفتش بأمور أوقاف الحرمين الشريفين، غفر لهما.

  وبعد هذا ورد ختم مدور على صفحة الغلاف نفسها فيه: محمد عطا الله.

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد [illegible]

ذاته المستحق لجميع صفات الكمال [illegible]

[illegible]

... وجعل الظلمات والنور انشاهما والفرق بين خلق وجعل [illegible]

[illegible]

... ثم الذين كفروا بربهم يعدلون [illegible]

[illegible]

... هو الذي خلقكم من طين [illegible]

[illegible]

بالاكرة على القول الاول ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه
من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية
والتدبير وقرئ باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لا شريك له خالصة
لا اشرك فيه غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت [illegible]
[illegible] وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام
امته قل اغير الله ابغي ربا [illegible]
[illegible] وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة الاصنام وهو رب كل شيء
[illegible]
[illegible]
الذكر ولا تكسب كل نفس الا عليها اي لا يكون جناية نفس الا عليها
[illegible]
[illegible] ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ثم الى ربكم مرجعكم [illegible]
يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون [illegible]
[illegible] وهو الذي جعلكم خلائف الارض [illegible]
في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات في [illegible]
[illegible] ليبلوكم فيما آتاكم [illegible]
[illegible] ان ربك سريع العقاب [illegible]
[illegible]
على [illegible] وانه لغفور رحيم [illegible] وصف العقاب

رب العالمين

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

المص [illegible] كتاب [illegible] انزل اليك [illegible]
[illegible]
[illegible] فلا يكن في صدرك حرج [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] منه [illegible]
[illegible] لتنذر به [illegible]
[illegible]
[illegible]
وذكرى [illegible]
[illegible]

النسخة الثانية:

- وسنرمز لها بالرمز ب، وهي نسخة لم يذكر عليها تاريخ نسخها. وقد جاء على صفحة الغلاف الأولى ما يلي:

١. الرقم ١٩٠

٢. ختم مدور وفيه ما يلي: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

٣. وثمة ختم مدوّر مطموس لا يقرأ منه شيء.

٤. وتحت الختمين عبارة نصها: وقف السلطان السعيد الأعظم، وتجليد الخاقان الأكرم الأفخم، مفسر العدل والإحسان، وموضح إجمال الأمور بالرشد والعرفان، السلطان ابن السلطان، السلطان أبو المحاسن والمكارم، عثمان خان، ابن السلطان مصطفى خان، ثبّت الله أساس دولته الطاهرة، وخلّد خلافته الباهرة، وأنا الداعي لدولته الحاج إبراهيم (كلمتان لم نتبين قراءتهما) بأوقاف الحرمين الشريفين. غفر له.

٥. ختم دائري فيه عبارة: إبراهيم (لطيف بن حنيف)؟

٦. مستطيل مكتوب فيه بالخط التركي.

NURUOSMANİYE KÜTÜPHANESİ

KISIM: N.O.

YENİ NO: ١٤٥

ESKİ NO: ١٩٠

TASNİF NO: ٢٩٧,١= ٩٢٧

وترجمته بالعربية: مكتبة نور عثمانيه، الرقم الجديد:١٤٥، الرقم القديم:١٩٠، رقم التصنيف: ٢٩٧,١=٩٢٧

- وورد على صفحة الغلاف الثانية ثبت بأسماء السور القرآنية التي فسرها ابن كمال باشا مع ذكر أرقام صفحات تفسير كل سورة، وهي على النحو التالي، (مع ملاحظة أن أسماء بعض السور القرآنية خلا من أل التعريف): فهرس السور: فاتحة، بقره: ٥، آل عمران: ٩٩، نساء: ١٣٢، مائدة، أنعام ١٦٥، أعراف:١٩٧، أنفال: ٢٣٢، توبة: ٢٤٧، يونس:٢٧٧، هود:٢٩٦، يوسف:٣١٧، رعد:٣٣٩، إبراهيم:٣٤٩، حجر:٣٦٠، نحل:٣٦٩، بني إسرائيل:٣٨٨، كهف:٤٠٣، مريم:٤٢٣، طه: ٤٣٢، أنبيا:٤٥، حج:٤٥٥، مؤمنين: ٤٦٤، نور:٤٧٢، فرقان:٤٨٢، شعراء:٤٩٠، نمل:٥٠٠، قصص:٥٠٩، عنكبوت:٥٢٩، روم:٥٣٩، لقمان:٥٣٣، سجدة:٥٣٨، أحزاب٥٤٠، سبأ:٥١، ملائكة:٥٩، يس:٥٦، صافات:٦٧٣، ص، زمر، مؤمن: حم السجدة، حم عسق، زخرف، دخان، جاثية، أحقاف، محمد، فتح، حجرات، ق، ذاريات، طور، والنجم، قمر، رحمن، واقعة، سورة الملك: ٥٨٤، سورة النبأ:٥٨٨، سورة النازعات:٥٩١، سورة والسماء والطارق:٥٩٤. ويلاحظ على هذا الفهرس أن صاحبه لم يذكر فيه أرقام صفحات تفسير مجموعة كبيرة من السور، كأن المؤلف لم يفسر هذه السور لسبب لا نعرفه، إذ قد تكون المنية أدركته قبل إنجاز مشروعه هذا. وهذا ما أشارت إليه بعض المصادر التي ترجمت للمؤلف مما تبيناه في التعريف به.

- يبلغ عدد أوراق هذه النسخة (ب) ٥٩٩ ورقة، والقسم الذي أحققه يقع في ٣٥ ورقة.
- كل صفحة من هذه النسخة تحتوي ٢٩ سطرًا، وفي كل سطر ١٤ كلمة، خطها نسخي واضح مقروء ومشكول شكلا تاما، فتسهل قراءته، وقد كتب المخطوط بالحبر الأسود، أما الآيات القرآنية فقد كتبت بالحبر الأحمر.
- ورد في آخر المخطوط: "وكان الفراغ من نسخه يوم الأحد المبارك مستهل محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث عشرة بعد الألف على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى عفوه ومغفرته الفقير عبد الدايم بن عبد الله بن أحمد بن خلف الله القادوسي بلدًا الشعراني شيخًا المالكي مذهبًا".

١٩٠

وقف السلطان الأعظم ... السلطان مصطفى خان ...

سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والأرض [illegible]

[illegible]

[illegible] لا يدخل تحت الوقت

وقوله فاما تفصيل له [illegible] الحياة الدنيا [illegible] الآخرة فان الجحيم هي المأوى [illegible]

[illegible] ان الاصل [illegible]

[illegible] وانى لهم الذكرى [illegible]

[illegible] يسألونك عن الساعة ايان مرساها [illegible]

[illegible] فيم انت من ذكراها [illegible]

[illegible] الى ربك منتهاها [illegible]

[illegible] انما انت منذر من يخشاها [illegible]

[illegible] كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا

الا عشية [illegible] او ضحاها [illegible]

[illegible]

ما يدل على العهد [illegible]
[illegible] الاضافة [illegible]
[illegible] في الدنيا او في القبور [illegible]
من تفسير القاضي في سورة [illegible]
عليه السلام [illegible]
والاكرام والله سبحانه
وتعالى اعلم بالصواب
واليه المرجع
والمآب

تم

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق اصله الطرق الدق ومنه المطرقة لانه يدق والطريق لان المارة تدقها بارجلها والطارق اى الآتي ليلا لانه يحتاج الى الدق لتنبيه [illegible] على الكوكب البادي ليلا بطريق الاستعارة [illegible] وما ادراك ما الطارق النجم [illegible] المقصود [illegible]

[illegible] بقوله الحق الثاقب زيادة في تعظيم امره والنجم الثاقب المضيء
كأنه يثقب الظلام بضوئه [illegible]
[illegible]
[illegible] قال ابن عباس رضي الله عنهما [illegible]
[illegible]
[illegible] فقال عليه السلام [illegible]
[illegible] فنزلت ان كل نفس لما عليها حافظ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ان [illegible] الى [illegible]
[illegible]
[illegible] فلينظر الانسان مم خلق [illegible]
[illegible]
[illegible] خلق من ماء دافق [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] يخرج من بين الصلب والترائب [illegible]
[illegible]
[illegible] الصلب والترائب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] انه [illegible] على رجعه [illegible]
[illegible]

بعد

[illegible] يوم تبلى السرائر [illegible]
[illegible]
[illegible] من قوة [illegible]
[illegible] والسماء ذات [illegible]
الرجع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والارض ذات الصدع [illegible]
[illegible] انه لقول فصل [illegible]
[illegible] وما هو بالهزل [illegible]
[illegible]
[illegible] انهم [illegible]
[illegible] كيدا [illegible]
[illegible] واكيد كيدا [illegible]
[illegible]
[illegible] فمهل الكافرين [illegible]
[illegible] امهلهم رويدا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

النسخة الثالثة:

- رمزت لهذه النسخة بالرمز (ج)، ونجد على غلاف هذه النسخة المصورة أيضا ما يلي:

١. ختم بيضاوي وفيه ما يلي بالحرف التركي:

HACI MAHMUT EFENDİ. BEŞİKTAŞ. VAKIF KÜTÜPHANESİ

وترجمته بالعربية: حاجي محمود أفندي، بشيكتاش، مكتبة الوقف.

٢. وفي جانبه ختم دائري وفيه مالي:

T.C. İS. Süleymaniye Kütüphanesi Müdürlüğü, ١٩٢٣.

وترجمته بالعربية: الجمهورية التركية، أسطنبول، مديرية المكتبة السليمانية، ١٩٢٣.

٣. أورد الناسخ فهرست سور هذه النسخة، وهي: سورة آل عمران، سورة النساء، سورة المائدة، سورة الأنعام، سورة الأعراف، سورة الأنفال، سورة التوبة.

٤. وتحت الفهرس ما يلي: "هذا ما وجد من تفسير العلامة المحقق، خاتمة المدققين، مولانا شمس الملة والدين، أحمد بن سليمان بن كمال باشا، تغمده الله برحمته، آمين.

٥. ثمة مستطيل مكتوب فيه بالخط التركي، نصه:

SÜLEYMANİYE KÜTÜPHANESİ

KISMI: HACI MAHMUT EF.

ESKİ KAYIT NO: ٩٣

TASNİF NO:٢٩١,١

وترجمته بالعربية: المكتبة السليمانية، القسم: حاجي محمود أفندي، الرقم القديم: ٩٣، التصنيف: ٢٩١,١

- يبلغ عدد أوراق هذه النسخة (ج) ٥١١ ورقة، والقسم الذي أحققه يقع في ٩٤ ورقة.
- كل صفحة من هذه النسخة تحتوي ١٥ سطرًا، وفي كل سطر ما يتراوح بين ٨ و ١٠ كلمات، وخطها نسخي واضح مقروء غير مشكول، وقد كتب المخطوط بالحبر الأسود، أما الآيات القرآنية فقد كتبت مشكولة و بالحبر الأحمر.

سورة آل عمران   سورة النسا   سورة المائده

سورة الانعام   سورة الاعراف   سورة الانفال

سورة التوبه

هذا ما وجد من تفسير العلامة المحقق
خاتمة المدققين مولانا شمس الملة
والدين احمد بن سليمان بن
كمال باشا
تغمده الله برحمته
آمين

سورة الانعام مكية وهي مائة
خمس وستون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض

اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد باعتبار ذاته المستجمعة لجميع
صفات الكمال وحاوية نعوت الجلال والجمال ونبه
على استحقاقه له باعتبار افعاله العظام وآثاره
الجسام ايضا حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم
بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض مع انها مثلها
في العدد لان طبقاتها مختلفة بالحقيقة على ما ورد
في الاخبار دون الارض واما دلالة آثارها وحركاتها
على تعددها فبناها على اصول فلسفية باطلة
وقدمها لتقدمها وجودا لانه على خلاف ما ورد
في الاخبار الصحيحة على ما مر بيانه في تفسير سورة البقرة
بل لشرفها وعلو مقدارها وعموم نفعها باعتبار انها ناظر
العالم عن جميع الاجسام لطيفها وكثيفها كما عنه

ناس من المسلمين بذنوب امثال الجبال فيغفرها الله
لهم ويضعها على اليهود والنصارى ثم متعلق بقوله
ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر اما معترض
تأكيد لما ذكر الى ربكم لا الى غيره مرجعكم يوم القيمة
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون من الرشد ومن الغي
وتميز الحق من الباطل وهو الذي جعلكم خلايف
الارض خلا الامم الماضية في الارض ورفع بعضكم
فوق بعض درجات في المبالغة والمكنة والعلم
والعمر ليبلوكم اي ليمتحنكم فيما اتاكم فيما اعطاكم
من النعم وفيما ابتلاكم به من المحن بالصبر ان ربك
سريع العقاب اي لاعدائه وانما كان عقابه سريعا
لانه لا يحتاج الى استعمال الالات ولا يتوقف على
استحصال ادوات وانه لغفور رحيم اي لاوليائه
وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته
بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببنا المبالغة

وعلى

وعلى التاكيدات واللام ينبئها على انه تعالى غفور بالذات
معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة
مسامح فيها لقوله تعالى ثم جعلناكم خلايف في الارض
من بعدهم لننظر كيف تعملون ان استخلفكم فيها
بعد القرون اهلكناها استخلاف من يختبر ولا
يلزم من هذا ان يكون الخطاب للمؤمنين خاصة
وكل من جاء بعد ما مضى وهو خليفة الجمع خلايف
جاؤا به على الاصل مثل كريمة وكرايم وقالوا ايضا
خلفا من اجل انه لا يقع الا على مذكر وفيه الها
جمعوه على اسقاط الها فصار مثل ظريف وظرفا
لان فعيله بالهاء لا تجمع على فعلا

بسم الله الرحمن الرحيم

المص فقد سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدأ
محذوف انزل اليك صفة والمراد بالكتاب السورة
وهذا اولى بان يراد به القران لان البعض اذا

تقديم على الاخر وقيل قدم الرافة على الرحمة لان
الرأفة انما يكون باعتبار الحفظ والصيانة عن
الافات والنقايص التي يستحق العقاب والرحمة باعتبار
افاضة الكمالات والعادات التي بها يستحق الثواب
فالاولى من باب التزكية والثاني من باب التحلية
ونسبتها الى الاولى نسبة حريص الى عزيز فان تولوا
فقل اى فان اعرضوا عن الايمان بك فقل لهم
وفيه تلوين الخطاب ووجه التفريع اى مقتضى
الرأفة والرحمة ان لا يدعوا عليهم ولا يجازيهم
بالفعل الذى يؤذيهم اى فاقتصر على القول الجامع
للترغيب والترهيب حسبي الله فاستغنى بالله تعالى
وفوض اليه امرك فانه يكفيك معرتهم ويعينك
عليهم لا اله الا هو كالدليل على التسليم والتوكل
عليه توكلت فلا ارجوا ولا اخاف الا منه وهو
رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم
الاعظم

الاعظم المحيط الذى تنزل منه الاحكام والمقادير ١١
وعن ابي حنيفة رحمه الله اخر ما نزل هاتان
الايتان وقال البرا ابن عازب رحمه الله اخر
سورة انزلت كاملة براه ومن قال
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما انزل القران
الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة
وقل هو الله احد فانهما انزلتا على
سبعون الف صف من الملك فكانه
نسي ما قدمه من قوله
عن رسول الله عليه السلام
انزلت على سورة الانفال
جملة واحدة شيعها
سبعون الف ملك
الحديث

تمت الكتاب بعون الله الملك الوهاب
سنة ١٢١٦
٦١٤

ESKİ KAYIT NO: 93

TASNİF NO:291.1

وترجمته بالعربية: المكتبة السليمانية، القسم: حاجي محمود أفندي، الرقم القديم: 93، التصنيف: 291.1

- يبلغ عدد أوراق هذه النسخة (ج) 511 ورقة، والقسم الذي أحققه يقع في 94 ورقة.
- كل صفحة من هذه النسخة تحتوي 15 سطرًا، وفي كل سطر ما يتراوح بين 8 و 10 كلمات، وخطها نسخي واضح مقروء غير مشكول، وقد كتب المخطوط بالحبر الأسود، أما الآيات القرآنية فقد كتبت مشكولة و بالحبر الأحمر.
- ونجد في آخر نسخة هذه المخطوطة المصورة ما يلي:(تمت) الكتاب بعون الله الملك الوهاب، سنة 1216هـ، 14ج.
- ويلاحظ أن التطابق بين نسختين ب و ج كان كبيرا جدا، كأن النسخة ج منقولة من النسخة ب. وقد تبين لي ذلك من خلال المقارنة بين ما في هاتين النسختين من جهة، وبين ما في النسخة أ المختلفة عنهما من جهة أخرى.

3. مصادر ابن كمال باشا في التفسير:

اعتمد ابن كمال باشا رحمه الله في تفسيره اعتمادًا كبيرا على تفسير الزمخشري (الكشاف) المتوفى سنة 538 هـ، وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل) المتوفى سنة 685هـ، ولكنه لم يكن يشير دائما إلى ذلك. وقد ظهر أيضًا أنه استفاد من (البحر المحيط) لأبي حيان المتوفى سنة 745 هـ، وذلك في توجيهاته النحوية في تفسير الآيات القرآنية الكريمة. فمن تفسير الزمخشري نجد النقل التالي:

(﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إلزامٌ وتبكيتٌ؛ لأنهم لا يقدرون أن يُضيفُوا خَلقهما ومُلكهما إلى غيره تعالى، ولذلك عقَّبه بقوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ ﴾ تقريرًا لهم؛ أي: لا خلاف بيني وبينكم في ذلك..)

فهذه العبارة منقولة من الكشاف.

- ونجد في آخر نسخة هذه المخطوطة المصورة ما يلي:(تمت) الكتاب بعون الله الملك الوهاب، سنة ١٢١٦هـ، ١٤ج.
- ويلاحظ أن التطابق بين نسختين ب و ج كان كبيرا جدا، كأن النسخة ج منقولة من النسخة ب. وقد تبين لي ذلك من خلال المقارنة بين ما في هاتين النسختين من جهة، وبين ما في النسخة أ المختلفة عنهما من جهة أخرى.

٣. مصادر ابن كمال باشا في التفسير:

اعتمد ابن كمال باشا رحمه الله في تفسيره اعتمادًا كبيرا على تفسير الزمخشري (الكشاف) المتوفى سنة ٥٣٨ هـ، وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل) المتوفى سنة ٦٨٥هـ، ولكنه لم يكن يشير دائما إلى ذلك. وقد ظهر أيضًا أنه استفاد من (البحر المحيط) لأبي حيان المتوفى سنة ٧٤٥ هـ، وذلك في توجيهاته النحوية في تفسير الآيات القرآنية الكريمة. فمن تفسير الزمخشري نجد النقل التالي:

(﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إلزامٌ وتبكيتٌ؛ لأنهم لا يقدرون أن يُضيفُوا خَلقهما ومُلكهما إلى غيره تعالى، ولذلك عقَّبه بقوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ ﴾ تقريرًا لهم؛ أي: لا خلاف بيني وبينكم في ذلك..)

فهذه العبارة منقولة من الكشاف.

ونجد في موضع آخر: (﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ اعتراضٌ أكّدَ به إيجاب اتّباع الوحي... أو حالٌ مُؤكّدَةٌ مِن: " ربِّك "؛ بمعنى: منفردًا في الألوهيَّةِ...) فهذه العبارة منقولة بنصها من تفسير الكشاف.

ومن تفسير البيضاوي نجد النقل التالي:

(﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ أخبر بأنه تعالى حقيقٌ بالحمد باعتبار ذاته المستجمعة بجميع صفات الكمال وغيره، وعامَّة نعوت الجلال والجمال، ونبَّه على استحقاقِه له، باعتبار أفعاله العِظَام، وآثاره الجسام، أيضًا حُمِدَ، أولَمْ يُحمَدْ ليكونَ حجَّةً على الذين هم بربهم يعدلون؟، وجَمَع

السماوات دون الأرض، مع أنها مثلهنَّ في التَّعَدُّدِ؛ لأن طبقاتها مختلفة بالحقيقة، على ما ورد في الأخبار دون الأرض....) فهذه العبارة منقولة بنصها من تفسير البيضاوي.

ونجد في موضع آخر:

(﴿ ......فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (٣) متعلّق بمعنى اسم الله تعالى؛ أي: هو المستحِقُّ للعبادة فيها لا غير، أو هو المتوحِّد بالإلهية فيهما لا غيرَ...) فهذه العبارة منقولة أيضا بنصها من تفسير البيضاوي.

ومن تفسير البحر المحيط نجد:

(﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ (١٣) لما ذكر أن له مُلْكَ ما حوى المكان من السماوات والأرض، ذكر أنَّ له ما حوى الزمان، واشتمل عليه الملوان وكل واحدٍ من المكان والزمان، وإن كان مستلزمًا للآخر، لكن التنصيص عليمها أبلغ في مقام التقرير والبسط...) فهذه العبارة منقولة بنصها من البحر المحيط.

وأذكر هنا مصادر ابن كمال باشا الأخرى في تفسيره هذا، وحاولت تخريجها من خلال تفسيره لهذه السورة، مضيفا إليها ما زاد عليها مصطفى قليج، و تحسين أحمد، وأنور أربا[١] للفائدة.

- التفسير الكبير للرازي، ت ٦٠٦ هـ.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ت ٦٧١ هـ.
- تفسير النسفي للنسفي، ت ٧٠١ هـ.
- تفسير البغوي، ت ٥١٦ هـ.
- المفردات للراغب الأصفهاني، ت ٥١٦ هـ.
- معاني القرآن للزجاج، ت ٣١١ هـ .

---

(١) انظر: تحسين أحمد، تفسير ابن كمال باشا لسورتي التوبة ويونس، رسالة ماجستير غير مطبوعة، الجامعة الأردنية، سنة ١٩٩٤، ص:٧ ، وأنور أربا، تفسير ابن كمال باشا من خلال سور هود، ويوسف، والرعد، رسالة ماجستير غير مطبوعة، الجامعة الأردنية، سنة ١٩٩٤، ص٢٤.

İbn-i Kemal,Hayatı,Tefsire Dair Eserleri ve Tefsirindeki Metodlar; Mustafa Kılıç sayfa-١٢٧.

- أسباب النزول للواحدي ت ٤٦٨ هـ
- الصحاح للجوهري، ت ٣٩١ هـ.
- الكتاب لسيبويه، ت ١٨٠ هـ.
- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ت ١٧٠ هـ.
- تهذيب اللغة للأزهري، ت ٣٧٠ هـ.

٤. طريقة المؤلف في التفسير:

لعلّ أسلوب النقل الحرفي من مصنفات الآخرين الذي بدا ظاهرًا في ثنايا تفسير ابن كمال باشا هو أول ما يلفت انتباه الباحث والقارئ، ويجعله يتوقف مليّا عند بداية تفسير كل آية، لئلا يضيع بين ما يورده ابن كمال باشا لنفسه، وما يورده منقولا من التفاسير الأخرى، سواءً ما كان نقلا حرفيّا مباشرًا، أو نقلا مع بعض التصرف. ومع أنه كان يرجح قولا على قول، أو تفسيرا على تفسير إلا أنّ ذلك لا يعني بالضرورة أنّ المعنى المقصود قد وَضُح للقارئ، لأنه كان يكتفي بوضع القول الراجح عنده في بداية النقول، دون الالتزام بترتيب معيّن، يتوافق مع ما ورد في الكتاب الذي ينقل منه. وسيتضح لدى النظر في تفسيره هذا مصداق هذا الحكم في حينه.

السمات العامة لتفسير ابن كمال باشا:

يلاحظ أن ابن كمال باشا اعتمد على مناهج متعددة في تفسيره لسورة الأنعام. وأبرز تلك المناهج ما يلي:

١-) التفسير بالمأثور:

معلوم لدى المطلعين على كتب تفسير القرآن الكريم أن التفسير المأثور يقوم على دعامتين بارزتين، هما:

أ- تفسير القرآن بالقرآن.

فقد كان ابن كمال باشا يستعين على تفسير بعض الآيات بإيراد تفسيرها من القرآن الكريم نفسه، فمن ذلك قوله: "إن القرآن الكريم بعضه يفسر البعض". والمثال على ذلك:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ ﴾ ﴿٢٧﴾ من وقفه (أي: حبسه؛ لأنه قال في موضع آخر (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) أي: يُحبَسُون، والقرآن يفسِّر بعضُه بعضًا". انظر صفحة:٦٢.

ب- تفسير القرآن بالحديث الشريف.

اعتمد ابن كمال باشا كغيره من أرباب التفسير بالمأثور على تفسير الآيات القرآنية بالأحاديث الشريفة التي ترتبط بها، سواء ما كان منها لتوضيح وجوه المعاني اللغوية، أو لبيان الأحكام الفقهية. غير أنّه لم يعنِّ نفسه ببيان ما صحّ من تلك الأحاديث، أو ضعف منها، وفيما يلي أيضًا بعض الإشارات إلى هذه المواطن في جزء التفسير هذا:

﴿ (١٢١) وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ يقول تفسيرا وتعليقا على هذه الآية: ظاهره في تحريم المتروك عليه اسمُ الله تعالى عمدًا أو نسيانًا، وعليه أحمدُ، ومالكُ، وداودُ، خلافًا للشافعيِّ لقوله: صلى الله عليه وسلم : "ذبيحةُ المسلم حلالٌ وإن لم يَذْكُر اسمَ الله عليها". وفرَّق أبو حنيفة بين العَمْدِ والنسيانِ، وأوّلَهُ بالميتة، وبما ذُكِرَ اسم غير الله تعالى عليه... ونجده في موقع آخر يستشهد بالحديث النبوي الشريف في تفسير الآية الكريمة : ﴿ (١٦٠) مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ فيقول: لم يَقُلْ: "من عمل الحسنة"؛ ليُعْلَمَ أنَّ النَّظرَ إلى ما خُتِمَ به، وعلى ذلك قال صلى الله عليه وسلم: "... الأعمالُ بالخواتيم".

٢-) أسباب النزول:

كان المصنف يذكر أسباب نزول الآيات القرآنية الكريمة، جاعلا مورده الأساسي في هذا الذكر تفسيري الزمخشري والبيضاوي، كما أنه اعتمدَ أيضًا على كتاب الواحدي في أسباب النزول. وهنا أيضًا كان يكتفي بإيراد سبب النزول المأثور، دون أن يعلّق أو يعقب بذكر نصيب الرواية من الصحّة أو الضعف، وأورد هنا مثالين على ذلك:

(﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ يقول تعقيبا على هذا: المراد بنفي تكذيبه، صلى الله عليه وسلم، استعظام تكذيبه؛ بجعله تكذيبَ الله تعالى، لا نفيُهُ حقيقةً ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ بل يكذبون الله تعالى بجحود آياته والاستهانة بكتابه، فتكذيبك تكذيبه، ومعنى كذَّبه: جعله كاذبًا في زعمه، رُوِي أنَّ أبا جهلٍ كان يقول: " ما نَكذِبُك وإنّك عندنا لمصدّق، وإنما نكذب ما جئتنا به فنزلت.)

وفي آية أخرى:{ ﴿ (٥٤) وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ نجده يقول: "قيل: إن قومًا جاؤوا إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقالوا: " إنَّا أصبنا ذنوبًا عظامًا. فلم يَرُدَّ عليهم شيئًا، فانصرفوا " فنزلت.*(

٣-) الإفادة من كتب القراءات القرآنية:

أفاد ابن كمال باشا كثيرا من كتب القراءات القرآنية، إذ كان على دراية كافية بكتب القراءات، وكان يحرص في هذا السياق على الإشارة إلى القراءات المختلفة للآية القرآنية، التي يقف على تفسيرها، ويتوسع في عرض معناها. ومن الأمثلة التي تستحضر في هذا المقام وقوفه على قوله تعالى: ﴿ وَلَلَبَسۡنَا ﴾ .... قُرِئ باللامين على تقدير شرط آخر، وقُرِئ بلام واحدة على العطف، وبالتشديد فيهما للمبالغة. (انظر ص:٤٧)

ومن الأمثلة أيضا: ﴿ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ ﴾ .... وقرئ يكن بالياء التحتانيَّة، وفتنتَهم بالنَّصبِ، على أنَّ الاسم: " أن قالوا "، وقُرِئ: [تكن] بالتاء الفوقانية، والنَّصْبِ على تقدير: " أن قالوا " مؤنَّثا؛ أي: "ثُمَّ لم تكن فتنتَهم إلا مقالتُهم، وهذا أحسن من اعتبار التأنيث في الخبر. وقُرِئ: بالتاء الفوقانية، والرَّفع على أنها الاسم. (انظر ص:٥٨)

٤-) التفسير بالرأي

اعتمد ابن كمال باشا في التفسير على مصادره دون عزوٍ إليها، بالرغم من اعتماده على النقل من بعض كتب المفسرين التي ذكرناها، فكان يعمد في بعض الأحيان إلى توضيح ما كان غامضًا في معناه، معتمدًا في ذلك على آلة اللغة من نحو وصرف وبلاغة، فيوضّح أوجه الإعراب المختلفة، ثم ينتقل إلى صور البلاغة في الآية، من تشبيه، واستعارة، وطباق، وجناس وغيرها.

فمثلا عند وقوفه على قوله تعالى :﴿ ﴿١٣٧﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ ﴾ نجده يقول: وعلى البناء للمفعول، وهو القَتْلُ، ورَفْعُ (شركاؤهم) بإضمار فِعْلٍ، دلَّ عليه المذكور؛ كأنَّه قِيْلَ: "مَنْ زيَّنَهُ؟" فقيل: "زيَّنه شركاؤهم"، وأمَّا قراءة ابنُ عامرٍ [زُيِّنَ] على البناء للمفعول؛ وهو القتل، ونَصْب (أولاد)، وجَر الشُّركَاءِ على إضافةِ القَتْلِ إليه، والفَصْلُ بينهما بغير الظَّرْفِ، فقد رُدَّت بأنَّ: ذلك غيرُ مَقبُولٍ في مَقَام الضرورة كما في [قوله]

زَجَّ القَلوصِ أبي مَزَادَه

فكيف به في غيره، لكنَّه مردودٌ؛ لأنَّه مُختَلَفٌ فيه بين النحويين على ما ذكره أبو حيَّان، ووقوعُهُ في قراءةٍ متواترةٍ دالٌّ على الصِّحَّة؛ لأنَّ العربيَّة تَثبُتُ بالقرآن، وفَهْمُ العَكس من عكس الفَهْم، ثمَّ إنَّه لا ضرورة في الشِّعر المذكور كما تُوُهِّمَ؛ لاستقامة الوزن، والقافِيَةُ بجرِّ " القَلُوص " ورَفْع " أبي " ، واعتقادُ الضَّعْفِ في مثل تلك القراءة من ضعف الاعتقاد؛ مَبْنَاهُ: عَدَمُ الاعتمادِ على القراءة، والطعنُ في الإسنادِ، ولا يخفى ما فيه من الفساد. (انظر ص:١٦٢)

٥-) الاستشهاد بالشعر:

من السمات التي تجلّت في تفسير ابن كمال باشا هي إكثاره من ذكر الشواهد الشعرية في معرض بيان المعنى، أو ترجيح معنًى على آخر، فمثلا يقول في تفسير الآية: ﴿ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ : الاستقرار هنا دون الاستيداع؛ وهو: جعلُ الشيءِ في الشيء للاحتفاظ به، قال الحسن: المستقِرُّ مَنْ مات، والمستودَعُ أنتم. وأنشد:

فجعَ الأحبة بالأحبة قبلنا … فالناسُ مفجوعٌ به ومفجّعُ

مستودِعَ أو مستقَرَّ قد خلا … فالمستقرُّ يزوره المستودعُ

وكان يقول : يا ابن آدم أنت وديعة في أهلك، وينشد:

وما المال والأهلون إلا وديعةٌ … ولا بد يومًا أن ترد الودائعُ

٦-) عرض أقوال المفسرين ومناقشتها:

يعرض ابن كمال باشا لأقوال غيره من المفسرين، وقلنا إنه يكثر من الإشارة إلى تفسيري الزمخشري والبيضاوي رحمهما الله، إلا أنه كان في بعض المواطن يناقش هذه الآراء، ويردّ بعضها إن لزم ذلك. ومن الأمثلة على ذلك في رده على البيضاوي في تفسير الآية: (﴿ ﴿٧٥﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ أي: وفعلنا ذلك ليكون من المحقّقِين، قيل: أي لِيَستدِلَّ ولِيَكُونَ، ويأباه اللام والواو، فإنهما لا يُذكَرَان بين الاستدلال وما يترتَّبُ عليه.)

٧-) غلبة الحس النحوي على تفسيره:

يلاحظ المطلع على تفسير ابن كمال باشا عنايته الفائقة بالآراء النحوية، وبالإعراب، والتصريف حتى لكأن كتابه هذا كتاب في النحو التطبيقي. وبيان ذلك مثلا:

(﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ ﴾ ﴿٦٩﴾ ..... فذكرى نُصِبَ على المصدر، ويجوز أن يكون مرفوع المحلِّ أي: عليهم ذكرى. ولا يجوز عطفه على محلِّ " من شيء " ؛ لأنَّ " من حسابهم " يأباهُ، لأنه حال من شيءٍ قُدِّم عليه فصار قيدًا للعامل، فإذا عطف ذكرى عليه، كانت جهة القيد مُعتَبرةً فيه بحكم الاستعمال في عطف المفرد على المفرد، لا سيَّما بحرف الاستدراك، فيؤول المعنى إلى أن عليك من حسابهم ذكرى، وذكرى ليس من حسابهم.)

وهذا مثال آخر على ذلك:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ ﴿٢٥﴾ جمعُ: كنان؛ وهو: ما يَستُرُ الشيءَ كالغطاء ﴿ أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ ﴾ .... حتى: هي التي يقع بعدها الجُمَلُ، والجملةُ بعدَها هيالشَّرطيَّةُ، يجادلونك: في محلِّ الحال وجواب الشرط.

﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ وفيه وضع المُظْهَرِ مَوضِعَ المُضمَرِ للتسجيل عليهم بالكفر والعناد مع وضوح الآيات، ويجوز أن يكون "حتى" هي الجارَّة، و"إذا" لمجرَّد الظرفيَّة في محلِّ الجرِّ، فلا يكون لـــه جوابٌ؛ أي: حتى وقت مجيئكم، ويقول الذين كفروا: تفسيرٌ لـــ"يجادلونك" ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأساطير: الأباطيل، الواحدة الأسطورة بالضَّمِّ، وإسْطارَة بالكسر، وجَعْــلُ أصــدق الحــديث خُرَافاتِ الأولين غَايَتُه: التكذيب، ويجيء الأساطير جمع أسطارٍ، جمع سَطَرٍ بالتحريــك، بمعنــى الخطِّ والكتابة، على هذا ينطبق ما روي عن النَّضْر فيما سبق. وأما السَّطْر بالــسكون فجمعــه: أسطر وسطور.)

٥. قيمة الكتاب العلمية:

لقد قلت فيما سبق إن اسم ابن كمال باشا قد ارتبط بتفسيره، وهذه إشارة إلى الأهمّية التي يحتلها هذا المصنَّف من بين ما كتبه من مؤلفات، فهو يمثل زبدة فكره، وتمكن دراسة تفسيره من الوقوف على رصيد صاحبه اللغوي، وثقافته النحوية، والبلاغية.

وتتضح قيمة هذا الكتاب أيضا بما نقرأ من إشادات العلماء فيه ممن أثبتنا شهاداتهم فيه في صفحات سابقة من هذه الدراسة.

ويلاحظ أن المصنّف لم يكتف بالنقل من الكتب الأخرى في تفسيره، بل اعتمد منهجًا ناقدًا، يزن الأمور ويحررها، ويختار ما صح منها، وكثيرا ما كان يردّ آراء الآخرين. والمثال على ذلك ما يقوله في تفسير ﴿ (١٣٧) وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾...: ورَفعُ شركاؤهم بإضمار فِعْلٍ دلَّ عليه المذكور؛ كأنَّه قِيْلَ: "مَنْ زيَّنَهُ؟" فقيل: "زيَّنه شركاؤهم"، وأمَّا قراءة ابنُ عامرٍ زُيِّنَ على البناء للمفعول؛ وهو القتل، ونَصْبِ أولاد وجَرِّ الشُّرَكَاءِ على إضافةِ القَتْلِ إليه، والفَصْلُ بينهما بغير الظَّرْفِ. فقد رُدَّت بأنَّ: ذلك غيرُ مَقبُولٍ في مَقَامِ الضرورة كما في قوله:

.... زَجَّ القَلُوصَ أبي مَزَادَه

فكيف به في غيره، لكنَّه مردودٌ؛ لأنَّه مُختَلَفٌ فيه بين النحويين على ما ذكره أبو حيَّان، ووقوعُهُ في قراءةٍ متواترةٍ دالٌّ على الصِّحَّة؛ لأنَّ العربيَّة تَثبُتُ بالقرآن، وفَهْمُ العَكس من عكس الفَهْم، ثمَّ إنَّه لا ضرورة في الشِّعر المذكور كما تُوُهِّمَ؛ لاستقامة الوزن، والقافِيَةُ بجرِّ " القَلُوصِ " ورَفع " أبي " ، واعتقادُ الضَّعْفِ في مثل تلك القراءة من ضعف الاعتقاد مَبْنَاهُ: عَدَمُ الاعتمادِ على القراءة، والطعنُ في الإسنادِ، ولا يخفى ما فيه من الفساد.) (انظر ص:١٦٢).

وهذا مثال آخر يبين عن استقلال فكره في رده على المعتزلة، فيقول:

﴿ (١٤٢) وَمِنَ الْأَنْعَامِ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ أي: ما أحلَّ لكم منه، ولا دلالة فيه على أنَّ كلَّ رزقٍ مأكولٍ حتى ينتهض حجة للمعتزلة في أنَّ الحرام ليس برزق....

ومثال آخر على ذلك في رده على المعتزلة وقوفه عند قوله تعالى:

﴿ ١٦٠ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ﴾ إذ قال: (أي: واحدةٌ بواحدةٍ، هذا بحُكْمِ الوَعْدِ لا باقتضاء العدل كما توهَّمَهُ المُعتزلةُ؛ إذ لا حقَّ للخلق على الخالق ﴿ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ بنقص ما وَعَدَ لهم من الأجر وبالعقاب بلا استحقاق.)

٦. منهجي في التحقيق:

١- استعنت بالمصادر التي رجع إليها المصنف في المقابلة بين النسخ الثلاث، فأثبت ما ورد في هذه المصادر إذا توافق مع إحدى النسختين في الأصل، وأشرت إلى الخطأ في الحاشية.

٢- اعتمدت في رسم الكلمات الرسم المتعارف عليه الآن بين أبناء العربية، وألغيت الاختصار المعتمد لدى الناسخ؛ مثل: كلمة "حينئذ" كان أوردها الناسخ مقتصرًا على ذكر الحرف "ح"، ومثل كلمة تعالى فقد اقتصر الناسخ على إيراد اختصار لها باستخدام أول حرفين منها: "تع".

٣- وضعت أرقام الآيات في بداية كل آية.

٤- عزوت الآيات القرآنية التي استشهد بها المؤلف إلى مواضعها بذكر السورة ورقم الآية.

٥- خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة التي استشهد بها المؤلف من (مظانها).

٦- خرّجت القراءات القرآنية الواردة في التفسير مع الترجمة إذا لم يذكر المصنف القراءات المتعددة في الآيات، وحاولت الاختصار في ذلك.

٧- بينت القراءات الشاذة من كتب القراءات.

٨- عزوت أبيات الشعر إلى مصادرها، وذكرت من نسب إليه، وشرحت غامضها، وبينت وجه استدلال المصنف بها على معنى الآية، أو على قضية نحوية، أو لغوية أراد إثباتها.

١٠- ذكرت تراجم الأعلام الذين أوردهم المصنف في تفسيره في آخر الكتاب.

١١- عرفت بالأماكن والملل والفرق والقبائل التي ذكرها المصنف في تفسيره.

١٢- شرحت والكلمات والعبارات الغامضة في النص من المعاجم اللغوية كمعجم العين للخليل بن أحمد، وتاج العروس للزبيدي، ولسان العرب لابن منظور.

١٣- وضعت الفهارس العلمية التالية:

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأعلام
- فهرس الأشعار
- فهرس الأماكن والملل والفرق والقبائل
- ثبت المصادر والمراجع

الفصل الثاني

سورة الأنعام

[سورة الأنعام مكية وهي مائة وخمس وستون آية] [١] [٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ أخبر بأنه تعالى حقيقٌ بالحمد باعتبار ذاته المستجمعة بجميع صفات الكمال وغيره، وعامَّة نعوت الجلال والجمال، ونبَّه على استحقاقِه لـــه، باعتبـــار أفعاله العِظَام، وآثاره الجسام، أيضًا حُمِدَ أولمْ يُحمَدْ لِيكونَ حجَّةً على الذين هم بـــربهم يعـــدلون، وجَمَع السماوات دون الأرض، مع أنها مثلهنَّ في التَّعَدُّدِ؛ لأن طبقاتها مختلفة بالحقيقة، على مـــا ورد [في الأخبار] [٣] [٤] دون الأرض [١] ، وأما دلالة آثارها وحركاتها على تعدُّدها فمبناها على

([١]) ما بين معكوفين أسقط من الأصل أ ، والتصويب من ج.

([٢]) سورة الأنعام مكية، غير ست آيات أو ثلاث آيات من قوله: (قل تعالوا أتل)، انظـــر **أنـــوار التنزيـــل وأســـرار التأويل**، ط ١، ٥.

وقال الطبري في تفسيره: " عن كعب: فاتحة التوراة فاتحة الأنعام: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ وخاتمة التوراة خاتمة هود " ، انظر **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٥، ص١٤٣. ويعني بـــ" فاتحة ": أي أولها من السورة وأولها من التوراة، كما يعني بـــ " خاتمة " الأولى: آخر ما ورد في التوراة، والثانية: آخر آية من سورة هود.

([٣]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بالأخبار]، والتصويب من ب.

([٤]) من الأحاديث التي ورد فيها ذكر طبقات السماوات ما رواه أبو داوُد في سننه -في كتاب الطب- عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت في البطحاء فِى عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ « مَا تُسَمُّونَ هَذِهِ ». قَالُوا السَّحَابَ. قَالَ « وَالْمُزْنَ ». قَالُوا وَالْمُزْنَ. قَالَ « وَالْعَنَانَ ». قَالُوا وَالْعَنَانَ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ لَمْ أُتْقِنِ الْعَنَانَ جَيِّدًا قَالَ « هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ». قَالُوا لاَ نَدْرِى. قَالَ « إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَوِ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلاَثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ ». حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ « ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاَهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلاَفِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِمُ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاَهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ثُمَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ »، سنن أبي داوُد: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـــ)، بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ٤/٢٣١ .

أصول فَلْسَفيَّةٍ باطلةٍ، وقدَّمها لا لتقدُّمها وُجُودًا ؛ لأنه على خلاف ما ورد في الأخبار الصحيحة، على ما مرَّ بيانه في تفسير سورة البقرة، بل لشرفها وعلوِّ مكانها، وعبَّر بهما، باعتبار أنهما [قُطْرَا] [٢] العالم عن جميع الأجسام لطيفها وكثيفها، كما عبَّر بالظلمات والنور عن جميع الأعراض، مَحْسوسِها بالبصر، وغائبها عنه.

﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ أنشأهما، والفرق بين خلق، وجعل المتعدِّي إلى مفعول واحد، أنَّ الخلق: فيه معنى التقدير والتسوية، والجعْل المذكور: فيه معنى التعلُّق، والارتباط بالغير؛ بأن يكون فيه، أو منه، أو إليه، لا بأن يُصَيِّرَ إياه؛ لأنه معنى آخر للجعل فإنه حينئذ يتعدَّى إلى المفعولين؛ ولهذا، أي: ولكون الارتباط بالغير معتبرًا في معناه [آثره][٣]. ههنا تحقيقًا لما في الظلمة والنور من معنى القيام بالغير، وتضمينًا للرد على الثنوية،[٤] بتقدير عدم صلاحيتهما للقيُّوميَّة[٥] ، وجمع الظلمات دون النور، لاختلاف أجناس ما غاب عن البصر اختلافًا فاحشًا، بحسب اختلاف مظاهره من القوى الظاهرة والباطنة، بخلاف النور، وقدَّمها لتقدُّم جنس الغائب عن البصر ظهورًا، فإنه يظهر للإنسان وهو جنين، ولا يظهر له ما يُدْرَك بالبصر، ما لم يولد، ولرعاية المناسبة كما تقدَّم.[٦]

([١]) **تفسير ابن كمال باشا سورة البقرة**، الربابعة، نوح مصطفى. ج١، ص٤٤١، وانظر أيضًا **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ج٢، ص١٥٣.

([٢]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [قطري] ، والتصويب من ب.

وقطرا العالم أي: أحدهما محيط والآخر مركز، تعليق النسخة ب، ص١٦٧.

([٣]) في الأصل أ: أخّره، والتصويب من ب.

([٤]) الثنوية هم أصحاب الاثنين الأزليين: يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، وهؤلاء قالوا النور والظلمة لا يزالان حيين إلا أن النور عالم حساس والظلام جاهل أعمى والنور يتحرك حركة مستوية مستقيمة، انظر الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ٤٩.

([٥]) أي: القيام بتدبير شؤون السماوات والأرض.

([٦]) **تفسير ابن كمال باشا سورتي الفاتحة والبقرة**، الربابعة، نوح مصطفى الفقير. مرجع سابق، ج٣، ص٥٩٥.

﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يعني بالآخرة، على ما أفصح عنه قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ)[١] عطف على " خلق " ، وفي "ثُمَّ" معنى استبعاد تَرْكِ الإيمان بعد أن قام عليه البرهان [٢]، كأنه قيل [٣]: [حصول] [٤] ما أوجب توحيده من خلق السماوات والأرض وما بينهما، بناءً على أنه: (لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا)[٥]

﴿ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ حذف المفعول حفظًا للفواصل تقديره: " يعدلون غيره " ؛ أي: يشركون به.

وأصل العدل [٦]: المساواة، أي: ساوَوا بين الله تعالى، خالق العالم، وبين أصنامهم العاجزين عن الخلق [٧]، ثُمَّ إن هذا العطف ليس على قصد أنه صلة أخرى، أو بعض الصلة، بل على قصد أنه من الرَّوَادِفِ لتلك الصلة، ولهذا حسن كلمة الاستبعاد، دون كلمة التشريك، وبتمحُّضها له تمحّض الفاء للسببية في قولنا: ما تأتيني فأكرمك، انقطع علقة التشريك، فلم يكن في معنى الحمد لله الذي

([١]) من سورة الأنعام الآية: ١٥٠.

([٢]) انظر تفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيراز البيضاوي، ت ٦٥٨ هـ، مطبوعات أسعد محمد سعد الحبال، ١٨٨٧، جدة، ج٢، ص٣٨٩.

([٣]) انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ت١٢٧٠هـ، دار إحياء التراث العربي،ج١٥، ص٥٠٣.

([٤]) في النسخة ب : " حَصَلَ " والتصويب من أ .

([٥]) في الأصل أ: " لو كان فيهما إله آخر لفسدتا " ، والتصويب من ب. نسب لأمية ابن أبي الصلت الذي آمن شعره وكفر قلبه فكان يوحد الله في شعره ويذكر دلائل توحيده من خلق السماوات والأرض وأحوال الآخرة والجنة والنار، الرازي. فخر الدين، **مفاتيح الغيب**، الشهير بـ: تفسير الرازي، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، ت ٦٠٤ هـ، ج٣، دار الفكر، ص٤٥.

([٦]) العَدْلُ: ضد الجور وما قام في النفوس أنه مستقيم، القاموس المحيط، فصل عدل، ص١٣٣١.

([٧]) والمعنى: أن الكفار يعدلون بربهم الأوثان؛ أي يسوونها به سبحانه وتعالى، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص١٥٣.

عدلوا به، ولتضمُّنه البشارة بالإشارة إلى غاية لطفه، ونهاية حلمه، زاد وجه ذلك الإرداف حُسنًا ولطافة.

ويجوز عطفه على "الحمد لله"، والمعنى: أنه تعالى حقيقٌ بالحمد على ما خلقه، نعمةً على العباد، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه، فيكفرون نعمته، وحذف صلة "يعدلون" إيقاعًا للإنكار على نفس الفعل، وَوَضَعَ المُظْهرَ مَوْضِعَ [المُضْمَر] (١) الراجع إلى الموصول، تنبيهًا على أنه تعالى خلق هذه الأشياء، أسبابًا لِتَكَوُّنِهم، وتَعيُّشِهِمْ، فمن حقّه أن يُحْمَد عليها، ولا يُكفَر، ومعنى (٢) "ثمّ" على هذا الوجه: استبعاد عدولهم عنه بعد ذلك.

﴿ ٢ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ أي: خَلَقَ أصلَ مَادَّتِكِم، و[هو] (٣) الأغذية التي [تتَكَوَّنُ] (٤) منها النطفة، أو مادّة أصلكم، وهو آدم عليه السلام كائن من طين، وللتَّباعد بين الخلق الصُّوَرِيِّ والتقدير المعنويِّ، قال: ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾ ينقص عنده مدة الحياة ﴿ وَأَجَلٌ ﴾ هو أجل القيمة ﴿ مُّسَمًّى ﴾ مثبت، معيَّن لا يقبل التغير أصلاً ﴿ عِندَهُۥ ﴾ أي: أثبت تعيينه ثم أخبر بأن ذلك التعيين عنده حسمًا لطبع التغيُّر، ولكون ذلك الأجل مبهمًا، نظرًا إلينا، ذُكِر منكّرًا، وإنما قُدِّم، وهو نكرةٌ، على خبره، وهو ظرفٌ لفاصلٍ بينهما، بما هو مُخَصِّصٌ له.

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ الامتراء: التردُّد في المتقابلين، مأخوذ من مرى الضرع؛ أي: مسحه، والفرق بينه وبين الريب والشك قد مرَّ بيانه في تفسير [سورة البقرة](٥) ، ذكر: " ثم " مع زيادة الالتفات في " أنتم " تنبيهًا على زيادة الاستبعاد؛ فإن دلالة كلٍّ من دليل المبدأ والمعاد، على المراد، وإن

---

(١) ما بين معكوفين أسقط في نسخة الأصل أ، والتصويب من ب.

(٢) سقطت في الأصل، والتصويب من ب و ج.

(٣) في الأصل: هذه، والتصويب من ب وج.

(٤) في الأصل أ: " يتكون " والتصويب من ب.

(٥) انظر: تفسير ابن كمال باشا، سورتي الفاتحة والبقرة دراسة وتحقيق وتعليل، نوح مصطفى محمد الربابعة، رسالة ماجستير غير مطبوعة، الجامعة الأردنية، سنة ١٩٩٢، ص:٨٣.

كانت ظاهرةً، إلا أنَّ ما يُؤْخَذُ مبادئه من الأنفس أقرب إلى الناظرين مما يؤخذ مبادئه من الآفاق، كأنه قيل: خُلقتم من جماد، لا حظَّ له من الحياة، وعِشتُم مرَّةً ، فكيف تشكُّون مع ذلك، وتـرَدَّدُون في أمر البعث بإعادة تلك الحياة الزائلة وهي أهون من الإحداث ابتداءً.

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ ﴾ (٣) الضمير لله تعالى، والله خبره.

﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ متعلّق بمعنى اسم الله تعالى؛ أي: هو المستحِقُّ للعبادة فيها لا غير، أو هو المتوحِّد بالإلهية فيهما لا غيرَ، ويجوز أن يتعلّق الظرف بقوله: ﴿ يَعْلَمُ ﴾ ويكفي لـصحَّة الظرفية كون المعلوم فيهما، كقولك: " رميت الصيد في الحرم " إذا كنت خارجه، والصيدُ فيه، أو بالمصدر، وهو بمعنى المفعول، فليس بمقدَّرٍ بحرف مصدرٍ وصلته حتى يلزم تقدُّم صلته عليـه، والجملةُ: خبرٌ ثانٍ، أو هي: الخبر، والله بدلٌ، ويجوز أن يكون الظرف مستقرًّا، وقع خبرًا، بمعنى أنه لكمال علمه بما فيهما، كأنه فيهما وفي الجملة الفعلية الواقعة حالاً عن ضمير الاستقرار في الظرف بيانٌ، وتقديرٌ له ﴿ سِرَّكُمْ ﴾ باطنكم أي: نفوسكم ﴿ وَجَهْرَكُمْ ﴾ ظاهركم أي: أبدانكم وعلى تقدير تعلُّقِ الظَّرْفِ بالفعل المذكور يكون [المعنى][1] : " يعلم نفوسكم المقارنة في السماوات أو نفوسكم المقارنة لأبدانكم في الأرض.

﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ بالقوى النفسانية، والجوارح البدنية؛ لأنه تعالى خالق والخلق كاسِبٌ، ولمَّا كان مقتضى العلم بذلك كونه خالقًا له -وهو مظنَّة الاشتباه- حتى ضلَّ فيه كثير من الناس، أعاد الفعل اهتمامًا بتحقيق ذلك المُقْتَضَى، ولما أثبت المبدأ مع ما يتوقف عليه البداية من التوحيد، ثم أثبت المعاد مع ما يتوقف عليه الإعادة من العلم، بيَّن ثبوت النبوَّة بشهادته فأوعد للمنكرين بقوله:

([1]) ما بين معكوفين سقطت في الأصل، والتصويب من ب.

﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ ﴾ ﴿٤﴾ " مِنْ " الأولى: مزيدة للاستغراق، دلَّ عليه وقوع آية في سياق النفي، والثانية: للتبعيض؛ كأنه قيل: " وما يأتيهم بَعضٌ من الآيات، أيَّ بعض كان، " فلا منافاة بين هذا التبعيض والاستغراق. و" الآيات " هي المعجزات الظاهرة لهم، وإسنادها إلى الرب للتعظيم، والتنبيه على أنها صادرة عنه تعالى تصديقًا للنبي عليه السلام.

﴿ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴾ تاركين لها غير مُلتَفِتِيْن إليها؛ لكونهم غير مبالين بالعواقب، وفي العدول عن صيغة الفعل وزيادة "كان"[1] دِلالةٌ على شِدَّةِ إعراضهم، وقوة ثباتهم فيه، وزيادة تجرُّؤهم عليه.

﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ ﴾ ﴿٥﴾ كلام كاللازم لما قبله؛ أي: إذا أعرضوا عن الآيات كلها فلا عَجَبَ، فقد كذَّبوا بما هو أعظم الآيات كلّها وجلّها وهو الحق ﴿ لَمَّا جَآءَهُمۡ ﴾ [أي: بها، أو كالدليل عليه؛ أي: أعرضوا عن الآيات كلها وجلها] [2] أي: القرآن الذي تُحدُّوا به فعجزوا عن الإتيان بمثله، وكأنه لوضوحه معلومٌ عند الكل أن الحق هو، لا يحتاج إلى تسميته، وعلى [هذا] [3] معنى الإبهام في أنباء ما كانوا لتعظيم القرآن، وتفخيم شأنه؛ أي سيعلمون بأي شيءٍ استهزأوا، وينكشف لهم أنه لم يكن [في موضع] [4] استهزاء.

﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ ﴾ يعني [أنَّ] [5] الإتيان كائنٌ لا محالة، وإن تأخَّر، ففائدته توكيد الوعيد وتثبيته، لا بيان كونه متأخرًا.

([1]) ما بين معكوفتين سقطت في الأصل، والتصويب من ب.

([2]) ما بين معكوفتين سقط في الأصل أ بهذا الموضع، والإضافة من النسخة ب والنسخة ج.

([3]) ما بين معكوفين غير موجود في الأصل أ، والتصويب من ب.

([4]) في الأصل أ: [لموضع]، والتصويب من ب.

([5]) ما بين معكوفين أسقط في الأصل أ، والتصويب من ب.

﴿ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ أخبار ما استمرُّوا عليه بتجديد الاستهزاء به حينًا فحينًا، تارةً بنسبه إلى السحر والكهانة، وأخرى إلى الشّعر وأساطير الأوّلين (إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ *وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ) [١] والمراد من إخباره، ما فيه من الوعد للمُصدِّقين، والوعيد للمنكرين آجلاً وعاجلاً، وهذا منهم غايةُ العصيان، ونهايةُ التّمادِيْ في الطُّغيان؛ حيث أعْرَضوا عمَّا هو آيةٌ بيِّنة أوّلا، وكذّبوه ثانيًا، وسَخِروا به ثالثًا. ومَنُّ الرحمن، زيادةُ فضلٍ وإحسانٍ؛ إذ أخَّرهم إلى حينٍ، ولم يُعجِّل لهم بالعذاب المهين، فشدَّد عليهم النَّكِيْرَ وهدَّدهم، ثم جاءهم بالموعظة والتذكير بقوله:

﴿ (٦) أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ ﴾ "كم" مفعول "أهلكنا"، و"مِن": تبيينٌ لإبهامها؛ أي: كثيرًا من القرون أهلكنا وكلَّ أهل عصر قرنٌ لمن بعدهم؛ لأنهم يتقدَّمونهم؛ مأخوذٌ من قَرْنِ الشمس، وهو: أعلاها وأوّل ما يبدو منها، وقال الزجَّاج: [٢] " [عندي] [٣] القرن هو أهل كل مدَّة كان فيها نبيٌّ، أو طبقة من العلماء قلّت السنون أو كثرت "، والتقدير يردُّه قوله –صلى الله عليه وسلم– : "خيركم قرني –يعني: أصحابه رضي الله عنهم، ثم الذين يلونهم، يعني: التابعين، ثم الذين يلونهم"[٤] يعني: تابعي التابعين.

﴿ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [أي:][٥] أثبتناهم فيها ممكنين إياهم وإثباتهم فيها كناية عن طول عمرهم، كما أن تاليهم كنايةٌ عن بسط معيشتهم.

([١]) سورة ص الآية: ٨٧ – ٨٨، في أصل المخطوط: "إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ولتعلمُنَّ نبأه بعد حين"، وهو خطأ في النسختين أ وب وضعت الآية الصحيحة مكانه.

([٢]) إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، نحوي زمانه، أبو إسحاق البغدادي، صاحب كتاب "معاني القرآن" (توفي ٣١١هـ). انظر تاريخ بغداد ٨٩/٦؛ وسير الأعلام ٣٦٠/١٤؛ ومعجم الأدباء ١٣٠/١.

([٣]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب.

([٤]) الحديث رواه البخاري عن عمران بن الحصين رضي الله عنه رقم الحديث ٢٥٠٨، ورواه مسلم أيضًا عن عمران بن الحصين رقم الحديث٤٦٠٣.

([٥]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب.

﴿ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ ﴾ "مكّنه" أبلغ من "مكّن له"؛ أي: جعل له مكانًا، فكأنه قيل: أثبتنا ما لم يفت لكم ما يقرب منه، والالتفات للتنبيه والتمييز بينهم وبين المحكيِّ عنهم، والخطاب لأهل مكة[١]

﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارًا ﴾ السماء: هو المُظلّة، والمرسَل المِدْرَارُ: هو المطر والسحاب، فلا بُدَّ من التجوُّز في المسنَد إليه، أو في الإسناد، والمِدْرَارُ مِفعالٌ، يستوي فيه المُذكَّر والمُؤنَّثُ، معناه: كثير الدَّرر.

﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴾ ولم يقل وأجرينا الأنهار؛ جريًا على مُجرى قرينة السابق؛ لأنَّ النهر إنما يُطلق على الماء حَالَ كونِه جاريًا، فليس له أن يَجْرِيَ، وأن لا يَجْرِيَ، وهو نهر، بخلاف الماء النازل من السماء والسَّحَابِ؛ فإنه قد يُحبَس، وقد يُطلق، وهُوَ هُوَ، وإنما صدَّره بالواو الدَّالة على الاستقلال دون الفاء؛ لأنَّ المَقامَ مَقامُ تعداد[٢] النِّعَم العِظَام، ومن ضمنها الإشارة إلى أن الأنهار إمدادها لا يَلْزَمُ أن يكون من الأمطار فافهم هذا الاعتبار.

﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ ﴾ خُصَّ هذا الوَصْفُ بالذكر؛ لأنه ممَّا يتعاظمه النـاس، ألا تـرى إلى قول فرعون: (وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ) [٣] ﴿ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ ﴾ الفاء فصيحة؛ تُفصِحُ عن مَحذُوفٍ تقديره: "بطرت معيشتهم" كما ورد في قوله تعالى: (وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ) [٤]

---

(١): فيها بيت الله الحرام، قيل سميت مكة لأنها تمكّ الجبارين، أن تذهب نخوتهم، وقيل لازدحام الناس إليها، ولها أسماء أخرى: بكة وأم القرى، والبيت العتيق، والبلد الأمين، وهي مدينة في واد بين جبال في الحجاز، انظر معجم البلدان ٥/١٨١.

(٢) في الأصل: تعديد، والتصويب من ب.

(٣) من سورة الزخرف الآية: ٥١.

(٤) من سورة القصص الآية: ٥٨.

﴿ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ تحقيقٌ لأمر الوَعِيْدِ بتسهيل شأن الإهلاك؛ فإنَّ مَنْ قَدَرَ على إنشاء القُرُوْنِ، لا يتعاظم عنده إهلاكُ بعضهم بذنوبهم، وفي عِبَارَةِ الإنشاءِ، إشَارَةٌ إلى أنهم قُلِعُوا من أصلهم [واستؤصلوا] (١) فلم يَبْقَ من نسلهم أحدٌ، ويَعْضدُ ذلك ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: (إن الله تعالى لم يُهلِك قومًا، أو يُعَذِّبَ قومًا فجعل لهم نسلاً) (٢) ﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ [يَعْمُرُ] (٣) به بلادهم، وحاصل الوعيد أنه تعالى كما قدر أن يُهْلِكَ مَنْ قَبْلَكم كَعَادٍ وثَمُوْدَ٤ وينشئ مكانهم آخرين، يُعَمِّرُ بهم بلاده، قدَر أن يفعل مثل ذلك بكم، قيل إن: جماعة من قريش٥ قالوا: " يا مُحَمَّدُ لن نؤمن لك حتى تأتِيَنا بكتابٍ من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة يَشْهَدُون عليه أنه من عند الله وأنك رسوله " فنزلت(٦)

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ﴾ (٧) نزّل ههنا بمعنى: أنْزَلَ، كخبّر بمعنى: أخبر ﴿ كِتَٰبًا ﴾ مكتوبًا ﴿ فِى قِرْطَاسٍ ﴾ ورَقٍ لم يقتصر على رؤيتهم الكتاب عيانًا في قرطاسٍ، بل زاد عليه التَّقْيِيْدَ بقوله: ﴿

---

(١) في الأصل والنسخة ب: " استوصلوا " بتسهيل همزة الواو.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر عن أم حبيبة بلفظ": إن الله عز و جل لم يهلك قوما أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك" رقم الحديث ٣٣.

(٣) في الأصل: [يَعُمُّ]، والتصويب من ب.

(٤): قبيلة من العرب البائدة، اشتهرت باسم أبيها، كانت مساكنهم بالحجر، ووادي القرى بين الحجاز والشام. انظر معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، ص١٥٢.

(٥): قبيلة عربية، قيل: سميت قريش قريشا لتقرشها إلى مكة من حواليها حين غلب عليها قصي بن كلاب، وقل سميت قريش لأنهم أصحاب زرع ولا ضرع. انظر معجم البلدان، ص٣٨٤.

(٦) لم أجد له أصلاً في كتب الحديث، ووجدته في جامع البيان للطبري موافق لهذه الرواية ج٨، ص١٤٨، وذكره ابن هشام في كتابه سيرة ابن هشام ج١، ص٢٩٨.

(٧) قال الكلبي: يا محمد والله لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله فنزلت هذه الآية، أسباب النزول، أبو الحسن علي الواحدي النيسابوري، ت ٤٦٨ هـ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص١٢٢.

﴿ فَلَمَسُوهُ ﴾ تقويَة للإدراك البَصَريِّ بالإدراك اللَّمْسِيِّ؛ مُبَالغَة في الظهور، وليس فيه دفعُ ما عسى أن يقولوا: (سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا) [١] و" ما نزل من السماء بشيءٌ "؛ إذْ باللَّمْسِ إنَّمَا يندفع احتمالُ كون المَرْئِيِّ مُخَيَّلاً، وأمَّا نزوله من السماء فلا يُثْبَتُ به، ثم إنَّ اللَّمْسَ أبلغ من المَسِّ؛ لأنه لصُوْقٌ بإحْسَاسٍ، والمسُّ: لُصُوقٌ فقط؛ ولذلك آثر اللمس عليه ﴿ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ إنّما قُيِّدَ به لأن اللُّصوق بالإحساس يكون بجميع الأعضاء، ولليَدِ خُصُوْصِيَّةٌ في الإحساس ليست في سائرها.

وأمَّا التَّجَوُّزُ باللمس عن الفحص، كما في قوله تعالى: (وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ) [٢] فلا يَنْدَفِعُ به؛ إذْ لا بُعْدَ في أن يكون ذلك لبيان مُباشرَتِهِمْ للفَحْصِ بأنفسهم، بل يَنْدَفِعُ بكون المعنى الحقيقيِّ أنْسَبُ للمقام، ولِما سِيْقَ له الكلام.

﴿ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ عَدَلَ عن الظاهر؛ حيث لم يقل: " لقالوا " تنبيهًا على أنَّ هذا ليس بأوَّل كُفْر منهم، ويجوز أن يكون تَعْريفُ الموصوف للعَهْدِ، والمُرَادُ بِهِ: أشخاصٌ [بأعيانهم] [٣] توغَّلوا في التَّعَنُّتِ والعِنَادِ، على وفْق ما ذكرنا بسبب النزول، فيكون التَّوْصِيْفُ بيانًا لسَبَبِ تَقَوُّلِهِمْ هذا.

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ توصيفُ السِّحْر بالمُبين في مقابلة تَوصيف المُنْزَلِ بكونه مَلْمُوسًا بأيديهم، فكأنَّهم عارضوا [تأكيدهم] [٤] الفعليَّ في الإظهار، بتأكيدهم القوليِّ بالإنكار، وهذا دليلٌ على غاية عِنَادِهم، ونِهايَةِ خُبْثِهم وفسادهم.

([١]) من سورة الحجر من الآية: ١٥.

([٢]) من سورة الجن الآية: ٨.

([٣]) في الأصل: "بأعيان"، والتصويب من ب.

([٤]) في الأصل أ: [تأكيده]، والتصويب من ب.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ ﴾ هلَّا أُنزلَ ﴿ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ يكلِّمنا أنه نبيٌّ ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ جوابٌ لقولِهم، وبيان المانع من إنزال مُقترَحِهم. والقَضَاءُ [١]: الإتمام والإلزامُ، والمعنى: " لـتمَّ أمـرهم لوُجُوْبِ العذاب بعد ذلك، وهذا لأنَّهم لا يؤمنون ولو نُزِّل عليهم المَلَكُ، كما أخبر الله تعالى به في قوله: (۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ .....*) [٢]

وسُنَّة الله تعالى في الكُفَّار قد جرَتْ على أنَّه متى اقترحوا آية قاهِرَةً، فظهرت، ثُـمَّ لـم يؤمنـوا، اِستُؤصِلُوا بالعذاب، على ماأفصح عن ذلك آية المائدة، ولكن الله تعالى أَبى من استئـصالهم بـه، تعظيمًا لنَبيِّهِ كماأخبر به في قوله تعـالى: (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ) [٣] ﴿ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ أي: لا يُؤجَّلون، ولا يُمهَلون. قال قتادة[٤]: " لو أنزلنا ملكًا ثُمَّ لا يؤمنون لعجَّل لهم العذاب، ولم يُؤخَّروا طَرْفَة عينٍ " يعني بعد عدم إيمانهم لا بعد نزول العذاب، وفي لفظ " ثُمَّ " إشارةٌ إلـى أن لهم مُهْلَة قَدْرَ أن يَتَأمَّلوا فيما نزل، فيؤمنوا بالاختيار والاختبار، لا بالإلْجَاءِ، والاضْطِرَار، فـافهم هذا الاعتبار.

---

(١) القضاء: الصنع والحتم والبيان، القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة قضي، ص١٧٠٧.

(٢) من سورة الأنعام الآية: ١١١.

(٣) من سورة الأنفال الآية: ٣٣.

(٤) ابن دعامة السدوسي البصري الأعمى المفسر الحافظ العلامة رأس الطبقة الرابعة. قال ابن سيرين: "قتادة أحفظ الناس"، توفي سنة ١١٧هـ. انظر الطبقات الكبرى، محيي الدين الطعمي، المكتبة الثقافية، بيروت:٢٢٩/٧ ، وتذكرة الحفاظ ، شمس الدين الذهبي ت٧٤٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ١٢٢/١ وطبقات المفسرين:٤٧/٢، وغاية النهاية:٢٥/٢م.

﴿ ⁽⁹⁾وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ ﴾ أي: الرَّسُولُ ﴿ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ ﴾ أي: مثّلناه ﴿ رَجُلًا ﴾ كما [مُثِّلَ] [١]

جبرائيل عليه السلام في صورة دِحية [٢]؛ وذلك أنَّ أبصارَ عامَّة البشر لا [تقدر] [٣] على النظر إلى صورة المَلَكِ، للطفه وضعف شُعاع أبصارهم، جواب اقتراح [ثانٍ] [٤] ؛ فإنهم تارةً يقولون: (لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ) [٥] وتارةً يقولون: (لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً) [٦]، واحتمال أن يكـون جوابًـا ثانيًا، على أن الضمير للمَلَك المُقترَح إنزالُه، يأباه عبارة جعلناه مَلَكًا فإن المناسِب حينئذٍ أن يُقال: "ولو أنزلناه ملكًا لجعلناه رجلاً" ، وإنَّما لم يقل: " بشرًا " مع أنه المُناسِب، لمقابلة المَلَكِ، تـضمينًا للكلام معنىً زائدًا على أصل المَرَام، وهو الإشارة إلى أنَّ شأن الرسالة البراءةُ من النُّقصَان، ولا بُدَّ من رِعَايَتِهِ على التقدير المذكور؛ حتى لا يصحَّ أن يكون الرسول المَفْرُوْضُ في صورة امرأةٍ، ولا في صورة صبيٍّ.

ولمَّا كان تفصيل ما ذُكِر أنَّه لا نفع لهم فيما سألوا؛ لأنه إذا كان في صورة رَجُلٍ لا يعلمون أنـه مَلَكٌ فلا يُجدي نفعًا في دفع شُبهتهم اتُّجِه أن يُقال: " يجوز أن يكونَ له آثارُ المَلَـكِ فـي صـورة الرجل، فيندفع الاشتباه بذلك، تُدُورِكَ دَفْعُه بما مرجِعُهُ إلى أنَّه لا بُدَّ من الالتباس والاشتباه كـيلا يفوِّت حِكمة التَّكْلِيفِ، فقوله: ﴿ وَلَلَبَسْنَا ﴾ من تتمَّة الجواب، [قُرِئ [٧]] باللامين على تقدير شرط

([١]) في الأصل أ: " مثّلناهُ "، والتصويب من ب.

([٢]) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي (ت٤٥هـ/٦٦٥م): صحابي جليل، رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر، اشتهر بين العرب بحسن صورته، حضر المواقع وعاش في دمشق إلى خلافة معاوية، الأعـلام، ٣٣٧/٢.

([٣]) في الأصل أ : " يقدر " والتصويب من ب.

([٤]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب.

([٥]) سورة الأنعام الآية: ٨.

([٦]) سورة فصلت الآية: ١٤.

([٧]) قراءة البزي عن المحيصن، قراءة شاذة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، شهبا الدين أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي، ١١١٧ هـ الطبعة الميمية، ١٨٩٩، القاهرة، ص ٢٦٠.

آخر [١]، وقُرئ بلام واحدٍ على العطف [٢]، وبالتشديد فيهما للمبالغة [٣] ﴿ عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [أي:] [٤] لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم الآن، فيقولون: (مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) [٥] ثم قال تسلية له عليه السلام عن استهزائهم به، بأن له في الأنبياء أسوة، وأن ما يفعلون به يَحِيقُ بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء عليهم السلام، وتنبيهًا لنا على أنَّ قولهم ذلك على سبيل الاستهزاء، وإلا فَهُم عُقَلاءُ يعلمون أن رسولَ قومٍ، لا يكون إلا من جنسهم.

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ ﴾ (١٠) أي: أحاط بسبب ذلك الاستهزاء.

﴿ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ ﴾ والمُراد: الإهلاك، من إحاطة العدوِّ، فالحَيْقُ لا يُستَعجَل إلا في الشرِّ ﴿مِنْهُم ﴾ تنبيهٌ على أن ضرر سُخْريتهم لا يتعدَّى أنفسهم، وهو مدلول القول الآتي: لا يُهلكون إلا أنفسهم ﴿ مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ من العذاب الذي كان الرسل يخوفونهم بنزوله، فلا تجوُّز لا في الإسناد، ولا في المُسنَد إليه، لمَّا ذكر إهلاك المستهزئين المكذِّبين أمر بالسير في الأرض للاعتبار بحالهم من مساكنهم فقال:

---

(١) عند غير البزي عن محيصن.

(٢) قراءة البزي عن محيصن لبسنا بلام واحدة، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لشهاب الدين الدمياطي، ج١/ ص٣٦٦.

(٣) عن البزي عن ابن محيصن بتشديد الباء فقط كما في كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين الدمياطي، ج١ ص٣٦٦.

(٤) ما بين معكوفين أسقط في الأصل أ، والتصويب من ب.

(٥) من سورة المؤمنون من الآية: ٣٣.

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿١١﴾ ﴾ إلى أن تشرفوا ديار قومٍ نزل بهم العذاب، فاختَبِرُوا واعتَبِروا، ولمَّا كان في هذا السَّيْر المأمور به من الامتداد، جِيْءَ بكلمة التراخي في قوله: ﴿ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ ﴾ فإنَّ النَّظَرَ، وإن لم يكن متراخيًا عن السَّير باعتبار الانتهاء، ولكنه مُتَرَاخٍ عنه باعتبار الابتداء، وأما قوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟) (١) فلعلَّ المراد من الأرض فيه ما هو المعهود من أرض قومٍ نزل العذاب بساحتهم، فجِيْءَ بحرف التعقيب بينها على أن ما أمر به لأجل النظر، فحقه أن لا يتأخر عنه، وما قيل معناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبَّه على ذلك بـ:" ثم " لتباعد ما بين الواجب والمباح، يأباه سلامة الذوق؛ لأن إقحام أمر أجنبي، وهو [بيان] (٢) إباحة السير للتجارة، بين الإخبار عن حال المستهزئين، وما يناسبه ويتصل به من الأمر بالاعتبار بآثارهم، مما يخل بالبلاغة إخلالاً ظاهرًا. ﴿ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ كيف أهلكهم الله تعالى بعذاب الاستئصال، وإنما عبَّر عنهم بالمكذِّبين دون المستهزئين إشارةً إلى أن مآل من كَذَّبَ إذا كان كذلك، فكيف الحال في مآل من جمع بينه وبين الاستهزاء؟

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿١٢﴾ ﴾ إلزامٌ وتبكيتٌ؛ لأنهم لا يقدرون أن يُضيفُوا خَلقهما ومُلكهما إلى غيره تعالى، ولذلك عقَّبه بقوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ ﴾ تقريرًا لهم؛ أي: لا خلاف بيني وبينكم في ذلك، [وفيه] (٣) أنَّهم مع كونهم مقرِّين بذلك على ما أفصح عنه قوله: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

---

(١) من سورة النمل الآية: ٦٩.

(٢) ما بين معكوفين أسقط في الأصل أ، والتصويب من ب.

(٣) في الأصل أسقط واو العطف، والتصويب من ب.

﴿ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ (١) تثاقلوا في الجواب، وانقمعوا لما ظهر من كونهم محجوجين، فقرَّر عليهم ذلك ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ ﴾ في الدارين؛ أي: التزمها تَفَضُّلاً وإحْسَانًا، لا أنَّ ذاته أوجبها على نفسه بمقتضى حكمته، وهذا استعطاف منه تعالى للمُتَوَلِّيْنَ عنه إلى الإقبال إليه، وإخبارٌ بأنَّه رحيمٌ بالعباد، لا يَعْجَل في العقوبة، ويقبل الإنابة والتوبة.

﴿ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ ﴾ ضمَّن الجمع معنى الحشر؛ ولذلك قال: ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ أي: إلى واقعتها في موقعها كيوم بدرٍ، استئناف، وقَسَمٌ للوعيد على إشراكهم، كأنه قيل: وما تلك الرحمة؟ فقيل: هي أنَّه تعالى ليجمعنَّكم إلى يوم القيامة؛ وذلك لأنه لولا خوف الحساب والعذاب، لحصل الهرج والمرج، وارتفع الضَّبْطُ وكَثُرَ الخَبْطُ، فتقدير العقاب [في العقبى] (٢) من أعظم أسباب الرحمة في الدنيا، ولك أن تقول بيّن بقوله: (كتب على نفسه الرحمة) كما قال: رَحْمَتُه بالإمهال، ودفع عذاب الاستئصال، بعدما قدَّم بيان [كمال] (٣) قدرته بقوله: (قل لمن ما في السماوات والأرض)؛ ليتعيَّن من أوَّل الأمر [أنَّ] (٤) إمهاله ذلك عن رحمة الله لا عن عَجْزٍ، ثم بيَّن بقوله: (ليجمعنَّكم إلى يوم القيامة) فيجازيكم على شرككم أنه يمهل ولكن لا يهمل، بل يحشرهم ويحاسبهم على نقيرٍ وقطميرٍ.

﴿ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ﴾ في اليوم أو الجمع ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ نصبٌ على الذمِّ، أو رفعٌ عليه، أو مبتدأ خبره: ﴿ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ والفاء للسببيَّة؛ فإن الخسران بتضييع رأس مالهم، وهو نور الفطرة، يوجب الإصرار على الكفر.

---

(١) من سورة لقمان الآية: ٢٥.

(٢) ما بين معكوفين أسقط من الأصل أ، والتصويب من ب.

(٣) ما بين معكوفين أسقط من الأصل أ، والتصويب من ب.

(٤) ما بين معكوفين أسقط من الأصل أ، والتصويب من ب.

﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ ﴾ ﴿١٣﴾ (١) لما ذكر أن له مُلْكَ ما حوى المكان من السماوات والأرض، ذكر أنَّ له ما حوى الزمان، واشتمل عليه الملوان وكل واحدٍ من المكان والزمان، وإن كان مستلزمًا للآخر، لكن التنصيص عليمها أبلغ في مقام التقرير والبسط. وقدَّم المكان لأنه أقرب إلى العقول والأذهان من الزمان، والظاهر أنه استئنافُ إخبار، وليس مندرجًا تحت "قُلْ"، وسَكَنَ من السكين، وهو يتعدَّى بـ" في " كما يتعدَّى بنفسه، يُقال: سكنوا الدار وسكنوا فيها، لا من السكون على الاكتفاء بأحد الضدَّين عن الآخر؛ لأنه لا يناسب البسط الظاهر قصده من تفصيل قطري المكان، وصِنْفَي الزمان.

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ وَعِيْدٌ للمشركين على أقوالهم وأفعالهم.

﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا ﴾ ﴿١٤﴾ أدخل همزة الاستفهام على الاسم دون الفعل؛ لأنَّ الإنكار يتوجَّه إلى اتخاذ [الغير] (٢) وليًّا لا اتخاذ الوليِّ مطلقًا، ولا دخل في ذلك لتقديم المفعول؛ لأنه لازمٌ لدخول همزةِ الاستفهام، فكان ثابتًا تَبَعًا له، وإنما عبَّر عن المعبود بالوليِّ، لأنَّ [أوَّل درجة] (٣) العبادة لشخص اتخاذه وليًّا، فكان نفيه أبلغ.

﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ مبدعهما، وجَرُّهُ على الصِّفَةِ لله فإنه بمعنى الماضي، ويؤيِّده قراءة فَطَرَ(٤)، ويجوز أن يكون بدلاً، ويرجِّحه أن الفصلَ بين المُبْدَلَ منه والبَدَلَ أسهلُ من الفصل بين المَنْعُوتِ والنَّعْتِ، بناءً على ما هو المشهور من أنَّ البَدَلَ على تكرار العامل. وقُرِئ بالرَّفع

---

(١)قال الكلبي: عن ابن عباس: إن كفار مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد إنا قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعو إليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيبا في أموالنا حتى تكون أغنانا رجلا وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية، أسباب النزول، الواحدي، ١٢٢.

(٢) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب.

(٣) في الأصل أ: " درجة أول "، والتصويب من ب وج.

(٤) الكشاف للزمخشري قال: قرأ الزهري: فطر، ٩٨/٢.

والنَّصب على المدح [١]، والجملة تقريرٌ لإنكار اتخاذ غير الله [تعالى] [٢] وليًّا، وتعليلٌ له، وكذا قوله ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ أي: المنافع كلها من عنده، ولا يجوز عليه الانتفاع، فخصوص الطعم غيرُ ملحوظٍ بل ملحوظ هو من باب تنزيل جُلِّ الشيء منزلة كُلِّهِ، وقُرِئَ: (ولا يَطْعَمُ) بفتح الياء[٣]، وبعكس الأوّل على أن الضمير لغير الله تعالى، فإنَّ الكلام وإن كان مع عَبَدَةِ الأصنام إلا أنَّهُ نَظَرَ إلى عموم غير الله تعالى وتغليب أولي النهى؛ لأنَّ فيه إنكار [أن تصلح][٤] الأصنام للألوهية بطريق [الأولى] [٥]، والمعنى: كيف أُشْرِكُ بمن هو فاطر السماوات والأرض ما هو نازلٌ عن مرتبة الحيوانيَّة، وببنائها للفاعل على أن الثاني من أَطْعَمَ بمعنى "استطعم"، أو على أنه يُطعِم تارةً، ولا يُطعِم أخرى؛ أي: وهو الباسط والقابض بِحَسَبِ الحِكْمَةِ والمصلحة؛ كقولك: " هو يعطي ويمنع ".

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ ؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سابقٌ أُمَّتَهُ في الإسلام، وهذا على طريق التحريض على الإسلام، كما يأمر المَلِكُ رعيَّته بأمرٍ، ثم يُتْبِعُه بقوله: " أنا أوّل من يفعل ذلك " ؛ ليَحْمِلَهم على [فعله][٦].

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [عطفٌ على معنى قوله: " قل إني أمرت " فإنه بمعنى قيل لي: " كن أول من أسلم " فلا حاجة إلى تقدير] [٧].

([١]) قائله البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، مرجع سابق، ٣٩٦/٢، ولم أجده في كتب القراءات.

([٢]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب وج.

([٣]) عن الحسن والمطوعي، قراءة شاذة، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص٣٦٦.

([٤]) في الأصل: " يصلح "، والتصويب من ب وج.

([٥]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبت والتصويب من ب وج.

([٦]) في الأصل أ: "قطعه"، والتصويب من ب وج.

([٧]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب وج.

[قيل] (١) لي: لا تكونن؛ أي: أُمِرْتُ بالمسارعة إلى الإسلام ونُهيتُ عن الشرك، [ولتعليـق] (٢) الأمر بالمُسَارَعَةِ دونَ نفس الإسلام، لم يُؤَكِّدْ تأكيدَ النهي المُتَعَلِّق [بنفس] (٣) الشرك، وقيـل ٤: يجوز عطفه على " قل "، [ويُرَدُّ] (٥) عليه: أنَّ سلامة النَّظم يأتى عن فصل الخطابات التبليغيَّـة بعضِها عن بعضٍ [بخِطَابٍ]٦ ليس منها.

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ الشرط معترضٌ بـين الفعـل والمفعـول، وجوابه محذوفٌ، دَلَّ عليه الجملة، [والأنبياء](٧) عليهم السلام وإن كانوا معصومين عن الكفر إلا أنه قد يُفرَض إذا تعلّق به غَرَضٌ صحيحٌ من المبالغة في قطع أطماعهم، والتعريض لهـم بـأنَّهم عُصَاةٌ مستوجبون للعذاب، فلا دلالة في الآية على أنه صلى الله عليه وسلم كان يخاف على نفسه من الكُفر.

﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ ﴿١٦﴾ ﴾ أي: العذاب وهذا أبلغ؛ لتضمُّنه معنى أنْ يُقالَ: إن انصراف العذاب رحمـةٌ من الله تعالى، سواءً كان الصارف هو أو غيره، فإن فيه تنبيهًا على أن الغيرَ كالشفعاءِ – وإن كان صارفًا للعذاب عن العصاة – لكنَّ صرفهم ذاك بإذن الله تعالى.

---

(١) في الأصل أ: " وقيل "، والتصويب من ب وج.

(٢) في الأصل أ: "ولتعين"، والتصويب من ب وج.

(٣) في الأصل أ: " لنفس "، والتصويب من ب.

(٤) ابن سيده. علي بن إسماعيل، **إعراب القرآن**، ٤٩٠/٣.

(٥) الواو في ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب وج.

(٦) في الأصل أ: "بخطابات"، والتصويب من ب وج.

(٧) في الأصل أ: "أو الأنبياء"، والتصويب من ب وج.

﴿ يَوۡمَئِذٖ ﴾ وقُرئ [١]: يَصرف مبنيًّا للفاعل، على أن الضمير فيه لله تعالى، ويعضِّده القــراءة [٢] بإظهاره، [ويناسبه] [٣] الجزاء، والمفعول به محذوفٌ لظهوره مما قبله، أو " يومئذٍ " على أن يُراد منه هَولُه، فلا حاجة إلى تقدير المضاف، وفي عبارة الصَّرْفِ إشارةٌ إلى أنَّ الآية فــيمن اســتحقَّ العذاب[٤].

﴿ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ ﴾ في ذلك الصرف، ونظير هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (لن يَجْزِيَ وَلَدٌ والدَه إلا أن يجده مملوكًا فيشتريَه فيُعتقَه)[٥] يعني بالاشتراء المذكور؛ ووجه ذلك: أن اختلاف العنوان يكفــي في صِحَّة الترتيب والتعقيب.

ولك أن تقول: إن الرحمة سَبَبٌ للصرفِ، سابقٌ عليه على ما لوَّح إليه حيــث أوتيــت بــصيغة الماضي وصيغة المستقبل، والترتيب باعتبار الإخبار عنها ﴿ وَذَٰلِكَ ﴾ أي: صرْفُ العذاب [عنه] [٦] وهو مستحِقٌّ له ﴿ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ فهذا الفوز يزداد بازدياد الاستحقاق المُعتَبَر فيمن صُرِفَ عنــه العذاب.

﴿ ١٧ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ ﴾ الضرُّ وهو سوء الحال، أخصُّ من الشرِّ المقابل للخير، وإنما خصَّه بالذِّكر لشدَّة الحاجة فيه إلى الكشف.

---

(١) بفتح الياء وكسر الراء، قراءة متواترة، قراءة أبي بكر وحمزة والكسائي، التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني،أوتوبرنزل، ط٣، دار الكتاب العربي، ١٩٨٥، ٧٦/١.

(٢) البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٣٩٧/٢.

(٣) ما بين معكوفين موافق للنسخة ب، وفي الأصل أ: "ويناسب" أثبت ما في النسخة ب بإثبات الضمير آخر الفعل.

(٤) في أصل المخطوط بالعذاب، ولا حاجة للباء لاستقامة المعنى بدونها.

(٥) رواه مسلم في باب فضل عتق الوالد، صحيح مسلم، ٢١٨/٤.

(٦) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والتصويب من ب.

﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ ﴾ فلا مزيل له عنك ﴿ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾ حُذِف جوابه [لدلالة][1] جواب مُقَابِلِه عليه، ثمَّ أكَّد الجوابين بشمول قدرته على كل شيء، فقال: ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فلا يَقدِر غيرُه على مخالفته.

﴿ ⑱ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ معنى الفوقية ههنا: تصوير القهر والعلوِّ بالغلبة والقدرة، لا بالجهة، وفي القهر معنىً زائدٌ ليس في القدرة لا بالجهة؛ و هو: منْعُ غيره عن بلوغ المراد.

﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في أمره وتدبيره إياهم ﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ بأحوالهم وخفاياهم.

﴿ ⑲ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ ﴾ رُوي أن قريشًا قالوا: " يا محمد، لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكرٌ ولا صفةٌ، فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله فنزلت" [2] ، والشيء يُطلَقُ على كل موجودٍ، وقد مرَّ تفصيله في تفسير سورة البقرة [3] ، ووضعه موضع شهيدٍ للمبالغة في التعميم ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ﴾ هو الجواب ثم ابتدئ ﴿ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ ﴾ كرَّر البين ولم يقل بيننا للإيماء إلى معنى التفصيل المترتِّب على الشهادة المقبولة، ويجوز أن يكون الجواب: الله شهيدٌ [للمبالغة] [4] فهو على الأول للتَسلُّق [5] من إثبات التوحيد إلى إثبات النبوَّة؛ بأن هذا الشاهد

([1]) سقط في الأصل، والتصويب من ب وج.

([2]) قال الكلبي: إن رؤساء مكة قالوا: يا محمد ما نرى أحدًا يصدقك بما تقول من أمر الرسالة، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، **أسباب النزول**، الواحدي، ١٢٢.

([3]) قال في تفسير سورة البقرة: " ولا اختصاص للشيء بالموجود، كيف وهو أعم العام، يقع على الواجب والممكن والممتنع، نص على ذلك سيبويه حيث قال في كتابه: - إن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه - " ، تحقيق تفسير ابن كمال باشا سورتي الفاتحة والبقرة، مرجع سابق، ١/ ٨٣.

([4]) ما بين معكوفين سقط في الأصل، والتصويب من ب وج.

[5] كما في الأصل أ والنسخة ب وج، ولعل المراد للتدرج في مراتب الإثبات.

الذي لا أصْدَقَ منه شهيدٌ لي [بإيحاء] (١) هذا القرآن، وعلى الثاني من الأسلوب الحكيم؛ لأن الوهم لا يذهب إلى أن هذا الشاهد يحتمل أن يكون غيره تعالى؛ بل الكلام في أنه هل يشهد لنبوَّته أو لا ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ ﴾ أي: بالقرآن، والخطاب لكفار مكة، وليس فيهم ما يصحُّ أن يُبَشَّرُوا به ولذلك خصَّ الإنذارَ بالذّكر ﴿ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ من: في موضع نصبٍ عطفًا على مفعول – لأنذركم – ؛ أي: ومن بلغه هذا القرآن من العَرَبِ والعَجَمِ، وقيل: من الثقلين ممن وُجِدَ ويوجَدُ إلى يوم القيامة، وهو دليلٌ على أنَّ أحكام القرآن تعمُّ كل من يَبْلُغُهُ إلى يوم القيامة، وأمَّا أنَّه لا يؤاخَذُ بها من لم يبلغه إلى يوم القيامة فلا دلالة فيه عليه؛ إلا عند من قال بحُجِّيَّة المفهوم، ويجوز أن يكون في موضع رفعٍ عطفًا على الضمير المُسْتَكِنِ في " لأنذركم "، وجاز ذلك للفصل بينه وبين الضمير أي: ولينذر به من بلغه القرآن ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً ﴾ تقريرٌ لهم مع [إنكار](٢) واستبعاد، ولما كانت تلك الآلهة حجارةً وخشبًا أُجْرِيَتْ مُجْرَى المُفْرَدِ تحقيرًا لها فوُصِفَت بما يُوصَفُ المفردُ، وقيل: ﴿ أُخْرَىٰۚ قُل لَّآ أَشْهَدُۚ ﴾ شهادتَكم بأنَّ معه آلهة ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ أي: قل: أشهدُ أن لا إله إلا هو ﴿ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ أُمِرَ أوَّلاً بأن يخبرهم بأنه لا يوافقهم في الشهادة، ولا يلزم من ذلك [إفراد](٣) الله تعالى بالألوهية فأمر به ثانيًا، ثمَّ أمره ثالثًا بأن يخبرهم بالتبري من إشراكهم وهو التأكيد لما قبله.

﴿ (٢٠) ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾ يعني اليهود والنصارى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنسه ونعته الثابت في الكتابَيْن معرفة حقّة ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ بحُلاهُمْ ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ من المشركين وأهل الكتاب بتضييعهم ما يُكْتَسَبُ به الإيمان من النور الفطريِّ ﴿ فَهُمْ لَا

---

(١) في الأصل أ : " باتخاذ "، والتصويب من ب.

(٢) في الأصل أ: "استنكار"، والتصويب من ب وج.

(٣) في الأصل أ: "اذاو"، والتصويب من ب وج.

﴿ يُؤۡمِنُونَ ﴾ قد مرَّ وجهُ السببيَّةِ المستَفَادَةِ من الفاء، على أنَّه لا يلزمُهَا السببيَّة، بل يكفي أنْ يكونَ ما بعدها لازمًا لما قبلها، كما في قوله تعالى: (قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ)(١).

﴿ ٢١ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله تعالى(٢) و (هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ)(٣) تعالى وغير ذلك (٤) ﴿ أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ ﴾ بالقرآن أو بالمعجزات، وإنَّما جاء بـــ " أو " مـع كونهم جامِعِينَ بينَ الكَذِبِ والتَّكذيبِ تنبيهًا على أن كلاً منها وحده بَالِغٌ غاية الإفراط في الظُّلم على النفس لا ظُلْمَ فوْقَهُ ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ جاءَ بضمير الشأنِ مـع " إنَّ " للإجمـال والتفـصيل والتنبيهِ على أن الظالم قطُّ لا يفلِحُ فكيف بمن لا أحد أظلم منه.

﴿ ٢٢ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ﴾ منصوبٌ بمُضمَرٍ حُذِف تَهويلاً للأمر ومبالغة في التخويف؛ تقديره: " كانَ ما لا يَدخُلُ تحت الوصفِ والحشر السَّوقُ من جهاتٍ مختلفةٍ إلى مكانٍ واحـدٍ ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ ﴾ وقُرئ ٥: "يحشرهم ثم يقول" بالياء فيهما(٦) ﴿ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ﴾ سؤالُ تَوبيخٍ، وإنما أُضـيف الشركاء إليهم لأنه لا شركة في الحقيقة بين الأصنام والمعبود بالحق، وإنما أوقـع عليهـا اسـم الشريك بمجرد التسمية منهم لها شركاء، فأُضِيفَ إليهم بهذه النسبة، ويعضِّده التعبير عن اعتقادهم

---

(١) من سورة الجمعة الآية: ٨.

(٢) **تفسير البيضاوي** للبيضاوي، ، ٢/٣٩٩.

(٣) سورة يونس الآية: ١٨.

(٤) في الأصل أ زيادة: "أو غير ذلك" فلم أضفها، والتصويب من ب.

(٥) قراءة يعقوب، قراءة متواترة، **القراءات المتواترة**، ٢٠٩.

(٦) أي: "يحشرهم"، و"يقول"، بالياء انفرد بها يعقوب، قراءة متواترة، **القراءات المتواترة**، ٢٠٩، وغيره من القراء بالنون: "نحشرهم"، و "نقول"، **القراءات المتواترة**، ٢٠٩ ، **تيسير القراءات**، ١/ ٧٩.

بالزعم فإنه كالعلم في الباطل، ولا يخفى ما فيه من التهكُّم ﴿ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾ أنَّهم شُركاءُ لله، حُذِفَ المفعولان لدلالة سياق الكلام عليه وهذا السؤال ظاهرٌ في غَيْبَةِ الشركاء وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ... إلى قوله... وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾(١) أنهم شركاء لله حذف المفعولان نصٌّ فيها، فلا وجه لما قيل يجوز أن يَحضرُوا ويشهدوا، ولكن لمَّا لم ينتفعوا بهم ولم يكن فيهم ما رجَوا من الشفاعة لهم جُعلوا كأنهم غُيِّبَ عنهم؛ وهو أبلغ في التوبيخ؛ إذ وجودهم أضرُّ من العَدَم، وأمَّا ما قيل يجوز أن يُحال بينهم وبينها حينئذٍ ليتفقَّدوها في الساعة التي علَّقوا بها الرجاء فيها، فيُردُّ عليهم أنه حينئذٍ ينكشف الحال عندهم ويعلمون أنَّه لا مَنْفَعَة لهم في آلهتهم (٢) بل مَضَرَّةٌ، فلا احتمالَ للتفقُّد.

﴿(٢٣) ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ ﴾ جوابهم، وإنَّما سُمِّيَ فتنةً؛ لأنه مَعْذِرَتُهم التي توهَّموا تَخَلُّصَهم بها من قولك: "فتنت الذهب إذا خلَّصتَه"، وقيل (٣): كفرَهُم، والمراد عاقبته ﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ ﴾ وقرئ يكن بالياء التحتانيَّة (٤) وفتنتَهم بالنَّصبِ على أنَّ الاسم: " أن قالوا "، وقُرئ (٥): [تكن](٦) بالتاء

---

(١) من سورة الأنعام الآية: ٩٤، وسيأتي تفسيرها لاحقًا.

(٢) في الأصل أ: "التهتهم" والتصويب من ب.

(٣) **تفسير البيضاوي** لبيضاوي، ، ٣٩٩/٢.

(٤) قراءة أبي بكر من طريق العليمي وحمزة والكسائي ويعقوب بالتذكير والنصب وهي أفصح ووافقهم المطوعي، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٣٦٧.

(٥) نافع وأبو عمرو وشعبة، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٣٦١.

(٦) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والتصويب من ب.

الفوقانية والنَّصْبِ على تقدير: " أن قالوا " مؤنَّثًا؛ أي: "ثُمَّ لم تكن فتنتَهم إلا مقــالتُهم" (١)، وهــذا أحسن من اعتبار التأنيث في الخبر. وقُرِئ ٢: بالتاء الفوقانية والرَّفع على أنها الاسم.

﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ كَذبوا و [حلَفوا]٣ مع علمهم بأنه لا ينفع – حيرةً ودهشًا –، وقرئ ٤: " ربَّنا " بالنَّصبِ على النداء أو المدح(٥).

﴿ (٢٤) ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ بنفي الشرك عنها ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم ﴾ يُحتمل أن يكون عطفًا على " كذبوا " [فيدخل] (٦) في حيِّز " انظر "، ويحتمل أن يكون إخْبارًا مُستأنفًا فلا [يدخل] (٧) في حيِّزه ﴿ مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ أي: غاب عنهم ما كانوا يفترونه من الشركاء؛ أي: ما يفترون إلهيَّته وشفاعته.

﴿ (٢٥) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ حين تتلو القرآن، روي: أنَّ جماعةً من كُفَّار قريش استمعوا لرسول الله فقالوا للنضر: ما يقول محمد؟ فقال: ما يقول إلا أساطير الأولين، مثلَ ما أُحَدِّثُكُمْ عن القــرون

---

(١) بفتح التاء في "فتنتَهم" على تقدير التأويل المصدري الواقع خبرًا مؤخرًا ل " تكن "، **مشكل إعراب القرآن**، أبــو محمد مكي بن أبي طالب، ت٤٣٧هــ، حققه: ياسين محمد السواس، اليمامة للطباعة والنشر، دمش، ٢٤٨/١.

(٢) ابن كثير وابن عامر وحفص، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٣٦١.

(٣) في الأصل أ: "خلصوا"، والتصويب من ب.

(٤) قراءة حمزة والكسائي، قراءة متواترة، **السبعة في القراءات**، ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ص:٢٥٥.

(٥) عند حمزة والكسائي وخلف بنصب الباء، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعــة عــشر**، ٣٦٧.

(٦) في الأصل أ: [فتدخل] ، والتصويب من ب.

(٧) في الأصل أ: [فتدخل] ، والتصويب من ب.

الماضية وكان صاحبَ أخبارِ فنزلت [١]، ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ جمعُ: كنان؛ وهو: ما يَسْتُرُ الشيءَ كالغطاء ﴿ أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ كراهَةَ أن يفقهوه [٢] ، ويجوز أن يكون مفعولاً لما دلَّ عليه الكلام المذكور؛ أي: منعناهم أن يفقهوه ﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ ﴾ ثِقلاً، الأكنَّة في القلوب والوَقْرُ في الآذان، مثّل في [نبوّ] [٣] قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته، و [ما] [٤] قيل لما كان القرآن معجزًا من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وإدراك اللفظ يُرَدُّ عليه: أنهم ما عجزوا عن إدراك اللفظ المسموع على ما دلَّ عليه ما مرَّ في سبب النزول، إنما عجزوا عن إدراك اللّفظِ المطبوع الحامل للخواصِّ والمزايا ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ ﴾ لِفَرْطِ عِنادِهم، ولا بُدَّ من تخصيص الآية بغير الملجئيَّة دفعًا للمخالفة بينه وبين قوله تعالى: (إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ) [٥].

---

(١) قال ابن عباس في رواية أبي صالح: إن أبا سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، وأمية وأبيًا ابنَي خلف، استمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر: يا أبا قتيلة ما يقول محمد؟ قال: والذي جعلها (أي: الكعبة) بيته ما أدري ما يقول، إلا أني أرى يحرك شفتيه يتكلم بشئ وما يقول إلا أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون الاول، وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، **أسباب النزول**، الواحدي، مرجع سابق، ص١٢٢، وما بين معكوفين من زيادتي لتوضيح المحلوف به لكون قريش كانوا يحلفون بهذا القسم.

(٢) موافق لما في كتاب **التبيان في إعراب القرآن**، أبو البقاء عبد الله الحسين العكبري، ت ٦١٦ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٣٨/١.

(٣) في الأصل أ: "ثنوا"، والتصويب من ب.

(٤) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب.

(٥) سورة الشعراء الآية: ٤.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ ﴾ حتى: هي التي يقع بعدها الجُمَلُ، والجملة بعدَها [هي][١] الشَّرطيَّة، يجادلونك: في محلِّ الحال وجواب الشرط.

﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ وفيه وضع المُظْهَر مَوضِعَ المُضمَر للتسجيل عليهم بالكفر والعناد [مع][٢] وضوح الآيات، ويجوز أن يكون "حتى" هي الجارَّة، و"إذا" لمجرَّد الظرفيَّة في محلِّ الجرِّ، فلا يكون له جوابٌ؛ أي: حتى وقت مجيئكم، ويقول الذين كفروا: تفسيرٌ لـ"يجادلونك" ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأساطير: الأباطيل[٣]، الواحدة الأسطورة بالضمِّ وإسطارة بالكسر، وجَعْلُ أصدق الحديث خُرَافاتِ الأولين غَايَتُه: التكذيب، ويجيء الأساطير جمع أسطارٍ جمع سَطَرٍ بالتحريك بمعنى الخطِّ والكتابة، على هذا ينطبق ما روي عن النَّضْر فيما سبق [٤]، وأما السَّطْر بالسكون فجمعه: أسطر وسطور.

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ (٢٦) أي: ينهون الناس عن القرآن، أو الرسول واتِّباعه والإيمان به ﴿ وَيَنْـَٔوْنَ ﴾ [يبعدون][٥] ﴿ عَنْهُ ﴾ بأنفسهم فيَضلُّون و[يُضِلون][٦] ﴿ وَإِن يُهْلِكُونَ ﴾ وما يهلكون بذلك ﴿

---

(١) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب و ج.

(٢) في الأصل أ: "موضع، والتصويب من ب.

(٣) الأساطير: الأباطيل، الواحد: أسطورة، **الصحاح في اللغة**، ٣١٥/١.

(٤) سبق في تفسير أول الآية ٢٥ حين ذكر سبب النزول.

(٥) في الأصل أ: [يعبدون]، والتصويب من ب.

(٦) في الأصل أ: [وأن يضلون]، والتصويب من ب.

﴿ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنَّ ضرر ذلك لا يتعدَّاهم إلى غيرهم، وإن كانوا يظنُّون أنَّهم يضرُّون رسول الله عليه الصلاة والسلام[١] .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ ﴾ ﴿٢٧﴾ [من وقفه][٢] أي: حبسه؛ لأنه قال في موضع آخر (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)[٣] أي: يُحبَسُون[٤] ، والقرآن يفسِّر بعضُه بعضًا، وضمَّنه معنى الاطِّلاع؛ دلَّ

([١]) لم يذكر المؤلف سبب النزول وقد ورد به قولان:

١- أخبرنا عبد الرحمن بن عبدان قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نعيم قال: حدثنا علي بن حمشاذ قال: حدثنا محمد بن منده الاصفهاني قال: حدثنا بكر بن بكار قال: حدثنا حمزة بن حبيب، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله -

قال: نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتباعد عما جاء به، وهذا قول عمرو بن دينار والقاسم بن مخيمر.

قال مقاتل: وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أبي طالب يدعوه إلى الاسلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يردون سؤال النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو طالب:

والله لا وصلوا إليك بجمعهم ... حتى أُوَسَّد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر وقرَّ بذاك منك عيونا

وعرضت دينًا لا محالة أنه ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذاري سبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فأنزل الله تعالى الآية.

٢- وقال محمد بن الحنفية والسدى والضحاك: نزلت في كفار مكة كانوا ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ويتباعدون بأنفسهم عنه، وهو قول ابن عباس في رواية الوالبى، **أسباب النزول**، الواحدي، مرجع سابق، ص١٢٣.

([٢]) ما بين معكوفين كما في النسخة ب، وفي الأصل أ: [أوقفه أي: حبسه]، أثبت ما في النسخة ب لعدم وجود زيادة الهمزة على وقفه، ولاستقامة استخدام وقف التي معناها حبس.

([٣]) من سورة فصلت الآية: ١٩.

([٤]) في الأصل" أ " : "يحسبون " والتصويب من ب.

على ذلك قوله: ﴿ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ والمعنى: إذْ وُقِفُوا مطَّلِعين على النار. وقُرِئَ [١]: على البناء للفاعــل من وقف عليه وقوفًا، وإنما حُذِف الجوابُ تهويلاً؛ أي: لو تراهم حين يوقفون عليها حتى يعاينوها و يطّلعون عليها وهي تحتهم، أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت [أمرًا شنيعًا] [٢] لا يدخل تحت الوصف ﴿ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ ﴾ تمنَّوا الرجوع إلى الــدنيا ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ قُرِئ بنصب: " ولا نكذّبَ " ونكون " بإضمار أن بعد الواو [٣]، لا على جواب التمنّي؛ لأن الواو لا يقع في جواب الشرط ولا يُتَقَيَّد بما قبلها، وما بعدها شرط وجواب، وإنما هي واو الجمع تعطــف ما بعدها على المصدر المُتَوهَّم قبلها، والأفعال الثلاثة مُتَمَنَّيَاتٌ على سبيل الجمع بينها؛ لأن كــل واحدٍ متمنَّىً على حدة؛ إذ التقدير: " يا ليت يكون لنا مَرَدٌّ مع انتفاء التكذيب وكوننا من المؤمنين " ، أو واو الحال على أن مدخولها حالٌ من الضمير في نُردُّ؛ أي: يا ليتنا نُرَدُّ غير مكذّبين وكائنين [٤] من المؤمنين. وقُرِئ [٥]: برفعهما عطفًا على نُردُّ فيكونان داخلين في التمنّي، وقوله: " وإنهــم لكاذبون " راجعٌ إلى ما تضمَّنه التمنِّي من الوعد، أو على الاستئناف، ونصبِ الثاني عطفًا علــى مصدرٍ مُتَوَهَّمٍ مُقدَّرٍ [٦] من الجملة السابقة، ويكون أن مضمرة بعد الواو، فالتقدير: يكون [لنَا] [٧] ردٌّ وكونٌ من المؤمنين [٨].

---

(١) قراءة ابن السميقع، قراءة شاذة، **تفسير القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١، تحقيق: مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٤٠٨/٦، **تفسير البيضاوي** للبيضاوي، ، ٤٠١/٢.

(٢) في الأصل أ: "لراب أمر"، والتصويب من ب وج.

(٣) قراءة حفص وحمزة ويعقوب، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ٣٦٨.**

(٤) في الأصل ومجانين وهو خطأ أثبتُ كائنين.

(٥) قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي وعاصم، قراءة متواترة، **السبعة في القراءات، ٢٥٥.**

(٦) في الأصل مقدم أثبتُ مقدر.

(٧) ما بين معكوفين في الأصل أ: [منا]، والتصويب من ب و.

(٨) أوجه الإعراب كما في: **مشكل إعراب القرآن، ٢٤٩/١.**

﴿ (٢٨) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾ [إضرابٌ][(١)] عن إرادة الإيمان المفهوم من التمنِّي؛ أي: ظهر لهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم ما كانوا يخفون من الناس من فضائحهم [وقبائحهم][(٢)] ؛ فلذلك تمنَّوا ما تمنَّوا ضجرًا، لا عزمًا على أنهم لو رُدُّوا لآمنوا، ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ ﴾ إلى الدنيا ﴿ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ من الكفر والمعاصي. ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ فيما وعدوا من أنفسهم.

﴿ (٢٩) وَقَالُوٓا۟ ﴾ استئنافٌ، أو عطفٌ على: " إنهم لكاذبون " لا على " لعادوا " ولا على " نُهوا "؛ إذ حينئذٍ حقَّ قوله: " وإنهم لكاذبون " أن يُؤخَّر عن المعطوف، أو [يُقدَّم][(٣)] على المعطوف عليه ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾ الضمير للحياة ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ إلى الحشر والجزاء.

﴿ (٣٠) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ للتوبيخ والسؤال، كما يُوقف العبد الجاني بين يَدَيْ سَيِّدِه ليُعاتبَه، ضمَّن الوقوف معنى [العرض] [(٤)] ، ولذلك قال " على ربهم " ، والمعنى: إذ عُرضوا على ربهم موقوفين، وقد أفصح عن هذا المعنى قوله تعالى: (وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ....)[(٥)]، وقوله تعالى: (إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ)[(٦)] وقيل معناه: وُقِفوا على قضاء ربهم أو جزائه وعُرِفُوا حقَّ التعريف، وجواب "لو" محذوفٌ كما مرَّ ﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ﴾ استئناف؛ كأنه قال قائلٌ: ماذا قال

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [احترازٌ]، والتصويب من ب.

(٢) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب.

(٣) في الأصل أ: "تقدم" والتصويب من ب.

(٤) ما بين معكوفين في النسخة أ: [العروض]، والتصويب من ب.

(٥) سورة الكهف الآية: ٤٨.

(٦) من سورة سبأ الآية: ٣١، وفي الأصل في جميع النسخ " المجرمون " وهو خطأ الصواب بدلها " الظالمون " أثبتُ الصواب.

لهم ربهم حينئذٍ؟ فقيل: قال ...الخ والهمزة للتقريع والتعيير من الله تعالى على التكـذيب وإنكـار البعث والجزاء حين سمعوا حديثه وقالوا: ما هذا بحقٍّ، والإشارة إلى البعث والجـزاء ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ ﴾ إقرارٌ مُؤَكَّدٌ باليمين ﴿ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ بسبب[١] كفركم.

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ ﴾ بالبعث وما يتَّصل به من أحوال الآخرة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ القيامة وحتى: غايةٌ " لكذبوا " لا لخَسِرَ؛ فإن خسرانهم لا غاية له، والكلام فيها وما بعدها من الجملة كما مرَّ [في][٢]: (حتى إذا جاؤوك) ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأةً وهي: مَجِيْءُ الشيء بسرعة مـن غير خطورٍ ببالك، حالٌ؛ أي: باغتة، أو مصدرٌ؛ لأنها نوع مـن المجـيء[٣] ﴿ قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا ﴾ " تعالَ فهذا أوانك " ، والحسرة: شدة [النَّدَم][٤] ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا ﴾ " قصَّرنا " مع القدرة على عـدم التقصير ﴿ فِيهَا ﴾ أي: في الحياة الدنيا، أُضمِرَت لأنها معلومة، وإن لم يُجْرِ لهـا ذكـرًا، وفـي الساعة أي: في شأنها والإيمان بها، كما في قوله: (فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ)[٥]

---

(١) في الأصل سبب الصواب " بسبب " أثبتُّها.

(٢) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب.

(٣) أي: إعرابها حال، فهي مصدر في وضع الحال؛ أي: باغتة، وقيل: هو مفعول مطلق لفعل محـذوف تقـديره: تبغتهم بغتة، وقيل غير هذا، **التبيان في إعراب القرآن**، للعكبري، ٢٣٩/١.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [اللوم]، أثبت ما في النسخة ب لصحة المعنى.

(٥) من سورة الزمر الآية: ٥٦.

﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ من قال بالميزان واعتقد وزن الأعمال وأذعن حصول الشيء الثقل لها يوم الجزاء فليس له أن يقول إنه [تمثيلٌ][1] لثقل أوزارهم؛ والمعنى: أنهم [يُقاسون][2] من عذاب ذنوبهم مقاساة من يحمل ثقله على ظهره؛ لأنه مظنَّة الإنكار لما ذُكِرَ، والجملة حالٌ من الضمير لأنه مظنة الإنكار بما ذكر، والجملة حال من الضمير في قالوا ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ اعتراضٌ، والمخصوص بالذمِّ محذوفٌ؛ أي: " بئس شيئًا يزرون وزرهم " أو " الذين يزرونه "، وساء على وزن فَعَلَ مُتَعَدٍّ تقديره: ساءهم.

﴿ ٣٢ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ ﴾ أراد بالحياة الدنيا أعمالها المخصوصة بها، بحيث لا يظهر أثَرُها في الحياة الأخرى ولذلك قال: ﴿ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ فإنَّ مُطلَقَ أعمالها المخصوصَة الشاملة للعبادات ليس كذلك، ومن ههنا ظهر وجه السلوك إلى طريقة المجاز؛ فشُبِّهَتْ أعمال الدنيا باللعب واللهو؛ لقلَّة جَدْوَاها وسرعة زوال منافعها، أو لأنَّه [يلهي] [3] الناس ويشغلهم عما يُعَقِّبُ منفعةً دائمةً ولذَّةً حقيقيَّةً، وهو جواب لقولهم: (إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا) [4]، ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [إيراد][5] لام الابتداء وإثبات ما فيها للذين يتَّقون. والتأكيد لقوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ إشعارٌ بأنَّ ما سِوَى أعمال المتقين لهوٌ ولعبٌ يشتغِل به من لا يَعقِلُ، وأن العاقل هو الزاهد في الدنيا، وقُرِئَ: " ولدار الآخرة " على الإضافة أي دار الآخرة [6]، وقُرِئَ [1]: تعقلون بالتاء على خطاب المخاطبين به، أو تغليب الحاضرين على الغائبين.

([1]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بمثل]، والتصويب من ب.

([2]) ما بين معكوفين في الأصل أ : [يعانون]، والتصويب من ب و ج.

([3]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [تلهي] ، والتصويب من ب.

([4]) من سورة الأنعام الآية: ٢٩.

([5]) في الأصل أ: [إيرادكم]، والتصويب من ب.

([6]) قراءة ابن عامر، قراءة متواترة، **التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني**، ص٧٦.

﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ ﴾ (٣٣) "قد" ههنا من باب استعمال اللفظ في نقيضه للمبالغة؛ لأنَّه بمعنى تكثير الفعل وزيادته، كما يستعمل ربما لذلك؛ كأنَّه إيماءٌ إلى أن كلَّ ما يُفهَمُ من وقوع مرَّاتِ الفعل وزيادته بالنسبة إلى ما يُراد منه قليل، ويقوِّيه في تفخيم الفعل وكثرته إيراد ضمير الشأن ولام الابتداء في المعلوم المفيد للاعتبار به؛ [وتحقُّق] (٢) وقوعه ليلزم من كثرة وقوع المعلوم كثرة العلم بـــه، [ومن دوامه دوام العلم] (٣) ﴿ لَيَحۡزُنُكَ ﴾ قُرِئَ بفتح الياء وضمِّها من أحزن (٤) ﴿ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ ﴾ أي: " كثيرًا ما نعلم حُزنك من قولهم: (سَٰحِرٞ كَذَّابٌ) (٥) أو (كَاهِنٖ) (٦) وأمثاله، [فتسلَّ] (٧) والـــهَ عـــن حُزْنِكَ ﴿ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ المراد بنفي تكذيبه [صلى الله عليه وسلم] (٨) اســـتعظام تكذيبـــه؛ بجعله تكذيبَ الله تعالى، لا نفيُهُ حقيقة ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ بل يكذبون الله تعـــالى بجحود آياته والاستهانة بكتابه فتكذيبك تكذيبه، ووضع الظاهر موضع الضمير للتـــسجيل علـــيهم بالظلم، وأنَّ جُحُودَهم مُسبَّبٌ عن تمرُّئهم وإفراطهم في الظلم، والالتفات في اسم الله تعالى بيـــانٌ لعظم ما ارتكبوه، والباء: لتَضمُّن الجحود معنى التكذيب، وقُرِئ: " لا يُكْذِبونك " بالتخفيف، مـــن

---

(١) قراءة نافع، قراءة متواترة، **السبعة في القراءات**، ٢٥٦.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: لحسن، والتصويب من ب.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ومن داومه وداوم العلم]، والتصويب من ب.

(٤) هي قراءة نافع، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٣٦٩.

(٥) من سورة ص الآية: ٤، ومن سورة غافر الآية: ٢٤.

(٦) من سورة الحاقة الآية: ٤٢.

(٧) ما بين معكوفين في الأصل أ: " فقيل " والتصويب من ب.

(٨) ما بين معكوفين في الأصل أ: [تعالى]، والتصويب من ب.

أكذبَهُ إذا وجده كاذبًا، أو نَسَبَهُ إلى الكذب [١]، ومعنى كذَّبه: جعله كاذبًا في زعمه، رُوي أنَّ أبا جهلٍ كان يقول: " ما نَكذِبُك وإنَّك عندنا لمصدَّق، وإنما نُكذب ما جئتنا به، فنزلت [٢]

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ تسليةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التكذيب، ومبناها على وقوع التكذيب، فدلَّ هذا على أنَّ المعنى ما قدَّمنا.

﴿ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا ﴾ أي: على تكذيبهم وإيذائهم، فتأسَّ بهم واصبر [كما][٣] صبروا فإنَّ مع الصبر النصرُ ﴿ حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ فيه إيماءٌ إلى وعد النصر للصابرين ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ أي: لمواعيده، من قوله: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) الآياتِ الثَّلاثِ [٤] ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴾ أي: بعض أنبائهم وما كابدوا [٥] من مصابرة أعدائهم، ويجوز أن يكون الفاعل

([١]) قراءة التخفيف عن نافع والكسائي، قراءة متواترة، وغيرهم بالتشديد، التيسير في القراءات السبع، مرجع سابق، ٧٦.

([٢]) ورد في سبب نزولها قولان:

١-قال السدى: التقى الاخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال الاخنس لابي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هنا من يسمع كلامك غيري، فقال أبو جهل: والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٢-وقال أبو ميسرة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بأبي جهل وأصحابه فقالوا: يا محمد إنا والله ما نكذبك، وإنك عندنا لصادق، ولكن نكذب ما جئت به، فنزلت – {فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} – وقال مقاتل: نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصى بن كلاب كان يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية وإذا خلا مع أهل بيته قال: ما محمد من أهل الكذب ولا أحسبه إلا صادقا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ، أسباب النزول، الواحدي، مرجع سابق، ج١، ص١١٤.

([٣]) في الأصل أ: "على"، والتصويب من ب.

([٤]) سورة الصافات الآيات: ١٧١-١٧٢-١٧٣﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾.

([٥]) أي قاسوا وعانوا، من كابَدَه مكابدةً وكِبادًا: قاساه، والاسم كابد، **القاموس المحيط**، فصل الكبد، ج١، ص٤٠١.

ضميرًا يعود على ما دلَّ عليه المعنى من الجملةِ السابقةِ؛ أي: ولقد جاءك هذا الخبر من تكـذيب أتْبَاعِ الرُّسُلِ للرُّسُلِ، والصبر على الإيذاء إلى أن نُصِروا، ومن بناء في موضع الحال، وذُو الحال ذلك الضميرُ.

﴿ ٣٥ وَإِن كَانَ كَبُرَ ﴾ شقَّ، وثقُل ﴿ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾ عمَّا جئت بـه ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ مَنْفَدًا تَنْفُذُ فيه إلى ما تحت الأرض فتُطَلِع لهم آية ﴿ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ أو مَصْعَدًا تَصْعَدُ به إلى السماء، فتُنْزِلَ منها آيةً جواب. فإن استطعت محذوفٌ أي: فافعل؛ أي: إنك لا تستطيع ذلك والمُرادُ: بيان حِرْصِهِ وتَهَالُكِه على إسلام قومه.

والشرطيَّة جوابُ الشرطِ الأوَّل، و" في الأرض " صفةٌ لـ "نفقًا" أو متعلق بـ "تبتغي" ، وكذا " في السماء " صفةٌ لـ "سُلَّمًا"، أو متَعلِّقٌ بالفعل ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ ولكن لم يشأ، فـلا تتهالك على إيمانهم ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ من الذين يجهلون ذلك ويرومون [1] خلافه؛ أي: لا تَحْرِصْ على ما لا يكون [ولا تَجْزَعْ] [2] في مقام الصبر؛ فإن ذلك من دَأْبِ الجهلة [3].

﴿ ٣٦ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ أي: لا يستجيب دَعوتَكَ إلـى الإيمـان إلا الـذين يـسمعون فيفهمون ويَتَدَبَّرُون دُوْنَ الموتى، وهؤلاء [الذين] [4] تحرص على إيمانهم موتى كقوله: (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ) [5].

([1]) الرَّوْم:الطلب، والمعنى يطلبون، القاموس المحيط للفيروزآبادي ، ١٤٤١.

([2]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [فلا تُحرَج]، والتصويب من ب وج.

([3]) فإن المنطق أن إيمانهم محال لا يكون، قال ابن سينا: " فإن المحال لا يكون البتة، فما لا يكون إلا ويلزمه المحال لا يكون البتة، وكيف يكون، وإنما يكون مع كون ما لا يكون البتة؟!"، المنطق لابن سينا، ٢٣٣/١.

([4]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب.

([5]) سورة النمل الآية: ٨٠.

﴿ وَٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ استعار الموتى للجُهَّال؛ لأنَّ العلمَ حياةُ القلبِ، فالّذين لا يَسمَعُون [إنَّما لا يسمعون][١] لأنَّ قلوبَهم مَوْتَى بالحقيقة ﴿ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ فيُعلِمُهُم حين لا ينفعهم الإيمان، وأنـت لا تَقـدِرُ علـى إعلامهم ﴿ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾ للجزاء.

﴿ (٣٧) وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾ مع كثرة ما أُنْزِلَ إليه من الآيات لعدم اعتدادهم بها عنـادًا كأن لم ينزل عليه شيء أو آية [ممَّا] [٢] اقترحوها ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ﴾ وقُرئَ [٣]: بالتشديد على أنَّ نزَّل بمعنى أنزل ﴿ ءَايَةٗ ﴾ مما اقترحوها، أو آيةً إن جَحَدُوها أخذهم العذاب، وهو من [٤] لوازم الآيات المُلْجِئَةِ.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ أنَّ الله تعالى قادرٌ على [إنزالها][٥] ولكن يفعـل علـى مُقتَـضَى حِكْمَتِهِ.

قوله ﴿ (٣٨) وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: [تَستَقِرُّ][٦] فيها، وفائدته: تحقيقُ المقابلةِ بينها وبين قرينِها المقابل؛ فإنَّ بعض الطائر يَتَحَرَّكُ على وجهِ الأرض، إلا أنَّه لا يَستَقِرُّ فيها، ﴿ وَلَا طَٰٓئِرٖ ﴾ وقُرئَ[٧]:

---

(١) ما بين القوسين أسقط في الأصل، والتصويب من ب وج.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بما]، والتصويب من ب وج.

(٣) قراءة ابن كثير وافقه ابن محيصن، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٦٣.

(٤) ينزِّل بالتشديد عند غير ابن كثير وأبي عمرو، التيسير في القراءات السبع، مرجع سابق، ٦١.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [إبدالها]، والتصويب من ب.

(٦) في الأصل أ: "تستقر" ، والتصويب من ب.

(٧) قراءة الحسن وعبد الله بن أبي إسحاق، قراءة شاذة، **تفسير القرطبي**، ٤١٩/٦.

بالرفع على [محل](١) ﴿ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ تصويرٌ لتلك الهيئةِ الغريبةِ الدَّالَّةِ على القُـوَّةِ البـاهرة، والمقام مقام بيان كمال قُدرَتِهِ تعالى. وقيل ٢: إنَّه لقطع مجاز السرعة، وقيل: للتعميم، ويُرَدُّ عليهما أنه لو قيل: "ولا طائر في السماء "، لكان أحضرَ، وفي إفادة ذينك الأمرين أظهرُ مع ما فيه مــن رعاية المناسبة بين [القرينين](٣) بذكر جهة العُلُوِّ في أحدهما، وجهة التسفل في الآخر ﴿ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ ﴾ محفوظةٌ أحوالُها، مُقدَّرَةٌ أرزاقها وآجالها، والمقصود من ذلك بيان كمال قدرته وشُـمُول عِلْمِهِ وسَعَةِ تدبيره؛ فيكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آيةً، وحُمِلَ " أُمم " علـى المعنـى فجُمِعَ تقويةً للعموم المستفاد من وقوع النكرة في سياق النَّفي، مصحوبةً بــــ"مِــن" التـي تفيـد الاستغراق، ولما دلَّ بها على كمال قُدْرَتِهِ، وإحاطة علمِهِ، أوْعَدَهُم على ما فُرطَ منهم من الإنكار قوله: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا ﴾ [وقرئ](٤) بالتخفيف ﴿ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: ما أغْفَلْنَا، وما أهملنا في اللَّـوح المحفوظِ ﴿ مِن شَيْءٍۚ ﴾ [ممَّا](٥) لم نكتبه، ولم نبيِّنه أيَّ شيءٍ كان، فلا بُدَّ مــن كتابــة أعمــالكم وعقائدكم وأحوالكم.

﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أي: إلى ذلك القادر، لا إلى غيره ﴿ يُحْشَرُونَ ﴾ كلُّهُم فيجازيهم، وإنَّما أُجريَـت مُجْرَى العُقَلاء لإطلاق الأمَم عليهم، أو غُلِّبَ العقلاء لكونهم المقصودين.

---

(١) **التبيان في إعراب القرآن للعكبري**، ٢٤١/١.

وما بين معكوفين مطابق للأصل أ، وفي النسخة ب: [المحلِّ]، أثبت ما في الأصل أ.

(٢) **روح المعاني** للألوسي ٤٣٦/٤.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [القرنين]، والتصويب من ب.

(٤) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ما] بدون حرف الجر من، والتصويب من ب.

و" من " مزيدة. و" شيءٍ " في موضع المصدر، أو مفعولٌ به على تضمين " فرَّط " معنى: أهمل أو أغفل، والمقصود: أنَّ من يضبطُ أحوال الدوابِّ والطَّير كلّها وأعمالها فيُنصِفُ بعضَها من بعضٍ؛ كما رُوِيَ: أنه يأخُذُ للجمَّاء من القرناء ويجازي كلها [١]،كيف يهلكهم سدىً، وقيل: حشرها: موتها ويردُّه أن الحشر بعثٌ من مكانٍ إلى آخر، وتعديته بإلى تَنْصِيْصٌ على هذا المعنى.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ﴿٣٩﴾ ﴾ خبرٌ ثالثٌ كناية عن عمى [البصيرة][٢] ناظرًا إلى عمي في قوله تعالى: (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ)[٣] وهذا أبلغ إذا جُعِلت لهم الظُّلماتُ ظرفًا لهم، وجُمِعت [لاختلاف جهات][٤] الضلالة [من][٥] الكفر والجهل والعناد والتقليد، ولِما يخص من لدلائل القاطعة على ربوبيَّته وقُدرتِهِ وعَظَمَتِهِ، ووجوب التيقُّظ لِمَا أوعَدَ عليه والإقرار به وبالحشر، قال: "والمكذبون بآياتنا صمٌّ وإلا سمعوا كلام المُنَبِّهِ فاستيقظوا ورجعوا. "و بكمٌ " وإلا نطقوا بالإقرار بالحقِّ، خايطُون في ظُلمَات أنواع الضلالة فلا ينتبهون لذلك، ولا يتأمَّلون، ولا يتفكَّرون فيه. ثم أكَّد ما بيَّن من شِدَّةِ جهلهم، وعُميهم واحتجابهم بقوله: ﴿ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ ﴾ إيذانًا بأنهم من أهل الطَّبْع والخَتْم ومن يضلل الله فلا هادي له.

﴿ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ كان الظاهر أن يُقال: ومن يشأ يهديه وإنَّما عَدَل عنه لأنَّ هدايته تعالى – وهي إرشادُهُ إلى الهدى – غيرُ مختصَّة ببعضٍ دون بعضٍ بل عامَّةٌ للكلِّ.

---

(١) روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لتُؤدُّن الحقوق إلى أهلها حتى تُقاد الشاة الجمَّاء من الشاة القرناء يوم القيامة "، الجماء: التي لا قرن لها، القرناء: ذات القرن، مسند الإمام أحمد ج١٤/٤٣.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [البصر]، والتصويب من ب.

(٣) من سورة البقرة الآية: ١٨.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [لاختلاجات]، والتصويب من ب وج.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [مع]، والتصويب من ب وج.

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ ﴾ (٤٠) أخبروني، لمَّا كان العلم سبَبَ الإخبار وضع طلبَ العلـم مَوْضـعَ طلـب الخبر؛ فصورته استفهامٌ، ومعناه: الأمر؛ لاشتراكهما في الطَّلَبِ، و" الكافُ " حرف الخِطَابِ أكّـدَ به الضميرَ للتأكيد لا محلَّ له من الإعراب، والفعلُ مُعلّقٌ والمفعولُ محذوفٌ تقديره: أرأيتُكم آلهتكم تنفعُكُم [إذ][^1] تدعونها ﴿ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾ كما أتى مَن قبلكم ﴿ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ هولـهـا ﴿ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ ﴾ تبكيتٌ لهم ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ أن الأصنام آلهة، وجوابه محذوف أي: فادعوه.

﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ ﴾ (٤١) بل تَخُصُّونهُ بالدعاء كما حُكيَ عنهم في مواضع، وتقديم المفعول لإفـادة التخصيص ﴿ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ ﴾ [و][^2] أراد أن يتفضّل علـيكم ﴿ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴾ أي: آلهتكم التي تشركونها به تعالى، لما رُكز في العقول أنه القادر على كشف الضر دون غيره

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ (٤٢) أي: قبلك، و " من " زائدةٌ ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُم ﴾ الفاء فـصيحةٌ؛ أي: كذّبوا الرُّسُلَ فكفروا، فأخذناهم، فـ الأخذُ[^3]: الإمساك بقُوَّةٍ وقهرٍ، والمُرَادُ هنا: مبالغـةُ العقوبـةِ والملازمة ﴿ بِٱلۡبَأۡسَآءِ ﴾ البُؤْسُ والشِّدَّةُ: كالقَحْطِ والفقرِ ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ الضرُّ والآفات، وهما صِـفَتَا تأنيثٍ لا مُذكَّر لهما ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ يتذلّلون لنا ويتوبون عن الذنوب؛ فإن البلاء يُلِيْنُ القُلُوبَ.

﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ (٤٣) معناه: نَفْيُ التَّضرُّعِ في ذلك الوقت مع قيام الداعي، وعـدم المانع؛ وذلك أنه لما جاء بـ"لولا" التحضيضيَّةِ الداخلةِ على الماضي للتَّنْديمِ دلّت على أنْ لا مانعَ لهم من التضرُّع الذي اقتضاه الحال، ولمَّا كان التضرُّع من لِيْنِ القلب كان المعنى: لم يتضرَّعوا،

---

[^1]: ما بين معكوفين في الأصل أ: [أو]، والتصويب من ب.

[^2]: في الأصل أ سقطت الواو، والتصويب من ب.

[^3]: الأخذُ : التّناوُلُ كالتَّأخاذِ والسِّيرَةُ والا يقاعُ بالشَّخْصِ والعُقُوبَةُ، القاموس المحيط، فصل الهمزة، ٤٢١.

ولم يلينوا، فاستدرك بقوله: ﴿ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ فالاستدراكُ عن كلامٍ غيرِ ملفوظٍ، بل مدلولٍ عليه معنىً ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ يعني: لا مانع لهم من التضرُّع إلا قوَّة قسوة قلوبهم، وشِدَّةِ شكيمتهم[1] في عنادِهم وإعجابهم بأعمالهم التي زيَّنها لهم الشيطان ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ من البأساء والضرَّاء أي: تركوا الاتّعاظ به ولم يندموا ﴿ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾ المراد بـ" كلِّ شيءٍ " : التكثيرُ دونَ التعميمِ، كما في قوله تعالى: (وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ)[2]. والفَتْحُ المذكورُ تعبيرٌ عن تفسير مطالبهم الدُّنْيَويَّة؛ أي: امتحنَّاهم بالسَّرَّاءِ والضرَّاءِ، وابتليناهم بالشّدة والرَّخاء [مُخاشنة][3] وملاطفة إلزامًا للحجة، وإزاحة للعلة. ويجوز أن تكون التوسعة عليهم مكرًا، أو استدراجًا؛ لما رُوي في مسند أحمد بن حنبل[4] عن [عقبة] [5] بن عامر[6] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا رأيت الله يُعطِي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحبُّ فإنما [هو][7] استدراجٌ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ

---

(1) الشكيمة: عدم الانقياد، قال الجوهري: " وفلان ذو شَكيمَةٍ، إذا كان لا ينقاد "، الصحاح في اللغة للجوهري، باب شكا، ج١، ص٣٦٥، وتطلق الشكيمة أيضًا على الحديدة المعترضة في فم الفرس، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، باب شكم، ج١، ص١٠٢٠.

(2) من سورة النمل الآية: ٢٣.

(3) ما بين معكوفين في الأصل أ، : [محاسنة]، والتصويب من ب.

(4)هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، إمام المذهب، وصاحب المسند في الحديث توفي ٢٤١هـ. انظر تاريخ بغداد ٤١٢/٤ وحلية الأولياء ١٦١/٩، وسير أعلام النبلاء ١٧٧/١١.

(5) ما بين معكوفين في الأصل أ: [عتيبة]، والتصويب من ب.

(6) عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهني، صحابي أمير (توفي٥٨هـ/٦٧٨م)،كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم وشهد صفين مع معاوية ولي مصر ومات فيها، كان شجاعًا فقيهًا شاعرًا قارئًا، وكان ممن جمع القرآن، الأعلام، ٢٤٠/٤.

(7) ما بين معكوفين في الأصل أ: " هي "، والتصويب من ب.

بِهِۦ.....) الآية[١] ، فالتوسعة: قهْرٌ خَفِيٌّ في صورة اللُّطفِ، كما أنَّ الأخذ بالبلاء لُطفٌ خفيٌّ في صورة القَهْرِ، وقُرِئَ[٢]: فتَّحنا بالتشديد[٣] للتكثير ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ ﴾ بَطِروا و[عجبوا][٤] ﴿ بِمَآ أُوتُوٓاْ ﴾ من النِّعَمِ ﴿ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ ﴾ أي: أهلكناهم فجأةً؛ وهو أشدُّ الإهلاك إذ لم يتقدَّم شعورٌ به، فتُوَطَّن النفسُ على لقائه.

﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ المُبْلِسُ: الشديد الحسرة والبائس \الحزين.

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ ﴾ (٤٥) استُؤصِلوا ولم يبقَ منهم أحدٌ، والدَّابِرُ: التابع للشيء من خلفه؛ يُقال: دَبَرَ الولَدُ الوالدَ يَدبُرُهُ دَبرًا ودُبُورًا: إذا تَبِعَهُ، ووضع الذين ظلموا مَوضعَ الضمير للتسبيب؛ أ:ي حقَّ عليهمُ الدَّبار والعذاب بسبب تمادي ظلمِهم وتناهيه حين لم يَبْقَ لهم طمعٌ في صلاحهم ﴿ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ على إهلاكهم، وفيه إيذانٌ بأنَّ إهلاك الظَّلَمة من أجَلِّ النِّعَم وأحَقِّها بأن يُحْمَدَ عليه؛ لأنَّ وجودَهم في الخَلْقِ بلاءٌ وعَنَاءٌ وشرُّهم متعدِّدٌ ومفسدةٌ دنيا ودينًا، فتخليصُ المؤمنين من شُؤم أعمالهم وعقائدهم خيرٌ عظيمٌ، ونِعَمٌ سنيَّةٌ.

---

(١) ويذكر في الحديث الآية إلى تمامها إلى قوله تعالى: " فإذا هم مبلسون "، مسند أحمد بن حنبل ٤/ ١٩٥.

(٢) قراءة ابن عامر بالتشديد قراءة متواترة، **السبعة في القراءات**، ٢٥٧.

(٣) قراءة ابن عامر بالتشديد وباقي القراء بالتخفيف، التيسير في القراءات السبع، مرجع سابق، ٧٦/١، السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، ٢٥٧/١.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [وأعجبوا]، والتصويب من ب.

﴿ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ ﴾ [لمَّا كان هذا التهديد أخفَّ من التهديد السابق اكتفى هنا بخطاب الضمير، ولم يؤكَّد بحرف الخطاب كما أكَّد ثمَّ] [١] ﴿ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ ﴾ أي: أصمَّكم وأعماكم ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم ﴾ غطَّى عليها ما يُذْهِبُ فهْمَكم وعقلَكم ﴿ مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ أي: بذلك، إجراءً للضمير مجرَى اسم الإشارة، أو بما أخَذَ وختَمَ عليه، أو بأحد هذه المذكورات ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ نكرِّرُها مُتنوِّعةً تارةً بالمقدِّمات والحجج العقليَّة، وتارةً بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب، وتارةً بالتنبيه والتَّذكير بأحوال الأمم الماضية ﴿ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ [٢] يُعرِضون، وثُمَّ لاستبعاد الإعراض عن الآيات بعد تصريفها، وظهورها؛ ولذلك قدَّم الضمير على الفعل المضارع وصيَّر الجملة اسميَّةً؛ أي: هم المكرَّر عليهم الآيات متنوِّعةً، لا غيرهم، يُجدِّدون الإعراض دائمًا مع تجدُّد التصريف فما أبعد حالهم عمَّا فعلنا بهم.

﴿ ﴿٤٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ لمَّا كان التهديد [شديدًا] [٣] جمع بين أداتَي الخِطابِ ﴿ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾ لمَّا كانت البغتة هُجُومُ الأمر من غير ظهور إمارةٍ وشعورٍ به تضمَّنت معنى الخفيَةِ، فصحَّ مقابلَتُها لــ "جهرة"[٤] وبُدِئ بها لأنها أرْدَعُ من الجهرة، وإنَّما لم يقل خفية؛ لأن الإخفاء لا يناسبُ شأنه تعالى. وقُرِئ [٥]: بواو الجمع ﴿ هَلْ يُهْلَكُ ﴾ معنى الاستخبار: النفيُ؛ أي: ما يُهلَكُ به

---

(١) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب.

(٢) يصدفون، حمزة والكسائي وخلف بالإشمام، قراءة متواترة، **القراءات المتواترة**،محمد حبش ، ١٠٦.

(٣) في الأصل أ: "تهديدا"، والتصويب من ب وج.

(٤) ما بين معكوفين كما في الأصل أ: [للجهرة]، والتصويب من ب وج.

(٥) لم أجد هذه القراءة في كتب القراءات ولا كتب التفسير.

هلاكَ سُخطٍ وقهرٍ ﴿ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ بالإعراض عن الآيات عنادًا لاستحقاقهم ذلك بـــإلزام الحُجَّةِ، وإزالة العُذْر، وقُرئ: يَهْلِكُ من هَلَكَ.

﴿ ﴿٤٨﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ﴾ للمطيعين بالجنَّة ﴿ وَمُنذِرِينَ ﴾ للعاصين بالنار، وانتصابهما على الحال، وفيهما معنى العلّيَّةِ، أي: أرسلناهم للتبشير والإنذار، لا لِأنْ يُقترَحَ عليهم/ ويُـستَهْزَأ بهم ﴿ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ ﴾ [أي][1] ما يجب إصلاحه مما شُرِّعَ لهم ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من العذاب ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ بفوات الثواب.

﴿ ﴿٤٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ جُعِلَ العذابُ ماسًّا كأنه يتطلّب إيلامهم بالوصول إليهم، واستغنى بالتعريف عن التوصيف ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة.

﴿ ﴿٥٠﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ جمع خَزِيْنَةٍ وخِزَانَةٍ وهي ما يُخزَنُ؛ أي: يُحرَّزُ ويُحفَـظُ بحيث لا تناله الأيدي، وخزائن الله تعالى مقدوراته؛ أي: لا أملك أن أفعلَ ما أريد ما تقترحونــه. وليس المراد التبرِّي عن دعوى الألوهيَّة، وإلا لقيل: " لا أقول لكم إني إلهٌ كما قيل ولا أقول لكـم إني مَلَكٌ " وأيضًا في الكناية عن الألوهيَّة بـــ(عندي خزائن الله) ما لا يخفى من البشاعة، بل هو جواب عن اقتراحهم عنه –صلى الله عليه وسلم– أن يوَسِّع عليهم خيرات الدنيا.

﴿ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ عطفٌ على: " لا أقول " ، فليس معمولاً له بل للأمر؛ ولذلك احتيج إلى إعادة " لا أقول " في قوله: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ فإنه على تقدير العطف على "عندي خزائن الله" لا حاجة إلى إعادته، وإنَّما لم يأتِ فيه بنفي القول للفرْق الدقيق بينه وبين قرينيه؛ وهو أن مَفهومَي ﴿

([1]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب وج.

﴿ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ و﴿ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ معلومان عند الناس، فلا حاجة إلى [نفيهما][١]، إنَّما الحاجة إلى نفي ادِّعائها تبرِّيًا عن الدعوى الباطلة، بخلاف مفهوم " لا أعلم الغيب " فإنه كان مجهولاً عندهم، بل كان الظاهر من حاله -صلى الله عليه وسلم- الاطِّلاع على الغيب؛ فلذلك نسبوه إلى الكهانـــة، فالحاجة هنا إلى نفيه، ثمَّ إن هذا النفي تَضَمَّنَ الجواب عن قولهم: " إن كنت رسولاً فأخبرنا [بما][٢] يقع في المستقبل من المنافع والمضارِّ فنستعِدَّ لتحصيل تلك ودفع هذه "، ونَفيُ دعوى المَلَكِيَّـــةِ تَضمَّنَ الجواب عن قـــولهم: (مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَـامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ)[٣] ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ في الدَّعاوى والأحكام والإخبارات، ففيه تتميمٌ لما تقدَّمه من نَفي الأمور الثلاثة، وبيان أن منزلته الرسالة التي هي أقصى المنازل البَشَرِيَّة ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ مَثَلٌ للضالِّ والمهتدي، أو العالم والجاهل، أو لمدَّعي [المحال][٤] كالمَلَكِيَّة ومُدَّعي المُمْكِن الصحيح كالنُّبُوَّةِ ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ فتهتدوا كالبصير ولا [تكونوا][٥] ضالِّين كالأعمى، أو فتعلموا أنني ما ادَّعيت إلا ما يصحُّ للبشر، وأن اتِّباع الوحي واجبٌ فتكونوا بصراء [لا][٦] عميانًا.

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [أن يُفهما]، والتصويب من ب وج.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: بتكرار [بما]، والتصويب من ب وج.

(٣) من سورة الفرقان الآية: ٧.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: " الحال " والتصويب من ب وج.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: " ولا يكونوا "، والتصويب من ب وج.

(٦) ما بين معكوفين في الأصل والنسخة ب: " ولا عميانًا "، والصواب: " لا عميانًا "، لأن الـــواو زائـــدة، أثبـــت الصواب بعدم الواو.

﴿ ٥١ وَأَنذِرْ بِهِ ﴾ أي: بما يُوحَى ﴿ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ هم [المُقِرُّون][1] بالبعث من المؤمنين المقصِّرين في العمل، أو من أهل الكتاب، أوالمتردِّدين فيه كالمشركين المستبعدين الذين علم الله تعالى أن ينجع[2] فيهم دون المنكرين الجازمين بانتفائه.

﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ في موضع النصب على الحال من[3] " يُحْشَرُوٓاْ "؛ أي: يخافون أن يُحشروا غيرَ منصورين من أحدٍ من دون الله تعالى ولا مشفوعًا لهم ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ يحذرون سوء العاقبة فيعملون عمل أهل التقوى أو يؤمنون فيتقون، ولمَّا أمر [بإنذار][4] غيرَ المتقين ليتَّقوا، أمَرَ بإكرام المُتَّقين وتقريبهم تكميلاً لأمر التحريض على التقوى بالترهيب والترغيب، فقال: ﴿ ٥٢ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ ﴾ وقراءة ابن عامر[5] وحده بضمِّ الغين وإسكان الدال وإثبات الواو بعدها [6]، وفيه أنها معرفةٌ، ولو كانت نكرةً لجاز فيها الإضافة، كما جاز غداة يوم الجمعة [7]، وقال أبو عليٍّ الفارسيّ[8]: الوجهُ الغداةُ؛ لأنها تُستَعملُ نَكِرةً وتُعرَّفُ باللام، وأما غدوةً فمُعَرَّفَة

([1]) في الأصل: " المعروف "، والتصويب من ب وج.

([2]) أي: أثر ونفع، قال الجوهري: " وقد نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء أي: دخل وأثر "، الصحاح في اللغة، ١٩٥/٢، وفي المعجم الوسيط: نجع الشيء نجوعًا: نفع وظهر أثره، المعجم الوسيط، باب نجع، ٧٢٧/٢.

([3]) الحال من الواو في " يُحشروا "، مشكل إعراب القرآن، ١٣٣/١.

([4]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بالإنذار]، وفي النسخة ب: [بإنذار] ، أثبت ما في النسخة ب؛ لصحة إضافة الغير معرف بـــ ال وعسر إضافة المعرف بها حسب الأصل أ.

([5]) عبد الله بن عامر بن زيد اليحصبي، (٨-١١٨هـ/٦٣٠-٧٣٦م) أحد القراء السبعة، ولي قضاء دمشق، قال عنه الذهبي: إمام الشاميين، **الأعلام للزركلي**، ٩٥/٤.

([6]) بالغُـدْوَة، قراءة ابن عامر، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٣٧٠/١.

([7]) ذكر أنها معرفة، **المقتضب** للمبرد، ٢١٤/١.

([8]) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النسوي أبو علي الفارسي النحوي، أخد من الزجاج وابن السراج وصاحب اسحاق بن واهويه. كانت له منزلة عالية في النحو حتى قال بعض تلامذته: هو فوق المبرد وأعلم، من تلاميذه؛ عثمان بن جني، وعلي بن عيسى الشيرازي. توفي سنة ٢٧٧هـــ، انظر تاريخ بغداد ٢٧٥/٧، وإنباء الرواة ٢٧٣/١، ووفيات الأعيان ٨٠/٢، وبغية الوعاة ٤٩٦/١.

[1] أبدًا، وهو علم صيْغَ له" وقال ابن خالويه [2] في توجيهه: " إنَّ العرب تُدخِل الألف واللام على المعرفة وإذا جاؤوا بما فيه الألف واللام ليزدوج الكلام قال الشاعر:

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركًا[3] .

فأدخل الألف واللام على اليزيد لمَّا جاور الوليد[4]

ومنهم من قال: " إنها إنما تكون معرفة إذا أرَدْتَ غُدْوَةَ [نهارك][5] ، وههنا لم يرد ذلك وكان التعريف جنسيًّا". وقال الجوهريُّ: " سر على فرسك غُدوَةً وغُدوةً فما نوِّن[6] من هذا فهو نكرة وما لم ينوِّن فهو معرفةٌ "[7] ﴿ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ أي: يعبدون الله تعالى دائمًا؛ فإن المرادَ من الغداة والعشيِّ: الدوامُ على [أكثر][8] استعمالهما، وقيل: " يُصلُّون الصبح والعصر وقت دعوتهم بالغداة والعشي؛ لأنها من الأعمال الظاهرة وهي مؤقتة وأدام إرادتهم فاستغرقت جميع أوقاتهم؛ لأنها من

([1]) **زاد المسير** لابن الجوزي، ٤٦/٣.

[2] الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله اللغوي، (توفي٣٧٠هـ/٩٨٠م)، من كبار النحاة استوطن حلب واشتهر فيها، عهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده، من كتبه: شرح مقصورة ابن دريد، مختصر شواذ القرآن، الأعلام، ٢٣١/٢.

([3]) البيت من بحر الطويل: لابن ميادة الرمَّاح بن أبرد، ص: ، ٨١ والبيت كاملاً:

رأيت الوليد بن اليزيد مباركًا   شديدًا بأعباء الخلافة كاهله

([4]) حجة القراءات لابن زنجلة، ج١، ص٢٥١.

([5]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [نهارين]، والتصويب من ب.

([6]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [فوق]، والتصويب من ب.

([7]) إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر مؤلف الصحاح في اللغة، أول من حاول الطيران وهو يحاول الطيران، ولكن الصحيح نسبة هذا الكلام إلى محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي في كتابه تاج العروس في فصل الغين. توفي سنة ٣٩٣ هـ، انظر معجم الأدباء ١٥١/٦، وأنباء الرواة ١٩١/١، وسير أعلام النبلاء ٨٠/١٧.

([8]) ما بين القوسين سقط في الأصل، والإضافة من ب وج.

الأحوال الباطنية وهي مؤبَّدة " ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ لا دنياهم بكرائمها، ولا عُقباهم بعظائمها، والوجه يُعبَّرُ عنه عن ذات الشيء وحقيقته.

والمُراد بإرادة وجه الله تعالى: الإخلاص، رتَّب النَّهي على مواظبتهم على دعاء ربِّهم وعبادته تعالى مع الإخلاص إشارةً إلى أنَّها الموجبةُ لإكرامهم، وأن مِلاك الأمر في العبادة الإخلاصُ، فلا [يُعتبَرُ بدونه لما قَصرَ لهم لسانَ المعارضة سكنوا متضرِّعين بقلوبهم بين يَدَي الله تعالى داعين له بحَسَن الابتهال، [فتولى][(١)] سبحانه وتعالى خصومتهم فقال: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ ﴾ لا تنظر يا محمد إلى خُرْجتهم [(٢)] على ظواهرهم وانظر إلى خرفتهم [(٣)] في سرائرهم كانوا مستورين فشَهَرَهُم الله تعالى، قال الإمام أبو منصور[٤]: " ذهب عامَّة أهل التأويل إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم همَّ بطرد فقراء المسلمين طَمَعًا في إسلام رؤساء المشركين، فعاتبه الله تعالى في ذلك، وأنزل عليه هذه الآية" [(٥)] [(٦)] ولكنه بعيدٌ [سمج][(١)] ينسبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى

([١]) في الأصل أ: "فقط"، والتصويب من ب.

([٢]) معنى خرجتهم: يقال رجل خُرَجَة وُلَجَة: أي كثير الخروج والولوج، **الصحاح في اللغة**، ١٦٦/١، فيكون المقصود هيئة خروجهم وولوجهم المبتذلة حسب ظاهرهم.

([٣]) الخُرْفةُ بالضم: ما يُجتنى من الفواكه، يُقال: " التمر خُرفة الصائم "، **الصحاح في اللغة**، ١٦٩/١، فيكون المقصود سرائرهم المؤمنة بالله.

([٤]) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (نسبة إلى ماتريد محلة بسمرقند) (توفي ٣٣٣هـ / ٩٤٤م) : من أئمة علم الكلام، له مؤفات كثيرة في العقيدة ككتاب التوحيد، وأوهام المعتزلة، والرد على القرامطة، ومآخذ الشرع، إضافة لكتاباته في الفقه ككتاب شرح الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة النعمان، توفي أبو منصور بسمرقند، الأعلام، ١٩/٧.

([٥]) الحديث رواه ابن ماجه في سننه عن سعد رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية فينا ستةٍ: فيَّ وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال، قال قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنا لا نرضى أن نكون أتباعًا لهم فاطردهم عنك "، فدخل قلبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ما شاء الله أن يدخل فأنزل الله عزَّ وجلَّ: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)، سنن ابن ماجه، ٥٦٩/٥.

([٦]) ورد في سبب نزولها أربعة أقوال ذكرها الواحدي في أسباب النزول وهي:

١-عن سعد قال: نزلت هذه الآية فينا ستة فيَّ وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال، قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا لا نرضى أن نكون أتباعا لهؤلاء فاطردهم، فدخل قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم

أقبح فعل وأوحشه، ولا يحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يُقرِّب الأعداءَ ويُبعِد الأولياء، ولو فعل ذلك لوجد الكفرة عليه مطعنًا يقولون: " يدعو الناس إلى الإيمان والتوحيد والاتّباع فـإذا فعلوا ذلك وأجابوا طردهم وأبعدهم " ، هذا لَعَمْري مَدْفوعٌ في عقل كلِّ عاقلٍ، ولكـن يجـوز أن يكون طلب ذلك منه أولئك فأمَّا أن يَهُمَّ هو به فلا، ويجوز أن يكون هذا من الله تعالى ابتداءَ تأديبٍ وتعليمٍ له في صُحبة أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ومعاملتهم وإخبارًا عـن قـدْرهم عندَه ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [كقوله][٢]: (إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ

من ذلك ما شاء الله أن يدخل، فأنزل الله تعالى عليه – {وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} – الآية، رواه مسلم.

٢- عن خباب بن الارت قال: فينا نزلت، كنا ضعفاء عند النبي صلى الله عليه وسلم بالغداة والعشي، فعلمنا القـرآن والخير، وكان يخوفنا بالجنة والنار وما ينفعنا والموت والبعث، فجاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بـن حـصن الفزاري فقالا: إنا من أشراف قومنا وإنا نكره أن يرونا معهم فاطردهم إذا جالسناك، قال: نعم، قالوا: لا نرضى حتى نكتب بيننا كتابا، فأتى بأديم ودواة، فنزلت هؤلاء الآيات {وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَـدَاةِ وَالْعَـشِيِّ يُرِيـدُونَ وَجْهَهُ} إلى قوله تعالى: {فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ}.

٣- عن ابن مسعود قال: مر الملا من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده خباب بن الارت وصهيب وبلال وعمار، قالوا: يا محمد رضيت بهؤلاء؟ أتريد أن نكون تبعا لهؤلاء، فأنزل الله تعـالى – {وَلا تَطْـرُدِ الَّـذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} – وبهذا الاسناد قال: حدثنا عبد الله، عن جعفر عن الربيع قال كان رجال يسبقون إلى مجلس رسـول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم بلال وصهيب وسلمان، فيجئ أشراف قومه وسادتهم، وقد أخـذوا هـؤلاء المجلـس فيجلسون إليه، فقالوا: صهيب رومي وسلمان فارسي وبلال حبشي يجلسون عنده ونحن نجئ ونجلس ناحية، وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: إنا سادة قومك وأشرافهم فلو أدنيتنا منك إذا جئنا، فهم أن يفعل، فـأنزل الله تعالى هذه الآية.

٤-وقال عكرمة: جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث ابن نوفل في أشراف بنـي عبـد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا: لو أن ابن أخيك محمدا يطرد عنه موالينا وعبيدنا وعسفاءنا كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له، فأتى أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسـلم فحدثـه بالذي كلموه، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون وإلام يصيرون من قولهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب يعتذر من مقالته، أسباب النـزول، الواحـدي، مرجـع سـابق، ص١٢٥.

(١) في الأصل أ: "بسنح، والتصويب من ب وج.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل: [كقولهم]، والتصويب من ب.

رَبِّيۚ)[١] وذلك أن المشركين طعنوا في دينهم وإخلاصهم، فشهد الله تعالى لهم بالإخلاص وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ) كما لا عليهم من حسابك (مِّن شَيْءٍ) أي: لا [يلزمكم][٢] اعتبار [بواطنهم][٣] وإخلاصهم بعد اتّسامهم بسيرة المتقين وصلاح ظواهرهم، إنما ذلك على الله تعالى أو عليهم أخلصوا أو لم يُخلِصوا لا عليك، فحالهم في ذلك بالنسبة إليك كحالك بالنسبة إليهم سواءٌ لا يتعدّى ذنبُ أحدٍ إلى صاحبه، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[٤]، فالجملتان في تأدية[٥] المعنى المراد بمنزلة جملةٍ واحدةٍ، وقيل: حسابُ رزقِهم إلى فقرهم، وقيل: الضمير للمشركين أي: لا يؤاخَذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يَهُمَّك إيمانهم فتطردَ المؤمنين لأجلهم، ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾ جواب النفي أي: ما عليك شيءٌ من حسابهم فتطردهم ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ جواب النّهي؛ أي: ولا تطردهم فتكون من الظالمين، وجوَّز عطفه على: (فتطردَهم) على وجه التسبُّبِ ولا يساعده المعنى؛ فإن الطرد إنّما يستقيم جوابًا للنفي على تقدير أن يكون حسابهم عليه و حينئذٍ لا يكون سببًا للظلم إلا أن يُقدّر فتطردَهم بقول المشركين.

﴿ (٥٣) وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثل ذلك الفتنِ العظيم؛ وهو: اختلافُ أحوالِ [الناس في][٦] الدنيا ﴿ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ أي: ابتلينا بعض الناس ببعضٍ، فقدَّمنا فقراء المسلمين على [أشراف] [١]

([١]) من سورة الشعراء الآية: ١١٣.

([٢]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [تلزمكم]، والتصويب من ب.

([٣]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بواطنكم]، والتصويب من ب.

([٤]) من سورة الأنعام الآية: ١٦٤، ومن سورة الإسراء الآية: ١٥، ومن سورة فاطر الآية: ١٨، ومن سورة الزمر الآية: ٧.

([٥]) في الأصل: "فالجملتان في بادية المعنى"، والتصويب من ب.

([٦]) ما بين القوسين سقط من الأصل، والإضافة من ب وج.

قريشٍ بالسبق إلى الإيمان ﴿ لِّيَقُولُوٓاْ ﴾ أي: ليقول المشركون [اللام للعاقبة] (٢) وإن ضمَّن فتنَّاهم معنى خذلناهم مفتونين فالتعليل على أصل القائلين بصحَّة تعليل أفعاله تعـالى بـالأغراض؛ أي: خذلناهم مفتونين ليقولوا، فكان افتتانهم سببًا لهذا القول، فإنَّه لا يقولُه إلا مَفْتُونٌ مَخْذُولٌ ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ إشارةٌ إلى أولئك المؤمنين، واستحقارٌ لهم [كقولهم](٣):

(أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا)(٤)

﴿ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ أي: أَنْعَمَ عليهم من بيننا بالتوفيق لما يُسعدهم عنده من الإيمان وإصابة الحقِّ من دوننا ونحن الرُّؤساءُ والمُقدَّمونَ وهم الضُّعفاءُ والعبيد، وهو إنكارٌ منهم لأن يكون أمثالهم على الحقِّ وممنونًا عليهم بالخير دونهـم كقـولهم: (لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ)(٥) ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ الاستفهام للتقرير أي: الله أعلم بمن يقع منه الإيمان والشكر فيُوفِّقُه لذلك، وبمن لا يقع منه فيخذله.

﴿ (٥٤) وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ هم الذين يَدْعُونَ ربَّهم، وَصَفَهُمْ بالمواظبة على الطَّاعة، ثم بالإيمان بالله وآياته من الحُجَج والبيِّناتِ بعد النَّهْي عن طَرْدِهم، ثم أمره عليه السلام بقوله: ﴿ فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ بأن يبدأ بالتَّسليم عليهم أو يُبَلِّغَ سلام الله تعالى إليهم،

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [أشرف]، والتصويب من ب.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [كون الله للعاقبة]، والتصويب من ب.

(٣) ما بين القوسين سقط في الاصل، والإضافة من ب وج.

(٤) من سورة الفرقان الآية: ٤١.

(٥) من سورة الأحقاف الآية: ١١.

ويُبشِّرهم بسعة رحمته وفضله عليهم، وأن الله تعالى التزم لهم ذلك إيذانًا بأنهم الجامعون لفضيلَتَي العِلْمِ والعَمَلِ، [ومن][(١)] كان كذلك وجب إعزازُه وإكرامُه، وأن يُبشَّرَ من الله تعالى بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة، وقيل[٢]: إن قومًا جاؤوا إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقالوا: " إنَّـــا أصبنا ذنوبًا عظامًا فلم يَرُدَّ عليهم شـــيئًا فانـــصرفوا " فنزلـــت[(٣)] ﴿ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا ﴾ استئنافُ تفسير الرحمة، وقُرِئَ[٤]: بالفتح على [البدل منها][(٥)] ﴿ بِجَهَٰلَةٖ ﴾ [فـــي][(٦)] موضـــع الحال أي: عمله وهو جاهلٌ أو ملتبسًا بجهالةٍ ﴿ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ من بعد العمل الـــسوء ﴿ وَأَصۡلَحَ ﴾ بالتَّدارُكِ والعَزْمِ على أن لا يعود إلى مِثْلِه ﴿ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ فتْحُه من فتَحَ الأوَّل غيرُ نافعٍ على إضمار مُبتدأٍ أوخبرٍ؛ أي: فأمره أو فله غُفرانه.[(٧)]

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [من]، والتصويب من ب.

٢ ذكره الطبري عن ماهان، **تفسير الطبري**، ٢٧٢/٩.

(٣) ورد في سبب نزولها قولان ذكرهما الواحدي:

١–قال عكرمة: نزلت في الذين نهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم، فكان إذا رآهم النبي صلى الله عليه وسلم بدأهم بالسلام وقال: "الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام".

٢–وقال ماهان الحنفي: أتى قوم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنا أصبنا ذنوبا عظاما، فما إخاله رد عليهم بشئ، فلما ذهبوا وتولوا نزلت هذه الآية – {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا}. أسباب النزول، الواحدي، مرجع سابق، ج١، ص: ١١٥.

٤ عاصم وابن عامر، قراءة متواترة، **السبعة في القراءات**، ٢٥٨.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الشرط هنا]، والتصويب من ب.

(٦) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

(٧) قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي بكسر الهمزة: (إنه من عمل... فـــإنه غفور رحـــيم)، وقـــراءة عاصم وابن عامر: (أنه من عمل... فـــأنه غفور رحيم)، السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي البغدادي، طبعة دار المعارف، القاهرة، ج١، ص: ٢٥٨.

﴿ ﴾ وَكَذَٰلِكَ ﴾ مثل ذلك التفصيل البيِّن ﴿ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ آيات القرآن في وَصْـفِ المطيعـين [والمجرمين][١] [الأوَّابين][٢] منهم والمصرِّين ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ استبان يجيءُ لازمًا ومتعدِّيًا كـ" تبيِّن " وقُرئ [٣] بالياء والتاء مع رفع " السبيل "؛ لأنها تُذكَّر وتُؤنَّث.

وقُرئ [٤]: بالتاء ونُصب السبيل على خطاب الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وهو إمَّـا عطـفٌ على علَّةٍ محذوفةٍ؛ أي: ليظهرَ الحقَّ ولِتستبينَ، أو علةً بمحذوفٍ؛ أي: ولتستبين سبيل المجـرمين فصَّلنا ذلك التفصيل واكتفى بذكر سبيل المجرمين لتبيُّن سبيل غيرهم منه، ولم يُعكَس؛ لأن ذكـره أهمُّ، والنفسُ إلى الترهيب أطْوَعُ منها إلى الترغيب.

﴿ ﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ ﴾ صُرِفتُ وزُجِرتُ بنور فطرتي وصفاء عقلي، وبما أُوحِيَ إليَّ بها ونُصِب [لي][٥] بها من الدلائل ﴿ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ عن عبادة ما تعبدون من دون الله تعالى أو ما تدعونها آلهة ﴿ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ﴾ تأكيدٌ لقطع أطماعهم واسـتجهالٌ لهـم واسـتِركاكٌ [لعقولهم][٦] وإشارةٌ إلى علَّة النهي ومُوجِبٌ للامتناع عن مشايعتِهم، وبيانُ سـببِ ضـلالتهم، وذمٌّ بطريقتهم وأنَّ ما هم عليه مجرَّد هوىً فارغ عن الدلائل، مخالف لمقتضى العقل، ومعنـى: ﴿ قَدْ

([١]) ما بين القوسين سقط في الأصل، والإضافة من ب وج.

([٢]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الأول بيِّنٌ]، والتصويب من ب.ب.

[٣] قرأ بالياء: شعبة وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ غيرهم بالتاء، قراءتان متواترتان، محمد حبش، **القراءات المتواترة**، ١٠٦.

[٤] نافع وأبو جعفر، قراءة متواترة، محمد حبش، **القراءات المتواترة**، ١٦٠.

([٥]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

([٦]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [لقولهم]، والتصويب من ب.

﴿ضَلَلْتُ إِذًا﴾[1] إن اتَّبعتكم قد ضللت لأنه مركوزٌ في العقل أنَّ كلَّ من اتَّبع الهوى فهو ضالٌّ، وفيه تنبيهٌ على أن كل من طلب الحقَّ [فليجتنب][2] الهوى [وليتمسَّك][3] بالحجة [وليلزم][4] طريق العقل فإنه الهوى، ثمَّ أكَّده بقوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ على الجملة الاسمية الدالَّة على المُنَافاة [الكُلِّيَّة بين][5] متابعة الهوى والهدى مع المبالغة؛ بناءً على أنَّ "من المهتدين" أبلغُ من مُهتدٍ وهو أبلغ من اهتدى، وأنَّ القيدَ دَخَلَ النفيَ؛ أي: وما أنا من الهدى في شيءٍ ما دمت أنا [أنا][6] يعني: أنتم كذلك، وفيه غاية [التنفير عن][7] طريقتهم، ولما بالغ في نفي كون الهوى مُتَّبعًا نبَّه على ما يجب اتِّباعه بقوله:

﴿ ٥٧ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ البيِّنة: الحُجَّةُ الواضحة التي تفصل الحقَّ عن الباطل، فقيْدُ الوضوح مُعتَبَرٌ في مفهومها، لا مُستفادٌ من التنكير، وهي أعمُّ من أن يكون وحيًا أو دليلاً عقليًّا أو كشفًا،

﴿مِّن رَّبِّى﴾ متعلِّقٌ بالظرف، أو صفةٌ لبيِّنةٍ؛ أي: إني من معرفة ربي ووحدانيَّتِهِ على يقينٍ وحُجَّةٍ واضحةٍ ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ أي: بربي، حيث أشركتم به غيره، أو بالبيِّنة حملاً على المعنى وهو القرآن ﴿ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ﴾ يعني: العذاب الذي استعجلوه بقولهم: (فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا

---

[1] قرأ بإدغام الدال بالضاد أبو عمرووحمزة والكسائي، قراءة متواترة، محمد حبش، **القراءات المتواترة**، ١٠٢.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [فيجتنب] والتصويب من ب.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ولا يتمسك] والتصويب من ب.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ولا يلزم]، والتصويب من ب.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [القياسيَّة]، والتصويب من ب.

(٦) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب.

(٧) ما بين معكوفين في الأصل أ: [التعسير على]، والتصويب من ب.

حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)(١) ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ في تأخير العذاب لا لي وإلا عجّلته ﴿ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ﴾ في كلِّ ما يُرْجَعُ [إليه](٢) من التعجيل والتأخير، " الحقَّ ": صفةٌ للمصدر؛ أي: القضاءَ الحقَّ، أو مفعولٌ به؛ أي: يضعُ الحقَ من قولهم: " [قضى الدِّرعَ](٣) " إذا صنعها، فيَرجِعُ إلى القراءة الثانية(٤) معنى.

قال الزَّجَّاجُ (٥) : " هذه كُتِبت ههنا بغير ياءٍ على اللفظ؛ لأن الياء سقطت لالتقاء الساكنين كما كتبوا: سندعُ الزبانية "، وقُرِئَ(٦): (يقصُّ الحقَّ) أي: يتَّبِعُ ما هو الحقَّ، من قَصَّ أَثَرَه إذا اتَّبَعَهُ، لا من قصِّ الخبر؛ لعدم ملاءمته ما في السياق واللحاق من الحُكْم والفَصل ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ [أي](٧) القاضين وأصل(٨) القضاء: الفصل بين الحق والباطل.(٩)

---

(١) من سورة الأنفال الآية: ٣٢.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [به]، والتصويب من ب.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [قصَّ الزرع]، والتصويب من ب.

(٤) القراءة الأولى: قراءة ابن كثير ونافع وعاصم بالصاد، قراءة متواترة، **السبعة في القراءات**، ٢٥٩.

القراءة الثانية: قراءة أبي عمرو وحمزة وابن عامر والكسائي بالضاد، قراءة متواترة أيضًا، **السبعة في القراءات**، ٢٥٩.

(٥) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (٢٤١-٣١١هـ / ٨٥٥-٩٢٣م): عالم بالنحو واللغة، وكان في فُتُوَّته يخرط الزجاج ومال إلى النحو، وهو من تلاميذ المُبَرِّد، ومؤلف معاني القرآن، وكتاب إعراب القرآن، ولد ومات ببغداد، الأعلام للزركلي، ١/٤٠.

(٦) قراءة ابن كثير ونافع وعاصم، قراءة متواترة، **السبعة في القراءات**، ٢٥٩.

(٧) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب.

(٨) ما بين معكوفين في الأصل أ: [أوصل] ، والتصويب من ب.

(٩) قال الكلبي: نزلت في النضر بن الحارث ورؤساء قريش كانوا يقولون: يا محمد ائتنا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاء منهم، فنزلت هذه الآية، **أسباب النزول**، **الواحدي**، مرجع سابق، ١٢٥.

﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى ﴾ أي: في قُدْرَتي ووُسْعِي ﴿ مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ ﴾ من العذاب ﴿ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ ﴿٥٨﴾ لأبَيِّتكُمْ غضبًا عاجلاً [لربي][1] وانقطع ما بيني وبينكم: استعظامٌ لتكـذيبهم أي: أنتم [إذ][2] كذَّبتم بما هو أبين شيء أحِقَّاءُ بأن [نغافلكم][3] بالعذاب المستأصل، لكنَّـه لا قـدرة لي، ولو كان عندي أشدُّ العذاب لأوقعته بكم مُعجَّلاً ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ تسجيلٌ عليهم بأنَّ الشِّرك الذي هم عليه [أعظمُ][4] الظُّلْم، والظلمُ موجبٌ لاستحقاق العذاب لكن الله أعلمُ بما يحـب من عذابهم ويُوقِعُهُ.

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ ﴿٥٩﴾ المفاتح: جمعُ مَفْتَحٍ بفَتْح الميم وهو: المخزن الذي يُفتَحُ ويُغلقُ، أو جمع مِفْتَح بكسرها وهو المفتاحُ، ويؤيِّده قراءة من قرأ: [مفاتيح][5] لِمَا أوْدَعَ فيـه الغيـب مـن خزائنه، أو لما يَتوصَّلُ به إليه، وخُصِّصَتْ به بتقديم الظرف لأنه لا اطِّـلاعَ عليـه ولا يمكنـه التوصُّلُ إليه ﴿ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: هو المُطَّلِعُ على مكامن غيبه وعنده وَحدَهُ، أو هو ما بـه يُتَوَصَّلُ إليه، كأنَّه في مَخزنٍ مُغلَقٍ أبوابُه لا يعلم أحدٌ مفاتيحه إلا هُوَ؛ يعني:أسبابَه التي توجِـبُ إحداثَه وإظهارَه في عالم الشهادة؛ أي: يعلم أوقاتَها وما في تأخيرها وتعجيلها من الحِكمَةِ فيُظهِرَها على ما اقتضته مشيئتُهُ بحسب حكمته، وهذا الوجه أنسب لما قبله،

قيل: وفيه دلالة على علمه تعالى بالأشياء قبل وقوعها، ويُردُّ عليه: أن علمه تعالى ليس بزمـانيٍّ فلا قبليَّة بينه وبين الأشياء الواقعة في الزمان ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ كما يَعْلَمُ ما في الغيـب

---

[1] ما بين معكوفين في الأصل أ: [بربي]، والتصويب من ب.

([2]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب.

([3]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يعاجم] والتصويب من ب.

([4]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [أظلم]، والتصويب من ب.

([5]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [مفاتح]، والتصويب من ب.

كلّه يَعلمُ ما في الشهادة كلّها ﴿ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا ﴾ تأكيدٌ لعلمه بالجزئيّاتِ ممَّا في البرِّ والبحر ﴿ وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أراد ظلمة بَطنِها، وظُلمة داخل الشَّجَرَ، وظُلمةِ جَوفِ الثَّمَر، عبَّرَ بـ: " الحبَّةِ " الموصوفة بهذه الصفة عمَّا هو في مَبدَإِ أمره من جِنسِ النَّامِي، وبـ:" الورقة الساقطة" عمَّا بلغ مُنْتَهَى شأنِه منه ﴿ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ [معطوفاتٌ](١) على ورقة وقوله: ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ كالتكرير لقوله: (إلا يعلمها) ؛ لأنَّ معناه: ومعنى إلا في كتاب مبين واحدٌ، أمَّا إذا أُريدَ بـ" الكتاب المبين " علمَ الله تعالى فظاهرٌ، وأمَّا إذا أُريدَ به اللوح المحفوظ؛ فلأنَّ كونه فيه كنايةٌ عن كونه من جملة معلوماته تعالى فهو آيلٌ إليه في المعنى، وقُرِئَتْ ٢ بالرَّفع على العطف على محلِّ: " مِن ورقةٍ " ، أو على الابتداء والخبر: (إلا في كتاب مبين).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ ﴾ (٦٠) في وَقتِ النَّوم، وإنَّما عبَّر عنه بـ" الليل " وعن وقت الكسب بـ" النهار "؛ لأنَّهما مُعْظَم أوقاتِهما، أو خصَّهما بالذكر جَرْيًا على ما هو المُعْتَادُ، وقد استُعير التَّوَفّيْ من الموت للنَّومِ لمشابهته إياه في زوال الإحساس، والتمييز به، وأصله قبض الشيء بتمامه ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ ما كسبتم فيه، ومنه إطلاق الجوارح للأعضاء الكاسبة، والواو حاليَّةٌ لا ناسقة(٣)، وإلا لأُخِّرَت عن قوله: ﴿ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ ﴾ في النهار والبعث: الإثارة، لا الإيقاظ؛ غايتُهُ: بعثُ النائم يكون بإيقاظه فلا ترشيح فيه للتَّوَفّي ﴿ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ﴾ في علم الله تعالى، وقضاء الأجل: فَصْلُ مدَّةِ العُمْرِ من غيرها، ويلزمه البلوغ إلى نهاية تلك المُدَّةِ، وهو

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [معطوف]، والتصويب من ب.

(٢) لم أجد القراءة في كتب القراءات وذكرها البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٢/٤١٦.

(٣) واو النسق: أي واو العطف.

المراد بقوله ههنا: ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ بالبعث بعد الموت، والمُرَادُ: الرجوع إلى [موقف][١] حسابه [تعالى][٢] ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم ﴾ يخبركم ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من الخير أوالشر فهذا وعدٌ ووعيدٌ. وقيل: الخطاب للكَفَرَةِ، والمعنى: أنكم مُلْقَونَ كالجِيَفِ في الليل وكاسبون للآثام في النهار، وأنَّه تعالى مُطَّلعٌ على أعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ما قطعتم به أعماركم من الغفلة [والمعاصي][٣] في الليل والنهار ليَقضِيَ المدَّةَ التي ضربها لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم، ثم إليه مرجعكم بالحساب، ثم يخبركم بأعمالكم بالجزاء.

وعلى هذا يكون الضمير في فيه عائدًا إلى مضمون كونهم متوَفَّيْنَ وكاسبين، ويكون " في " بمعنى: [لام][٤] التعليل، والأجَلُ المسمَّى: مدَّة الكَوْن، ولا يخفى ما فيه من التَّعَسُّفِ المستغنَى عنه بما قدَّم من الوجه [الظاهر][٥].

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴿٦١﴾ ﴾ قد مرَّ تفسيره في هذه السورة، قدَّمه على ما ذكر إرسال الحفظة؛ ليُعلَمَ أنَّ إرسالهم لم يكن لحاجته إلى ذلك؛ لأنَّ المُحتَاجَ لا يكونُ قاهرًا بل لحكمة وهي: أن يكون العباد على حذرٍ وهذا أبلغ [في][٦] الزجر؛ لأنَّ مَن عَلِمَ أنَّ عليه رُقباء كان أجدر بالحَذَر، فإنَّ العبد إذا [وثق][٧] بلطف مولاه واعتمد على عَفْوِهِ لم يَحتَشِم منه احتشامه من خِدمَةِ المُتَطَلِّعين عليه.

([١]) في الأصل أ: "قصر"، والتصويب من ب وج.

([٢]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

([٣]) في الأصل أ: "وللعاصي"، والتصويب من ب وج.

([٤]) في الأصل أ: "لا"، والتصويب من من ب.

([٥]) في الأصل أ: "القاهر"، والتصويب من ب.

([٦]) ما بين معكوفين في الأصل أ: أبلغ [على] الزجر، والتصويب من ب وج.

([٧]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [أوثق]، والتصويب من ب وج.

﴿ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً ﴾ الجمهور على أنَّهم: حَفَظَةُ الأعمال، وقيل: إنَّهم الذين يحفظون أنفـــاس الخلائق ويَعُدُّونها إلى وقت انقضائها ثم يقبضون الروح، يناسبه ما بعده و" عليكم" متعلّقٌ بـــ: " يرسل " كما في قوله [تعالى](١): (يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٌ)(٢) وهم لتمكُّنهم مِنَّا جُعِلوا مُستَوْلِيْنَ علينـــا، ويجوز تعلقه بـــ: "حَفَظَةٍ "؛ أي: حافظين عليكم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ أي: أسبابه ﴿ تَوَفَّتۡهُ ﴾ قبضَتْ رُوحَه، وقُرئَ ٣: بألفٍ ممالةٍ ﴿ رُسُلُنَا ﴾ جاء جَمعًا عَنَىٰ به مَلَكَ المَوْتِ وأعوانه، وفي عبارة: " رسلنا " إشارةٌ إلى أن ذلك بأمره تعالى، ولذلك أسنده إلى نفسِه في موضعٍ آخرَ، وقال: (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا)(٤) ﴿ وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ جُملةٌ حاليَّة، واستئنافيَّة، قُرئَ ٥: بالتـــشديد، والتخفيف، فالتفريط: التَّوانِيْ والتَّأخِيْرُ عن الحدِّ. والإفراط ٦: مُجَاوَزَةُ الحدِّ؛ أي: لا يُنقِصُون مما أُميروا به ولا [يَزِيدُون فيه]٧.

﴿ ٦٢ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ فيه التفاتٌ من الخِطابِ إلى الغَيبَةِ، ومن التَّكلُّمِ [إليها](٨)، وذلك لأن الردَّ يُنَاسِبُهُ اعتبارُ الغَيْبَةِ وإنْ لم يَكُنْ حقيقةً؛ فإنَّهم ما غابوا عن قبضته لحظةً ولا خرجوا من حكمـــه

---

(١) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

(٢) في الأصل: " نرسل " والتصويب من ب وج.

٣ قراءة حمزة، قراءة متواترة، **السبعة في القراءات**، ٢٥٩، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٦٥.

(٤) من سورة الزمر الآية: ٤٢.

(٥) لم أجده في كتب القراءات وذكره البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٤١٧/٢.

(٦)فَرَطَ في الأمر يَفرُطُ فرْطًا، أي قصَّر فيه وضيَّعه حتَّى فات. وكذلك التَّفريطُ، **الصحاح في اللغة**، ٤٠/٢.

(٧) في الأصل أ: "لا يريدون به" والتصويب من ب وج.

(٨) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب.

نظرةً ولا لفظةً، فالرَّدُّ من البَرْزَخ إلى مَوقفِ العَرْض للسؤال والجواب ﴿ مَوْلَىٰهُمُ ﴾ الذي يتــولى أمرَهم، والمراد منه في قوله تعالى: (وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ) [(١)] معنى: المعين والناصــر، فــلا مُنافاةَ ﴿ ٱلْحَقِّ ﴾ العَدْلُ الذي لا يَحْكُمُ إلا بالحقِّ.

وقُرِئ [٢]: بالنصبِ على المَدْح ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ يومئذٍ لا حكمَ لغيره فيه ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ إذ لا يُشغِلُهُ حِسابٌ عن حِسابٍ ولا لَبَثَ في السؤال والجواب.

﴿ (٦٣) قُلْ مَن يُنَجِّيكُم ﴾ استفهامٌ بمعنى: النَّفي، وقُرِئَ [٣]: بالتخفيف ﴿ مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ مــن شدائدهما؛ استُعيرَتْ الظُّلمةُ للشِدَّةِ للمشاركة بينها وبين معنى الظُّلمةِ في الهَوْلِ وإبطال الأبــصار، فقِيلَ لليوم الشديد: " يومٌ مُظلِمٌ " ، ومن جُملةِ تلك الشدائد الخَسْفُ في البَرِّ، والغَرَقُ في البحــر ﴿ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ مُظهرِيْنَ باللسان الضَّراعة؛ وهي: شِدَّةُ الفقر والحاجة إلى الشيء.

ومُسِرِّينَ الطَّلبَ على وجه الإخلاص بالقلب، أو إظهارًا أو إسرارًا. وقُرِئ [٤]: " خِفية " بالكَسْر ﴿ لَّئِنْ أَنجَىٰنَا ﴾ وقُرِئ [٥]: " أنجانا " ليوافق قوله تعالى: (تدعونه) ﴿ مِنْ هَٰذِهِۦ ﴾ إشارةٌ إلى الظُّلُمَات ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ جواب القَسَم المحذوف، ولا حاجة إلى تقدير القول لدلالة [(١)] " تدعونه " عليه.

---

(١) من سورة محمد الآية: ١١.

٢ قراءة الحسن، قراءة شاذة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٦٥.

٣ رواية علي بن نصر، قراءة متواترة، **السبعة في القراءات**، ٢٥٩.

٤ قراءة أبي بكر، قراءة شاذة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر**، ٢٦٥.

٥ عاصم وحمزة والكسائي وخلف، قراءة متواترة، محمد حبش، **القراءات المتواترة**، ١٥٠.

﴿ ٦٤ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا ﴾ قُرِئ: بالتَّشديدِ، والتخفيف ﴿ وَمِن كُلِّ كَرۡبٍ ﴾ عبارة " كُلٍّ " للمبالغة في التكثير المناسِبَة للمقام؛ فإنَّ كلَّ نفسٍ في معرض الآفات التي لا [تُعَدّ][2] ولا تُحصَى، والله تعالى يَنَجِّيها منها، وهي نعمة الدفع ولا يتنبَّهُ لها إنسان، [والأولى][3] نعمة الدَّفْع وهي [ونعمة][4] النفع ظاهرتان، وتَعَذُّرُ الخروج عن عُهدَةِ الشُّكر لعدم إمكان الشكر لأفراد النوع الأول بتفاصيلها؛ لا لأنَّ الشكرَ على النعمة نعمةٌ أُخرى.

ثُمَّ إنَّ الكلامَ المذكورَ على طريقة ذِكْر أَحَدِ الفِعْلَين وعطفِ متعلَّق المحذُوفِ على المذكورِ على حَسَبِ ما يقتضيه لفظُه حتى كأنَّه شريكُه في أصل الفِعْل إجراءً لأحَدِ المساويين مُجْرَى الآخر كقوله: " تقلَّدت السيف والرمح الكرب " الغم الشديد، أصلُه من: كَرْبِ الأرضِ وهو: قَلْبُها بالخَرْق، فالغمُّ إذا اشتدَّ يُثيرُ النفسَ إثارة ذلك.

﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾ أي: لا تخلِصون حين تتخلَّصون، و [لا تَشكرون][5] بل تُشركون، و " ثُمَّ " استبعادٌ لشركهم مع إقرارهم بأنه لا يكشف الضرَّ إلا الله تعالى، ووَضَعَ: " تشركون " موضع: " لا تشكرون " مبالغةً؛ لأنَّ من يُشرك بالله تعالى فهو غايةُ البُعْدِ عن شُكْرِه.

﴿ ٦٥ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابًا ﴾ أي: [هو][6] الذي عرفتموه أنَّه الكامل في القدرة الذي لا قُدْرَةَ لأحدٍ سواه، ومعنى الآيةِ: الوَعِيْدُ بأحد أصناف العذاب المذكورة.

([1]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [لدالة] ، والتصويب من ب.

([2]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [تُعدد]، والتصويب من ب.

([3]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الأول]، والتصويب من ب.

([4]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [نعمة] بإسقاط الواو، والتصويب من ب.

([5]) في الأصل أ: "لا تشركون"، والتصويب من ب.

([6]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

﴿ مِّن فَوۡقِكُمۡ ﴾ كما أمطر على قوم لوطٍ وعلى أصحاب الفيل الحجارةَ ﴿ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ ﴾ كما خَسفَ بقارون، وأغرق فرعون، أو من الجهتين معًا، كـ "طوفان نوح" عليه السَّلام -, وقَيْدُ " أرجلكم " لقطع المجاز، كما في: (تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ) [١] ولك أن تقول: أُريدَ بالأوَّل: ظُلْمَ السلاطين، وبالثاني: تَسلُّطَ السَّفَلَةِ، وبالثالث: الهَرَجُ والمَرَجُ، ولما كان بين هذه الثلاثة منع الجمع بحسب العادة أتى بأداة التفريق: ﴿ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا ﴾ فِرَقًا بأن يخلط أمرهم خَلْطَ شِقاقٍ [لا وفاقٍ][٢] فيجعلهم مختلفي [الأحوال][٣] ﴿ وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ﴾ يقاتِلُ بعضُكم بعضًا، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ نُحوِّلها من نوعٍ إلى آخَرَ من أنـواع الكـلام تقريرًا للمعنى وتقريبًا إلى الفهم، وقيل: "بالوعد والوعيد لا يناسبه قوله: ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴾

﴿ (٦٦) وَكَذَّبَ بِهِۦ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ حالٌ من الضمير في: " به "، أو استئنافٌ آخرُ بأنَّ القرآنَ الصِّدْقُ ﴿ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾ بحفيظٍ، وُكِلَ إليَّ أمْرُكم، أمنَعُكم من التَّكذيب [إجبارًا] [٤] إنَّما أنا مُنذِرٌ والله الحفيظ.

---

(١) من سورة البقرة الآية: ٢٥، وآية ٢٦٦، وسورة آل عمران من الآية: ١٥، وغيرها من السور التي ذكرت فيها تجري من تحتها الأنهار.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل: [الأوفاق]، والتصويب من ب.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الأهواء]، والتصويب من ب.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [إخبارًا]، والتصويب من ب.

﴿ ٦٧ لِّكُلِّ نَبَإٍ ﴾ النَبأ: خبرٌ ذُو خَطَرٍ ﴿ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ أي: لكل شيء [يُنبَّأ به] (١) في القرآن وقتُ استقرارٍ وحُصُولٍ لا بُدَّ منه ﴿ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عند وقوعه في الدنيا والآخرة، وهذا كقوله: (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۭ).(٢)

﴿ ٦٨ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ بالاستهزاء [بها]٣ والطعن فيها، والخَوْضُ: أصله في الماء ثم استُعمِل بطريق الاستعارة في غَمَراتِ الأشياء التي هي [مجاهلٍ]٤، تشبيهًا لها بغمرات الماء ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ أمَرَه صلى الله عليه وسلم بعدمِ التَّوَجُّهِ إليهم، وتَرْكِ الإقبال عليهم، ويلزمه النهيُ عن مجالستهم بطريق المبالغة ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ ﴾ إلى أن يخوضوا ﴿ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ غير القرآن، وليس هذا من قبيل عَوْدِ الضمير على الآيات باعتبار المعنى، بل من قبيل عَودِهِ على ما عُلِم من [سياق](٥) الكلام ﴿ وَإِمَّا ﴾ ما: زائدة بعد "إن" الشَّرطِيَّة، وما أحسن مجيء الشرط الأوَّل بـ " إذا " التي [هي]٦ للمُحقَّق أو غالب الوقوع، ومَجِيْءُ هذا الشَّرط بـ" إن " التي هي [للمشكوك](٧) ﴿

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [نبأ]، والتصويب من ب.

(٢) من سورة ص الآية: ٨٨.

(٣) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، وأثبت في ب وج، أثبته كما في النسخة ب وج.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [لجاهل]، والتصويب من ب وج.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [شأن]، والتصويب من ب وج.

(٦) ما بين القوسين سقط في الأصل، والإضافة من ب.

(٧) ما بين معكوفين في الأصل أ: [مشكوك] والتصويب من ب وج.

﴿ يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ وإن شَغَلَكَ بوسوسته حتى تنسى النهيَ عن مُجالستِهم، وقُرئ [١]: " ينسِّيَنَّك " بالتَّشديد ﴿ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ فَفِرَّ كما ذُكِّرْتَ ﴿ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: معهم، فوضع الظاهر موضعه دلالة على: أنهم ظَلَمُوا بوضعهم التكذيبَ والاستهزاءَ موضعَ التصديق والاستعظام.

﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ وما على المتقين الذين يجالسونهم ﴿ مِنۡ حِسَابِهِم ﴾ ممَّا يُحاسَبُونَ عليه من ذنوبهم واستهزائهم ﴿ مِّن شَيۡءٖ ﴾ أي: مَن كان نَقِيَّ الثَّوْبِ عن ارتكاب الآثام كان بمعزلٍ يَوْمَ النُّشُور عن مُلاقاةِ الآلام ﴿ وَلَٰكِن ﴾ عليهم أن يُذَكِّروهم ﴿ ذِكۡرَىٰ ﴾ إذا سمعوهم يخوضون فيها، بالمواعظة والنهي ثم القيام وإظهار الكراهة، فذكرى نُصِبَ على المصدر، ويجوز أن يكون مرفوع المحلِّ أي: عليهم [ذكرى][٢].

[ولا يجوز عطفه على محلِّ " من شيء " ؛ لأنَّ " من حسابهم " يأباهُ [لأنه] [٣] حال من شيءٍ قُدِّم عليه فصار قيدًا للعامل، [فإذا عطف ذكرى عليه كانت جهة القيد مُعتَبرةً فيه بحكم الاستعمال في عطف المفرد على المفرد لا سيَّما بحرف الاستدراك فيؤول المعنى إلى أن عليك من حسابهم ذكرى، وذكرى ليس من حسابهم] [٤] [٥]

([١]) قراءة ابن عامر، قراءة متواترة، **السبعة في القراءات**، ٢٦٠، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٦٦.

([٢]) ما بين القوسين سقط في الأصل والإضافة من ب وج.

([٣]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب.

([٤]) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب و ج.

([٥]) ما بين معكوفين أورد في الأصل أ والنسخة ب بعد لعلهم يتقون، والصواب أن موضوع العطف يتعلق في هذا القسم من الآية ليس بعد لعلهم يتقون فقدمت النص في مكانه المناسب بعد الرجوع إلى **تفسير القاضي البيضاوي**، ٤١٩/٢.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ يجتنبون الخوض حياءً أوكراهة لمَسَاءتهم، ويجوز أن يكون الضمير للذين يتّقون؛ أي: لعلّهم يثبتون على التقوى ويزدادونها، رُوي أنّ المسلمين قالوا: " لئن كُنّا نقوم كُلّما استهزأوا بالقرآن لم نستطع أنْ نَجلسَ في المسجد الحرام " فنزلت.[١]

﴿ ٧٠ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ ﴾ الذي كُلِّفوهُ ﴿ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ حيث سخروا به إذا بنوا أمر دينهم على التشهّي، وتديَّنوا بما لا نفع فيه أصلاً كعبادة الصَّنَم وتحريم البحائر والسوائب ، أو جعلوا عيدهم الذي جُعِلَ ميقات عبادتهم زمانَ لهوٍ ولعبٍ، والمعنى: " أعْرِضْ عنهم ولا تُبالِ بأفعالهم وأقوالهم " ، ويجوز أن يكون تهديدًا لهم؛ كقوله: (ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)[٢] أي: كِلْهُم إلى ما اختاروا فإنّا أعتدنا لهم من خفيّ المكر ما إذا حللنا بهم كسرنا عليهم خمار الغفلة وكشفنا عنهم خمار الوهم والجُهْلَةِ، ولا ضرورة في جعله منسوخًا بآية السيف [٣]؛ بحمله على الأمر بالكفّ عنهم وترك التَّعرُّض لهم ﴿ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ اعتراضٌ لبيان أنّهم إنّما بَنَوا أمر دينهم على اللعب واللهو؛ لأنّ الحياة الدنيا غرّتهم حتى أنكروا البعث ﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ مَخافَة أنْ تُمْنَعَ [نفس][٤] من النجاة وتُسْلَمَ إلى الهَلَكَةِ والعذاب [بسبب][٥] كسبها وتُرْهَنَ بسوء عملها؛ كقوله: (كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)[٦] ، أو تسيء

([١]) بحثت عن هذا القول فلم أجده في كتب أسباب النزول، لكن ذكره الزمخشري في الكشاف بصيغة التضعيف أيضًا باستخدام كلمة "روي "، **الكشاف** للزمخشري، ١٣٣/٢.

([٢]) سورة الحجر الآية: ٣.

[٣] قال العلامة ابن حجر: آية السيف وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً [التوبة : ٣٦]، روح المعاني للألوسي، ٢٤٦/٥.

([٤]) ما بين القوسين سقط في الأصل، والإضافة من ب و ج.

([٥]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [لسبب]، وفي النسخة ب: [بسبب]، أثبت ما في النسخة ب.

([٦]) سورة المدثر الآية: ٣٨.

بسوء كسبها وعذابها كقوله: (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ)[١] ، الإبْسَال والبَسْل: المَنْعُ، ومنه: أسدٌ باسلٌ مانعٌ أنْ يُفْلِتَ فريسته، ويُقال: بَسَرَ الرَّجُلُ إذا اشتدَّ عُبُوسُهُ، فإذا زاد قالوا: بَسَلَ ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ يَدفعُ عنها العذابَ ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ ﴾ وإن تَفْدِ كلَّ فداءٍ. والعَدْلُ: الفِديــة؛ لأنَّها تعادل المفديَّ، و" كلَّ " نَصْبٌ على المَصْدَر، و" يؤخذ " في قوله: ﴿ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ مُسْنَدٌ إلى " منها " لا إلى ضمير العدل إلا بطريق الاستخدام؛ لأنَّ العدل ههنا مَصْدَرٌ لوقوعه مفعولاً مطلقًا، وهو ليس بمأخوذٍ بخلاف قوله: (وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ)[٢] لأنَّه المَفْدِيُّ بـــه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ﴾ أي: أُسلِموا إلى العذاب بسبب قبائح أعمالهم، استعمل الإبسال للإسلام إلى العــذاب لأن المُسْلَمَ إليه يمنع المُسْلَمَ ﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ بما شربوا من [القهــوات][٣] ﴿ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ بما تناولوا من الشهوات ﴿ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ أي: هم بسبب [كونهم][٤] بين ماء مغليٍّ يخرج بطونهم ونارٍ تشتعل بأبدانهم.

﴿ (٧١) قُلْ أَنَدْعُواْ ﴾ نعبدُ ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا ﴾ إن أطعناهُ ﴿ وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ إن عَصَيْنَاهُ ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا ﴾ أي: نَرْتَدُّ عن ديننا ونرجع إلى ورائنـــا ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ فأنقــذنا منـــه ورزقنـــا الإسلام؛ والمعنى: إنكار الرُّجوع إلى الشِّركِ بعدَ الاهتداء إلى التوحيــد ﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ

---

(١) سورة القيامة الآية: ٢٤.

(٢) من سورة البقرة من الآية: ٤٨.

(٣) القهوة: الخمر، والشُّبعة المحكمة، القاموس المحيط، ١٣٢٧.

(٤) في الأصل أ: "كفرهم"، والتصويب من ب وج.

﴿ مَرَدَةُ الجنِّ في الأرض، استهوى استفعل من هوى ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[١] إذا ذهب فيها فإنَّ معناه طلبَتْ [هَواه] [٢] وحَرَصَتْ عليه، وزعم أبو عليٍّ [٣] أنَّه: من الهَوْيِ أي: أَلْقَتْهُ في هُوَّةٍ، ويكون استفعل بمعنى أفْعَلَ، نحو: استزلَّ وأزلَّ، ويأباه ما بعده ﴿ حَيْرَانَ ﴾ نُصِبَ علـى الحـال، ولـم ينصرف لأن أنثاه حيرى كـ: سكران وسَكْرَىْ، والحيران هو: الذي لا يهتدي لجهةٍ حِيْـرَةً ﴿ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ ﴾ رُفقة ﴿ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ﴾ إلى الطريق المستقيم، [سمَّى][٤] الطريق بالهدى تـسمية بالمصدر للمُبَالغَةِ ﴿ ٱئْتِنَا ﴾ يقولون له: " ائتِنَا " وأضْمَرَ القَوْلَ لدلالة " يدعونه " على ذلك ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ أي: الإسلام ﴿ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ وحدَهُ، وما عداهُ ضلالٌ ﴿ وَأُمِرْنَا ﴾ في مَحَلِّ النَّصْبِ عطفًا على محلِّ: " إن هدى الله " على أنه [مقولٌ][٥] ، والـلام فـي: ﴿ لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ للتعليل؛ أي: وأمِرنا بذلك لنُسلِمَ، وزعم الكسائي [٦] والفرَّاء [٧] أن " لامَ كي "[١] تقع في موضع " أنْ

([١]) في الأرض في موقع نصب على الحال.

([٢]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [هويه]، والتصويب من ب.

([٣]) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النسوي أبو علي الفارسي النحوي، أخذ من الزجاج وابن السراج وصـاحب اسحاق بن راهويه. كانت له منزلة عالية في النحو حتى قال بعض تلامذته: هو فوق المبرد، وأعلم. مـن تلاميـذه: عثمان ابن جني، وعلي بن عيسى الشيرازي. توفي سنة ٢٧٧هـ، انظر تـاريخ بغـداد ٢٧٥/٧، وإنبـاء الـرواة ٢٧٣/١، ووفيات الأعيان ٨٠/٢، وبغية الوعاة ٤٩٦/١.

([٤]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ثم]، والتصويب من ب.

([٥]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [مفعول]، والتصويب من ب.

([٦])هو علي بن حمزة بن عبد الله أبو الحسن المعروف بالكسائي، مقرئ لغوي شاعر نشأ بالكوفة واستوطن ببغداد، توفي سنة ١٨٩هـ ، انظر إنباء الرواة ٢٥٦/٢، وتاريخ بغداد ٤٠٣/١٠، وبغية الوعاة ٣٣٦.

([٧]) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور المعروف بالفراء. إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب ويحكى عن أبي العباس إنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية لأنه خلصها وضبطها، ولد بالكوفة سنة ١٤٤ هـ، وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها،

" [في]^٢: أرَدْتُ وأمَرْتُ قال الله تعالى: (يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ)^(٣) ، وقيل^٤: بمعنى البـاء، وقيـل^٥: زائدة، ويقويهاعطف:

﴿ ⁽٧٢⁾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ﴾ عليه؛ كأنه قيل: " وأمِرْنا بأن نُسْلِمَ و[أن]^(٦) أقيمـوا، وعلـى الأول معناه وأمرْنا بذلك لِلإسلام وإقامة الصلاة وتقوى الله تعالى، فإنَّ "أن" المصدرية إذا دخلـت على الأمر [يَنْسَبِك]^(٧) المصدر ولا يُلاحَظ فيه معنى الأمر، وقيل: مَوقِعُ العِلّة موقعُ المأمور به فعُطِفَ على موقعها ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ يومَ القيامة.

﴿ ⁽٧٣⁾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ في موضع النصب على الحال؛ أي: قائمًـا بالحقّ والحِكمَةِ ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ ﴾ أي: [وحين]^(٨) يقول لشيء من الأشياء ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ ذلك الشيءُ و"يومَ" منصوبٌ بما دلَّ عليه بالحقّ، أو بـ"خَلَقَ"؛ أي: ويقوم بالحق يوم يقـول، أو خلـق

صاحب مصنفات كثيرة أشهرها: معاني القرآن. انظر وفيات الأعيان ١٧٧/٦، وتاريخ بغداد ١٤٩/٤، وطبقات المفسرين للداودي ٣٦٧/٢

(١) أي لام التعليل التي تنصب الفعل المضارع.

(٢) ما بين القوسين سقط في الأصل، والتصويب من ب وج.

(٣) سورة النساء الآية: ٢٦.

(٤) قائله البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٤٢١/٢، انظر أيضًا: **روح المعاني**، ١٧٩/٤.

(٥) قائله البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٤٢١/٢، انظر أيضًا: **روح المعاني**، ١٧٩/٤.

(٦) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

(٧) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ينسكب]، والتصويب من ب وج.

(٨) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والتصويب من ب.

السماوات يوم يقول، و ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ مبتدأ [و][١] خبرٌ قُدِّم فيها الخبر لا للحصر؛ [لأنه][٢] لا يناسِبُ المقامَ، بل لكونه الشائع في الاستعمال، مثل: (عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ)[٣]، وقيل[٤]: " قوله" على هذا الوجه يجوز أن يكون فاعل فيكون " الحق " صفته؛ أي: ويومَ يقول بالحقِّ يَوْمَ يأمُرُ كلَّ شيءٍ بقوله: " كن فيكون قوله الحق " ولا يخفى عن تَعَسُّفٍ، أو منصوبٌ بفعل الاستقرار على أنَّ: " قوله الحق " مبتدأ، و" يوم يقول " خبرٌ مقدَّمٌ؛ كقولك: يومَ الجمعةِ القتالُ[٥]، أو " قوله ": مبتدأ، و" الحقُّ ": خبره، و"يوم ": ظرفٌ للقولِ أو للحقِّ ﴿ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ " يوم يُنفخ " ظرفٌ لقوله: " وله الملك "؛ كقوله: لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ)[٦] ، أو بدلٌ من: " يوم يقول " على أنَّ " كن فيكون " بمعنى الإحياء والبعث، و" قوله الحق ": وقوله: " يوم القيامة " ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾ رفعٌ على المدح؛ أي: هو عالمُ الغَيبِ، أو خَبَرٌ بعدَ خَبَر ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ كالفذلكة للآية.

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: بإسقاط الواو، والتصويب من ب.

(٢) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب و ج.

(٣) من سورة لقمان الآية: ٣٤.

(٤) قائله القاضي البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٢/٤٢٢.

(٥) قدَّم فيه الخبر لا للحصر لأنه لا يناسب المقام بل لكونه الشائع في الاستعمال مثل: (عنده علم الساعة).

(٦) من سورة غافر من الآية: ١٦.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ هو عطف بيانٍ لأبيه، قال الفرَّاء[1] والزَّجَّاج[2]: ليس بين النسابين اختلافٌ في أنَّ اسم أبي إبراهيم عليه السلام:" تارخ " والذي في القرآن يدلُّ على أنَّ اسمه: " آزر " فكان آزر لقبًا له؛ قال ابن الأنباري[3]:قد يَغْلِبُ على اسم الرجل لقبُهُ حتى يكونَ به أشهرَ منه باسمه، فيجوز أن يكون "آزر " لقبًا أبطل الاسم لشهرته، فخبَّر الله تعالى به لذلك، وقيل [4]: نعتٌ، مشتَقٌ من الأزر، ومُنِعَ صرفهُ للعُجْمَةِ والعلميَّةِ، أو للوصفيَّة ووزن الفعل، وقيل [5]: المراد به الصنَمُ، ونصبُهُ بفعلٍ مضمرٍ يفسِّرُهُ ما بعدَه؛ أي: أتَعْبُدُ ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ تفسيرٌ وتقريرٌ، ويعضُدُهُ قراءة: "آزر" بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وسكون [الزاي][6]، ونصب الراء منوَّنة على أنه اسم صنمٍ، وتوجيهها على الأول: أنَّه كان اسم صَنَمٍ يعبُده فلُقِّب به للزومِهِ عبادَتَهُ، أو أُطلق عليه بحذف المضاف، وقُرِئَ [7]: بالضمِّ على النداء، وهذا ظاهرٌ في حذف المضاف لما في نداء الابن أباه عابد الصنم باسم العلم، غلظةٌ واستخفافٌ لا يليق بشأن إبراهيم عليه السلام [الموصوف بغاية الحلم][8] المعروف بمحبَّةِ أبيه ورعايته، يرشدُك إلى هذا قولُهُ: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ظاهر الضلالة حيث لم يقل: "أنت وقومك في ضلال مبين" – رعاية لحسن الأدب في مخاطبته.

---

(١) الفرَّاء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، ولد عام ١٤٤ هـ وتوفي عام ٢٠٧هـ، انظر بغية الوعاة ٢/٣٣٣.

(٢) سبق ذكره.

(٣) (ابن الأنباري) * (٤٦٩هـ – ٥٥٨ هـ / ١٠٧٦ – ١١٦٣ م) محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الشيباني: أبو عبد الله، سديد الدولة ابن الانباري: كاتب الانشاء بديوان الخلافة ببغداد، خمسين سنة الأعلام للزركلي ٦/ ٢١٥.

(٤) **تفسير البيضاوي** للبيضاوي، ٢/٤٢٢.

(٥)**تفسير البيضاوي** للبيضاوي، ٢/٤٢٢.

(٦) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الراء]، والتصويب من ب.

(٧) قراءة يعقوب، قراءة متواترة، **القراءات المتواترة**, ٢٠٧.

(٨) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

﴿ ﴿٧٥﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ مثلَ ذلك التبصير نبصِّرُ إبراهيم، قد سبق أنَّ اسم الإشارة في هـذا المقام إشارةٌ إلى هذه الإراءة، [لا][1] إلى شيءٍ آخرَ يُشبَّه به، هذه جملةٌ اعتراضيَّةٌ بين المعطوف والمعطوف عليه، ومعنى الاعتراض بيان الإرشاد والهداية بطريق الاستدلال الموصِلِ إلى [مرتبة الإيقان][2] الذي انكشف به ضلال قومه، ولذلك استحضر الماضيَ حالاً فقـال: " نـري " علـى الحكاية تصويرًا وتعظيمًا، وقُرِئ بالتاء ورَفْع الملكوتِ [3]؛ ومعناه: نُبَـصِّرُهُ دلائـلَ الربوبيَّـةِ ﴿ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ فعلوت من الملك، وزيادة التاء للمبالغة، ومعناه: ما يُملَك به الـشيء؛ أي: " نري ربوبية الله تعالى للسماوات والأرض وما [يُدبِّرُهُما][4] ويملِكُهُما بـه مـن عجائـب الملكوت ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ أي: وجعلنا ذلك ليكون من المحقِّقِـين، قيـل[5]: أي ليَـستدِلَّ وليَكُونَ، ويأباه اللام والواو، فإنهما لا يُذكَرَان بين الاستدلال وما يترتَّبُ عليه.

﴿ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ ﴾ ستره بظلامه ﴿ رَءَا كَوۡكَبٗا ﴾ قيل[6]: كأنَّ الكوكب الزهرة، أو المشتري ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ ﴾ على سبيل الوضع فإن المستدِلَّ على فساد قوله يحكيه على ما يقوله الخصم ثـم يُنكِرُ عليه بالإفساد، وفي [تقديم][7] الاعتراض المذكور تنبيهٌ على هذا؛ فإنَّه لولا ذلك البيان لسَبَقَ إلى الوَهْمِ أنَّه استدلالٌ لنفسه، وأمَّا بعد تقديمه فلم يَبْقَ ذلك الاحتمال، ومن ههنا تَبيَّنَ أنَّه لا مجال لأن يكون قوله: " فلما جن عليه الليل..." إلى آخره تفصيلاً وبيانًا لذلك؛ لأنَّ ما ذَكَرَ طريقُ النظر

---

(1) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضتفة من ب.

(2) ما بين معكوفين في الأصل أ: [قرينة الإيمان]، وفي النسخة ب ما أثبته في الأصل لاستقامة المعنى.

3 ذكرها في تفسير البيضاوي ولم أجدها في كتب القراءات، ٤٢٣/٢.

(4) في الأصل أ: "يريدهما" ، والتصويب من ب وج.

(5) قائله القاضي البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٤٣٢/٢.

(6) قائله القاضي البيضاوي.

(7) في الأصل أ: "تقدير"، والتصويب من ب و ج.

والاستدلال الشائع الذائع بين أصحاب الظواهر المقصور نظرُهُم على عالم المُلْكِ؛ فلا يصلح بيانًا لحال من يترقّى منه إلى درجة الوقوف على سرائر عالم المَلَكُوتِ والمشاهدة لأسرار الرُّبوبيَّـةِ، فتَعيَّن عطف على " قال إبراهيم " ، فإنَّ أباه وقومَه كانوا يعبدون الأصنام والكواكـب، فـأراد أنْ ينبِّههَم على ضلالتِهم ويُرشِدَهُمْ إلى الحقِّ من طريق النَّظـر والاسـتدلال ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ ﴾ الأُفـولُ: الغُرُوْبُ ﴿ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ الأرباب المنتقِلين من حالٍ إلى حالٍ، المحتَجِبِـين بـالغُرُوبِ والانتقالِ فضلاً [عن أن أعبدهم فإنَّ التَّغَيُّرَ بالانتقال][1] من مكانٍ إلى مكان من خواصِّ الأجرام المُحتاجَةِ إلى الرَّبِّ فلا يصلح للرُّبوبيَّة.

﴿ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا ﴾ البُزُوْغُ: الطُّلُوْعُ، ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ ﴾ كأنَّه غاب عن نَظَرِهِ، أولم يكن حين رآه في ابتداء الطلوع، بل كان في وراءِ الجَبَلِ ثم طَلَعَ منه، أو في جانب آخر لا يـراه، وإلا فلا احتمال لأنْ يطلعَ القمر من مَطْلَعِهِ بعدَ أُفُولِ الكواكب ثم يَغْرُبَ قبل طلوع الشمس

﴿ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ تنبيهًا لقومه على أنَّ من اتَّخذ الآفل المتغيـر إلهًا فهو ضالٌّ، وأنَّ الهداية إلى الحقِّ إنَّما يكونُ من فضل الربِّ وعطائه، وهذا طريق من يتكلَّف في البحث والإرشاد بإظهار المناصحة لنفسه وإمحاضِ النُّصْحِ حين أراد لصاحبه ما أراد لنفسه، [وينسِب][2] الذم والتقريع لنفسه لا يواجه به الخصم ليكونَ أبْعَدَ من امتعاضِهِ وعِنادِهِ وأشَدَّ تلييـنًـا لعريكته وكسرًا لِعود شكيمته، كما قال صاحب يـس[3] : (وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِي ﴾[1] وفيـه تقريعٌ قويٌّ.

([1]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

([2]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ويسلب]، والتصويب من ب و ج.

([3]) صاحب ياسين: أحد سباق الأمم الثلاث الذين لم يكفروا بالله طرفة عين وهم: علي بن أبي طالـب، وصـاحب ياسين، ومؤمن آل فرعون، وروى أحمد بن حنبل عن أبي ليلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي قال: [يا قومي اتبعوا المرسلين] ، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: [أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله]، وعلي بن أبي طالب الثالث وهو أفضلهم)، فضائل الصحابة، ٩٦/٣.

﴿ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ ذكر اسم الإشارة لتذكير الخبر، أو لأنَّه لا يُفَـرِّق فـي غير لغة العرب بين المُذكَّر والمؤنَّثِ في الإشارة، فأُجْرِيَ الكلامُ على قاعدة تلك اللغةِ فـي مقـام الحكاية، وعلى قاعدة العربيَّةِ في مقام الإخبار، وأمَّا ما قيل: وكان اختيار هذه الطريقـة واجبًـا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث، فيُردُّ عليه أن هذا الوجوب في الرَّبِّ الحقيقيِّ مُسلَّمٌ، وأمَّا الـذي قُرِضَ ربًّا للإبطال بإظهار ما فيه من الأوصاف النافية للربوبيَّة فالوجوب المذكور فيه [ممنوعٌ][٢] بل المناسب حينئذٍ إظهار علامة التأنيث لما فيه من الإشارة إلى ما سِيقَ له العبارة ﴿ هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ ﴾ من باب مراعاة [النَّصفة][٣] أيضًا مع الخصم، ويُحتَمَلُ أن يكون تجريدُ اسم الإشـارة عـن علامة التأنيث أيضًا من هذا الباب، كأنه كان يفرض ما يفرضه ربًّا مُتَجنِّبًا عمَّا يمكن التجنُّب عنه ممَّا يوهِمُ ما لا يليق بشأن الربِّ ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ من الأجْرَام المُحدَثَةِ المتغيِّرَةِ، المحتاجة إلى مُحْدِثٍ ومدبِّرٍ مغيِّرٍ، وهذا صريحٌ في أنَّ الكلام مع القوم. وقد دلَّ عليـه قوله: –لئن لم يهدني ربي– على أنَّه كان عارفًا بأنَّ له ربًّا يستحقُّ العبادة، ومنـه الهدايـة، وأنَّ قومَهُ على الضلال، [وأشعر][٤] بأنَّ مُحَاجَّتَهُ كانت مع مُنكِرٍ مبالِغٍ في الإنكار، حيث احتيج إلـى القَسَم؛ فإنَّ اللام في " لئن " : موطِّئة للقَسَم، وفي " لأكوننَّ " : جوابُ القسم لمّا تمَّ استدلاله بالحُجَّةِ ولم يُبق شبهة يتمسَّكُ بها الخَصْمُ، صرَّح بالمقصود، وأظهر [التبرِّي][٥] مما كانوا يشركون بـه عن آخره، والتوجُّه إلى من دلَّتْ عليه الممكنات المتغيِّرة من موجِدِهَا ومُبدِعِهَا فقال:

﴿ ﴿٧٩﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ إنَّما استدلَّ بـ: " الأفول " دون البزوغ – مع دلالته أيضًا على التغيُّر والانتقال من حالٍ إلى حالٍ – لتعـدُّدِ

---

(١) من سورة يس من الآية: ٢٢.

(٢) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الصفة]، والتصويب من ب و ج.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [وأن أشعر]، والتصويب من ب و ج.

(٥) في الأصل "البريء"، والتصويب من ب و ج.

دلالته من جهة الانتقال والاختفاء وانتفاء التورية، ولأنَّه لا مجال للاستدلال بالبزوغ في الكوكب؛ لأنَّه رآه في وَسَطِ السماء حين [قرَّر][1] الاستدلال.

﴿ (٨٠) وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ ﴾ خاصموه في توحيد الله تعالى ونَفْي الشركاء عنه ﴿ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي ﴾ وقُرِئَ[٢]: بتخفيف النون ﴿ فِي ٱللَّهِ ﴾ في وحدانيَّته تعالى أنكر مخاصمتهم فيها بعد أن حَجَّ عليهم بالبرهـــان، كما أشار إليه بقوله: ﴿ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾ أي: إلى توحيده، وكانوا خوَّفوه أنَّ معبوداتِهِمْ تصيبُهُ بسوءٍ، فقال: ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ ﴾ أي: ولا أخاف معبوداتكم وقتًا ما؛ لأنها لا تَضُرُّ ولا تنفــعُ ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ﴾ نَصْبٌ على الظرف؛ أي: إلا وقت مشيئة ﴿رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ ﴾ يُخافُ من جهتها مثل: " أن يصيبَني مكروهٌ من جِهَةِ الكواكب والشمس والقمر، فإنْ كانَ فذلك منه تعالى لا منهـــا ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ ﴾ اعتراضٌ كالتعليل للاستثناء أي: لا أعلم، والله أحاط علمًا بكلِّ شيءٍ، فلا يَبعُدُ أن يكون في علمه أنْ يصيبَني مكروهٌ من جهتها ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ أبَعْدَ ما لخَّصته من الدليل لا تتذكرون مؤدَّاه؛ وهو: أنْ لا مؤثر إلا اللهُ تعالى، والفاء للعطف على مقدَّرٍ؛ أي: أتخوِّفونني فلا تتذكَّرون، فتُميِّزون أين الصحيحُ والفاسدُ، والقادرُ والعاجزُ، ثم تَعجَّب من جهلهم بقوله:

([1]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [قرنه]، والتصويب من ب و ج.

[٢] قراءة نافع وأبو جعفر وابن ذكوان، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٦٧.

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ ﴾ ولا تأثيرَ له في شــيءٍ ﴿ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ ﴾ وأنتم لا تخافون ما يُوجِبُ كلَّ الخوف، وهو: إشراككم بالله القادر على كلِّ شيء ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ ﴾ بإشراكه ﴿ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ﴾ تَهَكُّمٌ بهم؛ فإنَّ إقامة الحُجَّةِ على [الـشرك ممتنــعٌ وتعــريضٌ بوجود الحُجَّة على نفيه][1] ولمَّا دلَّ الكلام على أنَّهم يخافون المأمون من كلِّ وجهٍ وهم لا يخافون المَخُوْفَ من كل الوجوه قال: ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾ الموحِّدون أم المشركون؟ ولم يقـل: " فأينا أنا أم أنتم؟ " حفظًا للأدب واحترازًا عن تزكية النفس ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ مــا يَحِــقُّ أن يُخَافَ منه، ثم استأنف جواب الاستفهام بقوله:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ أي: ولم يخلطوه بشركٍ؛ كنِسبةِ التَّأثير إلى الغير بعــد التصديق بالله تعالى؛ لما رُوي: أنَّ الآية لمَّا نزلت شقَّ ذلك على الــصحابة رضــوان الله عــنهم أجمعين، وقالوا: " أينا لم يظلم نفسه؟ " فقال صلى الله عليه وسلم: " ليس ما تظنون، إنَّما هو مــا قال لقمان لابنه: يا بني لا تشرك بالله إنَّ الشرك لظلمٌ عظيمٌ "[2] ، وقيل: بمعصيته، ويؤيِّد [الأول][3] كونه جوابًا للاستفهام من المشرك والموحِّد ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الموحِّدون ﴿ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ﴾ دونَ غيرهم ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ خاصَّة.

---

(1) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

(2) روى الشيخان في صحيحهما وأحمد في مسنده عن علقمة عن عبد الله قال: "لما نزلت هذه الآية { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وقالوا أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ليس كما تظنون؛ إنما هو كما قال لقمان لابنه { يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم }، صحيح البخاري، ٣٤٥/١، صحيح مسلم، ٨٠/١، مسند أحمد بن حنبل، ٤٤٤/١.

(3) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الأولوية]، والتصويب من ب و ج.

﴿ وَتِلْكَ ﴾ (٨٣) إشارةٌ إلى ما احتجَّ به إبراهيم عليه السلام على قومه من قولـه: (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ) إلى قوله: (وَهُم مُّهْتَدُونَ) ﴿ حُجَّتُنَآ ﴾ خبر تلك ﴿ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ألهمناها إياه [ووفّقناه لها](١) ﴿ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ متعلّقٌ بـ"حجّتنا"، و" آتيناها " خبرٌ بعد خبرٍ، أو جملة مبنيّةٌ، أو " حجّتنا " بدلٌ و" آتيناها " خبرٌ، وعلى قومه متعلّقٌ بمحذوفٍ دلَّ عليه مفعول آتيناها؛ أي: آتيناه حُجَّةً علـى قومه ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ في العلم والحكمة، وقُرِئَ: " درجاتٍ " بالتنوين ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ ﴾ في رفعِهِ وخفضِهِ ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بحال المرفوع والمخفوض واستحقاق كلٍّ منهما بما فَعَلَ به.

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ ﴾ (٨٤) أي: كلّاً منهما هَدَيْنَا ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ [أي:](٢) من قَبْلِ إبراهيم – عليه السلام – قومُ نوحٍ – عليه السلام – أول قومٍ عبـدوا الأصـنام ووحّدَ هو الله تعالى، ففي عبارة: " من قبل " إشارةٌ إلى أنَّ فيه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لإبراهيم عليه السلام، وأمّا عدُّ هُدَاهُ نعمة لإبراهيم(٣) عليه السلام من حيث أنه أبوه وشرف الوالد يتعدّى [إلى الولد](٤) فحقُّه أن يُذكر نوحٌ – عليه السلام – بعلاقته لإبراهيم – عليه السلام – كما ذُكِرَ مَنْ ذكـر بعـدَه كذلك ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ الضمير لإبراهيم عليه السلام ؛ لأنَّ الكلامَ فيه [ويونس](٥) عليه السـلام أيضًا من ذريته، لما ذُكِرَ في جامع الأصول أنَّه كان من الأسباط في زمن شعيبٍ – عليه السلام – أرسله الله تعالى إلى نينوى من بلد الموصل، ولا يُعدُّ في عداد لوطٍ – عليه السلام – مـن ذريـة إبراهيم عليه السلام باعتبار أنَّه كان ابن أخيه هاجر معه إلى الشام، فلا ضـرورةَ داعيـة إلـى

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ووفقنا له]، والتصويب من ب و ج.

(٢) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

(٣) كما في تفسير القاضي البيضاوي.

(٤) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ويوسف]، والتصويب من ب؛ لموافقته المذكور ترجمته في الأصل فهـو مـن أرسل إلى نينوى.

تخصيص البيان بالمعدودين في الآية الأولى والثانية، وعَطْفِ المذكورين في الثالثة على نوح عليه السلام، وقيل: لنوح عليه السلام، وفيه أنَّه يلزم حينئذٍ إفراد إسماعيل عليه السلام عن باقي ذُرِّيـةِ إبراهيمَ عليه السلام ﴿ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ ﴾ أيوب بن أموص من أسباط إسحاقَ عليه الـسلام ﴿ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ ﴾ ومثل ذلك الجزاء العظيم الذي جزينا إبراهيمَ – عليه السلام – من رفع [درجاته][(١)] وكثرة أولاده والنُّبُوَّةِ فيهم ﴿ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الذين أحسنوا في عبادتنا.

﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ هو المسيح ابن مريم عليه السلام دلَّ ذِكْرُهُ على تناول الذرية لأولاد البنت ﴿ وَإِلْيَاسَ ﴾ هو من سِبْطِ هارون – عليه السلام – وقيل: هو إدريس جدُّ نوحٍ – عليهمـا السلام – فيكون البيان مخصوصًا بمَن في الآية الأولى ﴿ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ من الكاملين فـي الصَّلاح؛ وهو: الإتيان بما ينبغي والتَّحرُّزُ عمَّا لا ينبغي، وفي توصيف الأنبياء علـيهم الـسلام بالصلاح تنويةٌ بشأن تلك الصفة، وتنبيةٌ على عِظَمِ قَدْرها، كما في وصف الأنبياء والملائكـة – عليهم السلام – بالإيمان، فإنَّ أوصاف الأشراف أشراف الأوصاف.

﴿ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ ﴾ هو اليسع بن أخطوب وقرئ [٢]: اللَّيسع كــ [ضَيْغَم][٣] ، وعلى القراءتين هو عَلَمٌ أعجميٌّ، قيل [٤]: أُدخِل عليه اللام كما أدخل على اليزيد في قوله: رأيت الوليد بن اليزيـد مباركًا،[(٥)] ويردُّه لزوم اللام له، فالوجه ما قال ابن مالك [١]: ما قارنـت [ال][(٢)] نقلـه كالنـضر

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [درجات]، والتصويب من ب.

(٢) قراءة حمزة والكسائي، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٦٨.

(٣) في الأصل أ: "صغير"، والتصويب من ب.

(٤) البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٤٢٧/٢.

(٥) سبق ذكره.

والنعمان أو ارتجاله كاليسع والسموأل، فإنَّ الأغلب ثبوت " ال " فيه ﴿ وَيُونُسَ ﴾ وهو يونُسُ بنُ متَّى عليه السلام ﴿ وَلُوطًا ﴾ هو هاران بن أخي إبراهيم عليه السلام ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ بالنُّبُوَّةِ [على][3] من ليس منَ الأنبياء، ولا بدَّ من هذا القيدِ كيلا يَلْزَمَ تفضيلُ كلٍّ منهم على الآخر، أو تفضيلُ كلٍّ من المعاصرين على الآخر.

﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ (٨٧) في محلِّ النصب عطفًا على " كلاً " أو " نوحًا " و" مِن " للتبعيض؛ لأنَّ منهم من لم يكن نبيًا ولا مَهْدِيًّا ﴿ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ ﴾ عَطفٌ على " فضلّنا " ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ تقريرٌ لبيان ما هُدُوا إليه.

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ (٨٨) إشارةٌ إلى ما دانُوا به ﴿ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ فيه دليل على أن الهداية بمشيئته تعالى[4]، وأمَّا أنه متفضلٌ بها فمبناه على عدم لزومِ المشيئة لذاته تعالى، وذلك غيرُ ظاهرٍ من الكلام ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ ﴾ مع فضلهم وتَقَدُّمِهم، وعلوِّ درجاتهم ﴿ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ لكانوا كغيرهم في بطلان أعمالهم بسقوط ثوابها عنهم.

([1]) هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الجياني الشافعي، المعروف بابن مالك النحوي، له "الفية" في النحو مشهورة جمع فيها مقاصد العربية، وسماها الخلاصة، كان إماما في القراءات وعللها، واللغة والنحو، ومن مصنفاته الأخرى "الكافية، والتسهيل وغيرها" انظر: كشف الظنون ١/١٥١، وبغية الوعاة ١/١٣٠، والأعلام ١/٢٣٣.

([2]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ما]، والتصويب من ب و ج.

([3]) في الأصل أ: "عن" ، والتصويب من ب و ج.

([4]) كما في تفسير القاضي البيضاوي، ٢/٤٢٧.

﴿ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ أي: جنسه ﴿ وَٱلۡحُكۡمَ ﴾ الحكمة، أو فصل الأمر على ما يقتضيه الحقُّ ﴿ وَٱلنُّبُوَّةَۚ ﴾ قد يأتي الفَرقُ بينها وبين الرسالة في سورة الأعراف ﴿ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا ﴾ أي: بهذه الثلاثة أو بالآخر منها ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني: أهلَ مكّة ﴿ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا ﴾ هو مؤمنو أهل المدينة، قاله ابن عباس[١] رضي الله عنهما، ومعنى توكيلهم: توفيقهم للإيمان بها والقيام بحقوقها؛ كما يُوكّلُ الرجل بالشيء ليقومَ به ويعتمده، فمعنى المراعاة داخلٌ في مفهوم التوكيل ﴿ لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ الباء الأولى صِلةُ " الكافرين "، والثانية توكيدٌ للنفي.

﴿ ٩٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ الإشارة إلى الأنبياء المتقدّم ذكرُهم ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ تقديم " فبهداهم " للتخصيص؛ أي: فاختصَّ هديهم بالاقتداء ولا [تَعْتَدَّ][٢] إلّا بهم، والمراد بـ" هُداهم ": الإيمان والتوحيد [وأصول][٣] الدين مما [اشترك][٤] الكُلُّ فيه دون الفروع من الشرائع المختلفة والأديان، فإنّها تختلف بحسب الأزمان، بَقِيَ قِسمٌ آخرُ وهو الفروع المُتّفَقُ عليه كـ" الصوم، والصلاة، وحرمة الكذب والزنا "، فيدخل هذا القسم من الفروع مع الأصول تحت مُطلق الهُدى من المشترك المضافِ إلى الكلِّ فيصبح متمسَّكًا في الجملة لمن قال: " أنه عليه السلام: " كان متعبِّدًا بشرائع من قبله "[٥]، والهاء في " اقتده " : للوقْفِ، ومن أثبتها في الدَّرْج ساكنة، أجرى الوصل مُجْرَى الوقفِ، ووجهُ إشباعها أن يُجعلَ كناية عن المصدر ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ أي: على

---

(١) ابن عباس (٣ ق هـ – ٦٨ هـ / ٦١٩ – ٦٨٧ م) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الامة، الصحابي الجليل، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الاحاديث الصحيحة، وشهد مع علي الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها، الأعلام للزركلي ٩٥/٤.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يعتد]، والتصويب من ب وج.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [وأصل]، والتصويب من ب وج.

(٤) في الأصل أ: "أشركوا"، والتصويب من ب وج.

(٥) البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٤٢٨/٢.

التبليغ ﴿ أَجۡرًاۖ ﴾ جُعلاً من جهتِكم، كما لم يَسألْ الأنبياءُ عليهم السلام السابقون، قيل [1]: وهذا من جملة ما أُمر بالاقتداء بهم فيه، وفيه اعترافٌ بعَدَمِ اختصاص الهُدى المذكور بالأصول، فلا وجه لنفي التمسُّكِ المارِّ ذكره ﴿ إِنۡ هُوَ ﴾ أي: التبليغ [أو][2] القرآن ﴿ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ تذكرةٌ وعظةٌ لهم.

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ (٩١) ﴾ وما عرفوه حقَّ معرفته في الرحمة على عباده والإنعام عليهم، ببَعثِهِ الرسلَ وإنزال الكتب، أو في السُّخطِ على الكافرين والبَطش بهم حين أنكروا الوحيَ والنُّبوَّة، وأقدموا على تلك المقالة [العظيمة][3] ﴿ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ ﴾ والقائلون هم: اليهود، بدليل إلزامِهم بإنزال التوراة على موسى عليه السلام، وقيل [4] القائلون: قريشٌ، وإنما ألزموا بإنزال التوراة لأنَّه كان من المشهورات الذائعة عندهم، ولذلك كانوا يقولون: (أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ)[5] ﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ ﴾ نورًا وهدىً: حالان؛ أي جامعًا بين كونه نورًا [يُتَبينُ][6] به الأحكام والشرائع، وبين كونه هدىً للناس إلى التوحيد والمعاد ﴿ تَجۡعَلُونَهُۥ ﴾ اعتراضٌ لبيان سوء حملِهِمْ للكتاب وفعلهم به ما ينافي كونَهُ نورًا

([1]) القاضي البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٢/٤٢٨.

([2]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [و]، والتصويب من ب وج.

([3]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [العطية]، والتصويب من ب وج.

[4] أخرج أبو الشيخ عن مجاهد أنهم مشركو قريش، والجمهور على أنهم اليهود، **روح المعاني**، ٤/٢٠٧، وتعليل نسبة القول لقريش "أنهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة، وكانوا يقولون لو أنا أنزل علينا..."، الزمخشري، **الكشاف**، ٢/٤٤.

([5]) من سورة الأنعام من الآية: ١٥٧.

([6]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يبين]، والتصويب من ب وج.

وهدى للناس؛ توبيخًا لهم وتَعييرًا ﴿ قَرَاطِيسَ ﴾ ورقاتٍ مُتفرِّقة؛ ليَتَمَكَّنوا بتفريقها على ما قصدوا من الإبداء والإخفاء ﴿ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ قراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون نقضًا لكلامهم وإلزامًا لهم. وقراءة بعضهم [1]: بالياء التحتانية حملاً على " ما قالوا وما قدروا "، ولتضمين الإلزام توبيخَهم على تبعيضِ التوراةِ وتحريفِها وإبداءِ بعضٍ وإخفاءِ بعض، وعلى هذا التفت إلى الغيبة تبعيدًا لهم؛ بسبب فعلهم القبيح، ثم التفت ثانيًا إلى الخطاب تنبيهًا على أن الغائبين هم المخاطبون، وما أحسن الالتفاتين حيث أريد لنسبة القبيح إليهم: أعرض عنهم حتى لا يُواجهوا به، وحيث نسب إليهم الحَسَنَ وهو: عِلْمُ مَا لم يعلموا به خاطبهم به ﴿ وَعُلِّمْتُم ﴾ خطابٌ لليهود أي: على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ ﴾ مع كونكم حمَلَة الكِتابِ ﴿ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم من الحِكَمِ والمواعظِ والقصص، زيادةً على ما في التوراة، وبيانًا لما التبس عليكم لقوله تعالى: (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (٢)، وعلى القول الثاني: الخطاب لمن آمن من قريشٍ كقوله: (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ) (٣) ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ أمر بالجواب عنهم إشعارًا بأنَّ الجوابَ متعيِّنٌ لا يلتبس عليهم ولا يناكِرونَ فيه؛ وهو الله أنزله، حَذَفَ الخبر لدلالة " أنزل " في السؤالِ عليه، لكنَّهم بُهِتُوا محجوجين ملزومين لا يقدرون على الجواب خوف الفضيحة ﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ " ثمَّ " لاستبعاد الكلام بعد الإلزام؛ أي: لا كلام إلا هذا ولهذا سمَّى كلامَهم غير هذا خوضًا في الباطل؛ أي: هواءً وهذيانًا، وسمَّاهم لاعبين؛ لأنَّ الكلام الذي ليس بنافعٍ ولا معقولٍ لعبٌ، ومعنى ذَرْهُم: " لا عليك بعد إلزام الحجة إن

---

[1] قراءة ابن كثير وأبي عمرو، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٦٢.

(٢) من سورة النمل الآية: ٧٦.

(٣) من سورة يس من الآية: ٦.

لم يسكنوا فاتركهم يلعبون " حالٌ من ذرهم ، و" في خوضهم ": صلةٌ له أو لـ" يلعبون "، أو حالٌ منه، أو من خوضهم وهو صلةٌ لذرهم.(١)

﴿ وَهَٰذَا ﴾ (٩٢) أي: القرآن، والتَّعظيمُ الذي قُصِدَ بذلك في قولــه تعــالى: (ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ)(٢) حصل من تنكير ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ فحصل التعادلُ بين القولين ﴿ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ كثير المنـــافع الثابتـــة والفوائد الباقية؛ فإنَّ البركة ثبوت الخير على الازدياد ﴿ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من الإنجيل وسائر الكتب الإلهية، المخبرة عن رسالة نبيِّنا صلى الله عليه وسلم، والمبشِّرةِ عن بعثه ومرجعــه إلــى تصديقه عليه السلام في دعوى النُّبوَّة وهو من المقاصد الأصلية من إنــزال القــرآن ﴿ وَلِتُنذِرَ ﴾ عَطفٌ على ما دلَّ عليه صفة الكتاب؛ أي: للبركات والتصديق و الإنذار اكتفى بذكره عن مقابلــه وخصَّه بالذكر لعمومه، وقيل: يجوز عطفه على صريح الوصف؛ أي: كتــاب مبــارك وكــائن للإنذار، وعَطفُ الظَّرفِ على المفرَدِ في باب الصفة، والخبر: كثيرًا وعلَّة لمحذوف؛ أي: ولتنذر أنزلناه، وقُرِئَ: بالياء والضمير للكتاب ﴿ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ أهلَ مكَّة، وإنَّما سُمِّيت به لأنَّها قِبلــةُ أهــل القُرى ومَحَجُّهُم ومكان أوَّل بيتٍ وُضع للناس، ولأنَّها أعظمُ القــرى شــأنًا ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ مــن العرب، وإنَّما خصَّهم بالذكر مع أنَّ أصل الإنزال للإنذار العامِّ؛ لأن نزوله عربيًّا لأجلهم على ما

(١) لم يذكر المؤلف سبب النزول فذكرته وقد ورد فيه قولان:

١-قال ابن عباس في رواية الوالبي: قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتابا، قال: نعم قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتابا فأنزل الله تعالى – {قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاس} – وقال محمد بن كعب القرظي: أمر الله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يسأل أهل الكتاب عن أمره وكيف يجدونه في كتبهم، فحملهم حسد محمد أن كفروا بكتاب الله ورسوله، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شئ، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٢-وقال سعيد بن جبير: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف، فخاصم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين، وكان حبرا سمينا، فغضب وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شئ، فقال له أصحابه الذين معه، ويحك ولا على موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شئ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، أسباب النزول، الواحدي، مرجع سابق، ص١٢٥-١٢٦.

(٢) من سورة البقرة من الآية: ٢.

أفصح عنه قوله تعـالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[١] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ لأنَّ التصديق بالآخرة يحمل صاحبه على النظر والتدبير خوْفَ العاقِبةِ؛ حتـى يؤمن بالكتاب وبالنبي –صلى الله عليه وسلم– ويحافظ على الطاعات ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ المراد بالمحافظة على الصلاة المحافظة على الصلاة والمحافظة على الطاعات كلها، وإنَّما خصَّ الصلاة بالذّكر لأنَّها عمادُ الدين فاروقٌ بين الكفر والإسلام، ناهيةٌ عن الفحشاء والمنكر فمن واظب عليها واظب على كلِّها.

﴿ ٩٣ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [٢] بأنَّه بعثه الله نبيًّا كمُسيلمة كذَّاب اليمامة [٣] ، والأسـود كذاب صنعاء [٤] ، واختلق عليه أحكامه كعمرو بن لُحَيٍّ [٥] ومتابعيه ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ هو عبد الله بن سعد ابن أبي سَرْح [٦] [القرشي] [١] كان يكتب لرسول الله – صـلى الله

([١]) من سورة الشورى من الآية: ٧.

([٢]) لم يذكر المؤلف سبب نزول الآية وقد نزلت في مسيلمة الكذاب الحنفي كان يسجع ويتكهن ويدعى النبوة، ويزعم أن الله أوحى إليه، أسباب النزول، الواحدي، مرجع سابق، ص١٢٦.

([٣]) الكذاب: مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي (٥١٢-٦٣٣م)، وُلد ونشأ في اليمامة بوادي حنيفة لقِّب برحمان اليمامة، افترى الكثير من العبارات مسجوعة وسماها آيات، قتل في عهد أبي بكر (عام ١٢ للهجرة) في الجبيلة، الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج٧، ص٢٢٦.

([٤]) الأسود العنسي: عيهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي (٥١١م-٦٣٢ م) متنبئ مشعوذ من أهل اليمن وكان بطاشًا جبارًا، أسلم مع اليمنيين وارتد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم ادعى النبوة وسمى نفسه رحمان اليمن، وتغلَّب على نجران وصنعاء وصولاً إلى الطائف والإحساء إلى عدن، وقتل قبل وفاة النبي بشهر واحد، الأعلام للزركلي ج٥، ص١١١.

([٥]) أبو ثمامة، عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو ابن عامر الأزدي، من قحطان: أول من غيَّر دين إسماعيل ودعا العرب لعبادة الأوثان، حينما جلب الأصنام من بلاد الشام لمكة.

([٦]) عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن حبيب القرشي، يكنى أبا يحيى، أخو عثمان بن عفان بالرضاعة، وكان يكتب الوحي فارتد واستأمن عثمان يوم فتح مكة ثم رجع إلى الإسلام، واستعمله عثمان – قبل قتله – واليًا على مصر، وفتح إفريقية، مات بعسقلان سنة ٣٦للهجرة، وقيل: توفي بالرملة سنة ٥٩ للهجرة، معجم الصحابة، ج١٢، ص١٥.

عليه وسلم – فلمَّا نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾[٢] كان رسول الله عليه السلام يملي عليه حتى إذا بلغ قوله: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾[٣] فعجب عبد الله من أطوار خلق الإنسان فقال في الكشاف: تبارك وفيه ما فيه فتبارك الله أحسن الخالقين، فقال صلى الله عليه وسلم اكتبها فكذلك نزلت[٤] فشكَّ عبد الله، [وقال][٥]: " لئن كان محمد صادقًا لقد أوحي إليَّ كما أوحي إليه ولئن كان كاذبًا لقد قلت كما قال " فارْتَدَّ عن الإسلام ولحق بمكَّة، ثم رجع مسلمًا قبل فتح مكـة[٦] ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[٧] كالنضر بن الحارث[٨] وأشباهه حيث قـال: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [القريشي]، وفي النسخة ب: القرشي، أثبت ما في النسخة ب.

(٢) من سورة المؤمنون الآية: ١٢.

(٣) من سورة المؤمنون من الآية: ١٤.

(٤) ذكر في الكشاف للزمخشري: وروي أنّ عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسـلم ، فنطق بذلك قبل إملائه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «اكتب ، هكذا نزلت» فقال عبد الله: إن كان محمد نبيـاً يوحى إليه فأنا نبيّ يوحى إليّ، فلحق بمكة كافراً، ثم أسلم يوم الفتح، الكشاف، مرجع سابق، ج٤، ص٣٢٨.

(٥) ما بين القوسين سقط في الأصل، والإضافة من ب وج.

(٦) ذكره البيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص٤٣١.

(٧) ورد في سبب نزولها سببان ذكرهما الواحدي:

١- قول ابن عباس في رواية الكلبي نزلت في عبد الله بن سعد ابن أبي سرح كان قد تكلم بالاسلام، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يكتب له شيئا، فلما نزلت الآية التي في المؤمنين {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ} أملاهـا عليه، فلما انتهى إلى قوله – {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} عجب عبد الله في تفصيل خلق الانسان، فقال: تبارك الله أحـسن الخالقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هكذا أنزلت علي"، فشك عبد الله حينئذ وقال: لئن كان محمد صادقا لقد أوحى إلي كما أوحى إليه، ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال، وذلك قوله: {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْـزَلَ اللَّـهُ} وارتد عن الاسلام.

٢-قول شرحبيل بن سعد قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن سرح قال: سأنزل مثل ما أنزل الله، وارتد عن الاسلام، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أتى به عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستأمن لـه، أسـباب النزول، الواحدي، مرجع سابق، ص١٢٦.

(٨) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف من بني عبد الدار، كان ابن خالة النبي صـلى الله عليـه وسلم، وهو صاحب لواء المشركين ببدر، قال ابن إسحاق: " من شجعان قـريش ومـن شـياطينها " ؟؟، الأعـلام للزركلي، ٨/٣٣.

هَٰذَآ)[١] ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [اللام][٢] إمَّا للعهد أو للإشارة إلى المذكورين من اليهود والمتنبِّئةِ وسائر المُدَّعِين، وإمَّا للجنس ودخل هؤلاء تحته دخولاً أوليًا وحُذِفَ جواب " لو " وهو: " لرأيت أمرًا عظيمًا " إيماءً إلى أنَّه لا يمكن وصفه لشِدَّتِهِ، وحُذِف مفعول " ترى " لدلالة " إذ الظالمون " عليه، [أي][٣] ولو ترى إذ الظالمون ﴿ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ أصل الغمرة ما يَغمُرُ من الماء، فاستُعيرَتْ للشدَّةِ الغالبة ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ إليهم: حالٌ ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾ على تقدير القول؛ أي: يقولون " أخرجوا أرواحكم إلينا من أجسامكم " ، وقيل: باسطوها بالعذاب، أخرجوا أنفسكم خلِّصوها من أيدينا؛ أي: لا تقدرون على الخلاص تشبيه لهم بالمُطالب المُعنِّفِ والغريم المُشَدِّدِ الذي لا يُمهِل ولا يُخفِّفُ عنه، بل يُلِحُّ ويُبرِّح، تصويرٌ لعُنْفِهِمْ في إزهاق الروح، والغِلَظِ في المطالبة، والقبض من غير تنفيس، أو بـ" أغلظ الكلام الباطش القائل لأسيره تهكُّمًا: " خلِّص نفسك عن " يريد تعجيزه وأنَّه لا يقدِرُ على الخلاص البتَّة ﴿ ٱلْيَوْمَ ﴾ يريد به وقت الإماتة، أو الوقتَ المُمتَدَّ من الإماتة إلى ما لا نهاية له ﴿ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ إضافة العذاب إلى الهون وهو الهوان لإفادة الأصالة فيه والتمكُّن والصراحةِ كما تقول: " رجل سوء "

﴿ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ ﴾ بسبب قولكم ﴿ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ كنسبة الولدِ والشريكِ إليه ودعوى النبوَّة والوحي كاذبًا ﴿ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ وباستكباركم عن الآيات فلا تؤمنوا بها.

﴿ ٩٤ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا ﴾ للحساب والجزاء ﴿ فُرَٰدَىٰ ﴾ منفردين عن أموالكم وأولادكم وسائر ما آثرتموه من دنياكم وأعوانكم وأوثانكم التي زعمتم أنَّها شفعاؤكم، وهو جَمعُ فردٍ، أو جمع فريد

---

(١) من سورة الأنفال من الآية: ٣١.

(٢) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب للزوم إثباتها.

(٣) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

كـ" قرين " وقُراني ورَديف ورُدافي والألف للتأنيث كالسُكاري، وقُرئ [١]: فُرادًا بالتنوين قيـل [٢]: كرُخال، وفيه أنَّه بالضمِّ اسمُ جمعٍ، وبالكسر جمع رخلٍ بكسر الخاء، وقد يُقال الرُّخال بالضم أنَّـه جمع إما تجوُّزًا، وإما بقلب الكسرة ضمَّة، وقرئ: فُرَاد كـ" ثُـلاث "، وفَـرْدَى كـسكرى ﴿ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ صفة للمصدر أي: " مجيئًا مثل خلقناكم أول مرة " ، أو صفة لـ" فُرادى " ، أو بدلٌ منه؛ أي: على الهيئة التي وُلِدْتم عليها في الانفراد، أو حالٌ ثانية، أو حالٌ عن ضـمير فـي فرادى؛ أي: مُشْبَّهيْنَ ابتداء خلقِكم عُراةً، حُفَاةً، غُرْلاً[٣] بُهمًا، وانتصب " أولَّ مرَّةٍ " على الظرف.

﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ ﴾ أعطيناكم وتفضَّلنا به عليكم [في الدنيا][٤] فشُغِلْتُم به عن الآخـرة ﴿ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ مبالغة في التَّرْكِ، وعدم الانتفاع به؛ بحيث لا يمكنـه النظـر إليـه ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ﴾ صريحٌ في أنَّه يُحَالُ بينهم وبينهم ابتداءً، والاستفسار عنهم عند ذلك، ثم إنَّهم يُجْمَعونَ معهم على ما أفصح عنه قوله تعالى: (وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ)[٥] وقد مرَّ ما يتعلَّق بهذا في هذه السورة ﴿ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ﴾ في ربوبيَّتكم، واستحقاق عبوديَّتكم شركاءَ لله تعالى ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ والمعنى: وقع التفرُّق بينكم، وأكثر القرَّاء: وقع بينكم على إسنادِ الفِعلِ على الظرف على الاتِّساع كما يُقال: قُوتِل خلفَكم [وأمامكم ومن نصب فعلى تأويل إسناد الفعـل إلـى

([١]) لم أجد هذه القراءة في كتب القراءات، وذكرها البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٤٣٢/٢، انظر أيضًا: **روح المعاني**، ٢١٢/٤.

[٢] لم أجد هذه القراءة في كتب القراءات، وذكرها البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٤٣٢/٢، انظر أيضًا: **روح المعاني**، ٢١٢/٤.

([٣]) أي غير مختونين، والغرلة جلدة الصبي التي تقطع في الختان، المعجم الوسيط، باب الغين، ج٢، ص٦٥١.

([٤]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب.

([٥]) من سورة النحل من الآية: ٨٦.

المصدر كما تقول: وقع التقطّع بينكم][1] كما يُقال: جَمَعَ بين الشيئين؛ أي: أوقع الجمــع بينهمــا، وأصله: لقد تقطّع ما بينكم، وقد قُرئ به، وقيل: إنَّ البَيْنَ مَصدرٌ وهو من الأضداد ويجيء بمعنى: الفصل والوصل فمعناه: تقطع بينَكم وصلكم وتشتَّت جمعكم، ولا يأباه قراءة النَّصْبِ إذ حينئذٍ يكون حركته حركة بناء لإضافته إلى [المبني][2] وهو ضمير الخطاب فيكون فاعلاً لــــ" تقطّــع " [فتستوي][3] القراءتان ﴿ وَضَلَّ ﴾ غاب ﴿ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أنها شفعاؤكم، يرشدك إلى هذا قوله تعالى: (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ).[4]

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ (٩٥) بالنَّبات والشجر، أخبر عنه بشقِّ النَّواة مع شِدَّتِها وصلابتها ويُخرجُ منها نبتًا أخضرَ، ليِّنًا ما لو اجتمع كل الخلائق على إخراج مثله ما قدروا عليه، وقيــل: المراد به: الشُقاق الذي في النواة والحنطة مثلاً ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ جُملةٌ مبيِّنَةٌ لما قبلهــا؛ لأنَّ فلق الحب بالنبات، والنبات بالشجر إخراجُ الحيِّ من الميت؛ لأنَّ النَّامِيَ في حُكْمِ الأحياء؛ كقولــه تعالى: (يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ)[5] إلا أنَّه أعمُّ؛ كالدليل ﴿ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ ﴾ مــا لا ينمــو مــن النُّطَفِ والحَبِّ ﴿ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ﴾ من الحيوان والنبات، ذَكَرَهُ بلفظ الاسم حملاً على فالق الحَبِّ ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ ﴾ أي: ذلكم القادر على تلك الأمور العجيبة هو الذي يَحِقُّ [له][6] العبــادة ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾

---

(١) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [المعنى] والتصويب من ب.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [فيستوي]، والتصويب من ب.

(٤) من سورة الأنعام من الآية: ٢٤.

(٥) من سورة الحديد من الآية: ١٧.

(٦) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بِهِ]، والتصويب من ب و ج.

تُصرَفون عنه إلى غيره، وفيه دَلالةٌ على أنَّ هناك صارفًا لهم عن مُقتَضَى فِطْرَتِهم، وأنَّه غير الله تعالى.

﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴿٩٦﴾ ﴾ شاقُّ ظُلْمَةِ الإصباح؛ وهو: الغَلَسُ في آخر الليل الذي على الأفق عن الصبح، أو شاقُّ عمود الصُّبْحِ عن بياض النهار؛ يقال: انشقَّ عمودُ الصُّبْحِ وانصدع [الفجر][1]، وسمَّوا الفجر: فَلَقًا؛ بمعنى: مفلوق، والإصباح في الأصل: مصدرُ أصبَحَ إذا دخل في الصُّبْح، سُمِّيَ به الصُّبح، وقُرِئَ [2] بفتح الهمزة على الجمع[3] ، وقُرِئَ [4]: " فالقَ " بالنَّصبِ على المَدْحِ ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا ﴾[5] السكن: ما يُسكَنُ إليه ويُستَأنَسُ به، ومنه قيل للنار: سَكَنٌ؛ لأنَّه يُستأنس بها، والليل يَستأنِس به التَّعِبُ ويسكن إليه للاستراحة فيه، ونصبُه بفعلٍ دلَّ عليه "جعل" لا به؛ لأنَّه قصد به معنى المُضِيِّ، ويَعْضُدُهُ قراءةُ: " وجعل الليل " حَمْلاً على معنى المعطوف عليه؛ فإنَّ فالق بمعنى فلق؛ ولذلك قُرِئَ به أو به على أنَّ المراد منه: جَعْلٌ مُستَمِرٌّ في الأزمنة، وما يُقال إنَّه لمَّا بَعُدَ بمعنى المُضِيِّ عن شَبَهِ الفِعل، فبمعنى الاستمرار أولى ليس بشيء؛ لأنَّ شَبَهَهُ الخاصُّ إنَّما هو بالمضارع وباعتباره يعمل ولهذا يُشترَط معنى الحال أو الاستقبال، الذي هو حقيقة المضارع عند الجمهور، والمضارع قد يجيء بمعنى الاستمرار كثيرًا، فاسم الفاعل بالاستمرار لا يَبْعُدُ عن شَبَهِ الفعل، بخلاف معنى المُضِيِّ، وعلى هذا التقدير: يجوز أن يكون ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ ﴾ عطفًا على الليل، والأحسن نصبُهُما على إضمار فعلٍ دلَّ عليه جَعَلَ، وقُرِئَ [6] بالجَرِّ عطفًا على " الليل " ،

([1]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الشجر] ، والتصويب من ب و ج.

([2]) قراءة الحسن، قراءة شاذة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٦٩.

([3]) الجمهور بكسر الهمزة على أنها مصدر الإصباح، والقراءة الشاذة فالق الأصباح، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٣٧٩.

([4]) لم أجد هذه القراءة في كتب القراءات وذكرها في تفسير البيضاوي، ٤٣٣/٢.

([5]) في النسخة ب نقل الآية خطأ [وجاعل] بدل [وجعل]، أثبت ما وافق المصحف الشريف والأصل أ.

([6]) لم أجد هذه القراءة في كتب القراءات ولا في كتب التفسير.

ولا دلالة فيه على أنَّ نصبهما عطفًا على محل الليل، حتى ينافي حسن نصبهما على إضمار فعلٍ، وقُرِئَ [١] بالرفع على الابتداء والخبر محذوفٌ؛ أي: والشمس والقمر محسوبان ﴿ حُسۡبَانٗا ﴾ [أي][٢] جُعِلا حسبانًا جعلهما علَمَيْ حُسْبَانٍ؛ لأنَّ حُسبان الأوقات يُعْلَمُ بسيرهما ودورهما معنىً على أدوارٍ مختلفةٍ، يُحسَبُ بها الأوقاتُ، ويكونان على الحسبان، وعلى قراءة الجرِّ نصب " حسبانًا " بفعلٍ مُقدَّرٍ؛ أي: جُعِلا كما مرَّ في "سكنًا"، والحسبان كالكُفْرَان: مصدر حسَب بفتح العين، وإمَّا مصدر حَسِبَ بالكسر، فالِحسبان كالفِقدان ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي جعلُهُما حسبانًا: يعني ذلك السير بالحساب المعلوم ﴿ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ الذي قهرهما وسخَّرهما ﴿ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [بتدبيرهما][٣] وتدويرهما على الأدوار المختلفة ﴿ ٩٧ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ ﴾ إجمالٌ؛ أي: خلقها لأجلكم فإنَّ لكم فيها منافع، وهو دليلُ إضمارهِ في الكلِّ من فالق الحبِّ وجاعل الليل والشمس والقمر، لأنَّه في مَعْرض الامتنان و تعديد النِّعم على الإنسان ﴿ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا ﴾ تَبْيينٌ بإفراد بعض منافعها بالذِّكر، إشارةً إلى أنّه أكثرُ منافعها بالذّكر وأجلّها [به][٤] ﴿ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ ﴾ في ظلمات الليل في البرِّ والبحر، وإضافتها إليها للمُلابسَة أو في مُشتَبَهاتِ الطُّرُق، وسمَّاها ظلماتٍ على الاستعارة ﴿ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ بينَّاها فصلاً فصلاً، وإنَّما قال ﴿ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ لمَّا علِمتَ أن ذلك التفصيل في معرض الامتنان وهو لا يكون إلا للعالم بما امتنَّ به .

---

(١) قراءة ابن محيصن، قراءة شاذة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٦٧.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [أو]، والتصويب من ب و ج.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بتقديرهما]، والتصويب من ب و ج.

(٤) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب.

﴿ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ هو آدم عليه السلام ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ فلكم استقرار في الرحمِ أو فوقَ الأرض، واستيداعٌ في الصُّلبِ أو تحتَ الأرض، وقال ابن الحنفيـة[١] : المُـستَقَرُّ: الصُّلبُ، والمستودع: الرَّحِم؛ لتقديم ذكر [المستَقَرِّ][٢] على المستودع، أو: فلكُم محـلُّ اسـتقرار واستيداع، وعلى قراءة كسر القاف: فمنكم مُستَقِرٌّ اسم فاعل ومنكم مُستودَع اسـم مفعـولٍ؛ لأنَّ الاستقرار هنا دون الاستيداع؛ وهو: جعلُ الشيءِ في الشيءِ للاحتفاظ به، قال الحسن: المستقِرُّ مَنْ مات والمستودَعُ أنتم وأنشد:

فجع الأحبة بالأحبة قبلنا ... فالناس مفجوعٌ به ومفجع

مستودع أو مستقر قد خلا ... فالمستقر يزوره المستودع [٣]

وكان يقول[٤] : يا ابن آدم أنت وديعة في أهلك وينشد:

وما المال والأهلون إلا وديعة ... ولا بد يومًا أن ترد الودائع [٥]

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ فرَّق[١] بين الفاصلتين فذكَرَ مع ذِكْرِ النجوم والاهتـداء بهـا تعلمون لظهور أمرها، ومع إنشاء الخلق من نفسٍ واحدةٍ بما يفقهون؛ لأنَّ تصريفهم بين أطـوارٍ وأحوالٍ مختلفةٍ يحتاج إلى دِقَّة نظرٍ ورَوِيَّةٍ

([١]) ابن الحنفية: محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو القاسم، (٢١ – ٨١ هـ / ٦٤٢ – ٧٠٠ م) أخو احسن والحسين ريحانتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد عام ١٥ للهجرة، وهو أحد الأبطال الأشداء في الإسلام مؤرخ عالم بالحديث واسع العلم، من أهل مكة مولدًا ووفاة، الأعلام، ٦/٢٠.

([٢]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب.

([٣]) البيتين من بحر الكامل وهما لسليمان بن يزيد العدوي.

([٤]) ما بين القوسين سقط في الأصل، والإضافة من ب وج.

([٥]) البيت من بحر الطويل للبيد بن ربيعة، ديوان لبيد بن ربيعة، ص:١٧١

﴿ ٩٩ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا ﴾ ماءً من جانبها أو من السحاب ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا ﴾ على تلوين الخطاب ﴿ بِهِۦ ﴾ بالماء ﴿ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٍ ﴾ كلُّ صنفٍ من أصناف النَّامي، وفيه إيماءٌ إلى عجيب صُنْعِهِ، وبديع خلقه من كون السَّبَبِ واحدًا والمسَبَّبَاتُ أشياءٌ مختلفة كقوله: (يُسۡقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٍ فِى ٱلۡأُكُلِ)(٢) ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ ﴾ من النبات ﴿ خَضِرًا ﴾ شيئًا غضًّا أخضر؛ وهو: ما تشعَّب من أصل النبات الخارج من الحَبَّةِ ﴿ نُّخۡرِجُ مِنۡهُ ﴾ من الخَضِرِ ﴿ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ وهو السُّنبلُ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا ﴾ الطلع: أوَّل ما يخرج من النخلة في أكمامه(٣) ﴿ قِنۡوَانٌ ﴾ وهو: الأعذاق جمع قِنْوٍ مبتدأ و" من النخل " خبرُه، و" من طلعها " بدلٌ منه؛ كأنَّه قِيل: وحاصِلة من طَلْعِ النخل قِنْوانٌ، ويجوز أن يكون الخبر محذوفًا لدلالة " أخرجنا " عليه؛ أي: ومُخرجةٌ من طلع النخل قنوانٌ، ومن قرأ[٤]: " حبٌّ متراكبٌ ": عَطَفَ " قنوانٌ " على " حَبٌّ " ، وقُرِئَ [٥]: بضَمِّ القاف وبفتحها على أنَّه اسم جمع؛ إذ ليس فعلان من أبنية الجمع ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ قريبة المتَنَاوَل؛ لأنَّ النَّخْلَ تُثمِرُ على قِصَرِها، أو قريبةٌ بعضُها من بعضٍ وصف القنوان بالدانية؛ لأنَّ النعمة فيها أكثر وأهنأ، واستغنى بها عن ذكر مقابلها كقولـه: (سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ) (٦) ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنۡ أَعۡنَابٍ ﴾ بالكسر في محلِّ النصبِ عطفٌ على " نبات كل شيء " ، وقُرِئَ [٧]: بالرَّفع على الابتداء؛ أي: ولكم

---

(١) في الأصل سقط "فرق"، والإضافة من ب.

(٢) من سورة الرعد من الآية: ٤.

(٣) الأكمام جمع كم وهو: برعوم الثمرة ووعاء الطلع وغطاء النور، المعجم الوسيط، ج٢، ص: ٥١٤.

٤ المطوعي، قراءة شاذة، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ٢٧٠.

٥ المطوعي والحسن، قراءة شاذة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٠.

(٦) من سورة النحل من الآية: ٨١.

٧ المطوعي والحسن، قراءة شاذة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٠.

أو وثمة جنات من الأعناب أي: مع النَّخل، ويجوز عَطفُهُ على " قنــوان "، ولا يلــزم أنْ يكــون المعنى: " ومن النخيل جنات من أعناب " ؛ إذ حينئذ يكون " من أعنابٍ " عطفًا على " من النخيل " ، فيَصيرُ من عَطفِ مُفرَدٍ على [المبتدأ وأخِّرَ عن] [١] خبره وقدم الظرف في المعطوف عليــه لتخصيص آخر في المعطوف لعدم الاختصاص [بالجنات] [٢] غايتُهُ أنَّ المعطوفَ على المبتــدأ يكون نكرة غيرَ مخصوصةٍ، ولم يُعْرَفْ منعُ ذلك، كيف وقد قال الشاعر:

عِنْدِيْ اصْطِبَارٌ وَشَكْوَىْ عِنْدَ قَاتِلَتِيْ   فَهَلْ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا امْرُؤٌ سَمِعَا [٣]

﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ ﴾ أيضًا عطفٌ على " نباتَ " ، أو نصبٌ على المَدْحِ؛ لعِزَّةِ هذين الصِّنفَين عندهم

﴿ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ﴾ حالٌ، وتقديره: " والزيتون مشتبهًا وغيرَ متشابهٍ والرمانَ كذلك " كقوله:

..........كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِيْ [٤]		[بريئًا] [٥] ....

أي: بعضه متشابهٌ وبعضه غير متشابهٍ في القَدْرِ واللَّون [والطعم][٦] والشكل، وذلك دليل القُدْرةِ، وقُرِئَ [١]: " متشابهًا " والاشتباه والتشابه بمعنىً واحدٍ، وكثيرًا ما يشترك الافتعال والتفاعل بمعنــىً

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الابتداء وأحضر على]، والوتصويب من ب.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الجنات] بإسقاط حرف الجر، والإضافة من ب.

(٣) البيت من بحر البسيط ولم أقف على قائله.

(٤) البيت من بحر الطويل وهو منسوب لعمرو ابن أحمر الباهلي، والشاهد فيه الاكتفاء بذكر الخبر واحدًا عن اثنين والتقدير: كنت بريئًا منه ووالدي بريئًا منه، والبيت بكامله:

رماني بأمر كنت منه ووالدي		بريئًا ومن أجل الطَويِّ رماني

(٥) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

(٦) ما بين معكوفين في الأصل أ: [والطلعة]، والتصويب من ب.

﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ ﴾ أي: ثمر كلِّ واحدٍ من ذلك، وقُرئ [٢]: بضمِّ الثاء جَمعُ "ثَمَرَةٍ" كخَشَبَةٍ وخُشُبٍ، أو "ثِمَارٍ" ككِتَابٍ وكُتُبٍ ﴿ إِذَآ أَثۡمَرَ ﴾ إذا أخرجَ ثمره نَظَرَ استبصارٍ واعتبارٍ واستدلالٍ على قُدرةِ مُقدِّره، ومُدَبِّره، ونَاقِلِه من حالٍ إلى حالٍ، كيف يَخْرُجُ [ضئيلاً حقيرًا][٣] لا يُنتفع بـــه ﴿ وَيَنۡعِهِۦٓۚ ﴾ وإلى حال نضجه، أو إلى نضيجه كيف يعود شيئًا جامعًا لمنافعَ ومَلاذَّ، و " اليَنْعُ " : مَصدرُ " يَنَعَ " بفتح الياء في لغة الحجاز، وضمِّها في بعض لغةِ نَجْدٍ[٤]؛ يُقال: "يَنَعَــتْ الثمـــرة "، إذا أدركَــتْ ونَضَجَتْ، وقيل: جمع يانعٍ كــ" نَحْرٍ ونَاحِرٍ"، وقُرئ [٥]: بالضمِّ وهو لغةٌ فيه ويانعة، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ أي: لآياتٍ دالَّةٍ على وجود قادرٍ حكيمٍ وتوحيده بمعنى نظـــرٍ واعتبـــارٍ[٦] ، وظهور الآيات لا ينفع إلا من قدَّر الله تعالى له الإيمان؛ نَبَّهَ على ذلك [بتوصيف] [٧] القوم بـــ " الإيمان "، فهو من قبيل: (هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ)[٨] ، ولمَّا ذَكَرَ ما دَلَّ على صانعٍ قادرٍ حكيمٍ لا نِدَّ له ولا ضِدَّ له وَبَّخَ من أشرك به واستعظم ذلك فقال:

([١]) لم أجدها في كتب القراءات، لكن أوردها الرازي، **مفاتيح الغيب**، ٨٧/١٣، انظر أيضًا: الزمخشري، **الكشاف**، ٥٢/٢.

([٢]) قراءة حمزة والكسائي وخلف، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٠.

([٣]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [حب لا خير]، والتصويب من ب.

([٤]): ذات عرق من ناحية الحجاز كما تدور الجبال معها إلى جبال المدينة، انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، الجزء الخامس، ص:٢٦٠.

([٥]) رواية عن ابن محيصن، قراءة شاذة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٠.

([٦]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [واعتبر]، والتصويب من ب و ج.

([٧]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بتوصيفه]، والتصويب من ب.

([٨]) من سورة البقرة من الآية: ٢.

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾(١٠٠) [١] " لله شركاء ": مفعول جعلوا"، و" الجن ": منصوبٌ بمحذوفٍ جوابًا عن سؤالٍ؛ كأنَّه قيل: " من جعلوه شركاء لله ؟ فقيل: الجن. أو بدلٌ من شركاء، أو " شركاءَ الجنَّ " : مفعولاه، ولله مُتعلّقٌ بـ " جعلوا "، أو [حالٌ من][٢] شركاء وشركاء ثاني مفعوليه. وقُرئ [٣]: الجنُّ بالرفع؛ كأنَّه قيل: [من هم؟ فقيل: الجنُّ. أي: هم الجنُّ. وبالجر على الإضافة للتبيين وفائدة تقديم الله استعظام أن يكون لله][٤] شركاءَ [أيِّ][٥] شيءٍ كانَ جنِّيًا أو إنسيًّا أو غيرَ ذلك، وكذا فائدة تقديم " شركاء " على " الجن "، والظاهر أنَّ المرادَ به: "الملائكةُ" وسمَّاهم جنًّا لاجتنائهم تحقيرًا لشأنهم، ويجوز أن يُرادَ بالجنِّ الشياطين؛ لأنَّهم أطاعوهم كما يجب أن يُطاعَ الله تعالى وعبدوا الأوثانَ بتحريضهم وتسويلهم، فهم عبدوهم في الحقيقة، وقيل: المراد به [الثنوية القائلون][٦]: بيزدان وأهرمن[٧] الذين زعموا: " أن الله تعالى خالق كلِّ خير ونافع، وإبليس خالق كل شرٍّ وضارٍّ " ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾ أي: الجاعلين؛ معناه: " وقد علموا أنَّ الله تعالى خالقهم دون الجنِّ، فكيف يجعلون من لا يخلق شريك الخالق؟ أو الجنَّ يعني وخلق الله الجنَّ فكيف يجعلون مخلوقه شريكًا له "، وقرئ: [وخَلْقَهُمْ][٨] بسكون اللام عطفًا على شركاء على الوجه الأوَّل؛ أي: اختلاقهم للإفك؛ معناه: وجعلوا لله افتِرَاءَهم – وهو ما نسبوا قبائحهم إلى الله تعالى في قولهم: (أنَّ

---

(١) لم يذكر المؤلف سبب نزول الآية فأوردته، وهو كما قال الكلبي: نزلت هذه الآية في الزنادقة، قالوا: إن الله تعالى وإبليس أخوان، والله خالق الناس والدواب وإبليس خالق الحيات والسباع والعقارب، فذلك قوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ}، أسباب النزول، الواحدي، مرجع سابق، ص١٢٦.

(٢) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

٣ لم أجدها في كتب القراءات، وذكرها الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ٩٠/١٣، انظر أيضًا: **الكشاف**، ٥٢/٢.

(٤) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [إلى]، والتصويب من ب.

(٦) في الأصل أ: "بالسوية القايمون" والتصويب من ب.

(٧) مذهب من الفرس المجوس الذين جعلوا لله شركاء الجن، وهم معترفون بأن الشيطان مُحدَث، ويعبرون عنهما بالنور والظلمة، البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٣٨٨/٢، انظر أيضًا: روح المعاني، ٧٨/٤.

(٨) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والتصويب من ب.

ﵟٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖﵞ [١] وقولهم: (وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ) [٢] وأمثال ذلك، ﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ ﴾ افتعلوا الإفك، يُقال: " خَلَقَ الإفْكَ وخَرَقَهُ واختَلَقَهُ واخترقه بمعنى، ويجوز أن يكون من خرق الثوب إذا [شقَّه][٣] أي: اشتقوا له ﴿ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ ﴾ وقُرئ [٤]: " وخرَّقوا " بالتشديد للتكثير لقوله: (بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ) على الجمع، وقرئ [٥]: " وخرَفُوا له " أي: وزوَّروا له أولادًا؛ لأنَّ المزوِّر مُحرِّفٌ، مُغيِّرٌ للحقِّ إلى الباطل، وهو قول أهل الكتابيْن في المسيح، وعُزَيْر [٦] – عليهما السلام – وقولُ قريشٍ في الملائكة.

﴿ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ ﴾ من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه؛ أي: قولاً عن جهالةٍ، وعمىً من غير فكرٍ ورويَّةٍ، وهو في موضع الحال؛ أي: خرقوا ملتبسين بالجهالة، أو المصدر؛ أي: خرقًا بغير علم، ولما ذكر إثباتَهم الشركاءَ له تعالى واختلاقَهم [بنسبة][٧] ما لا يجوز نسبته إليه تعالى، نَزَّهَهُ عن ذلك بقوله: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ وهو أن له شريكًا أو ولدًا.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ (١٠١) ﴾ من إضافة الصفَّةِ إلى فاعلها؛ أي: بَدَعَتْ سماواته وأرضه، أو إلى الظرف؛ أي: بديع فيهما بمعنى عديم النظير فيهما؛ كقولك: " فلانٌ ثبت العَذَر " أي: ثابتٌ فيه، وقيل: بمعنى " المبدع "، وقد مرَّ أن فعيلاً يجيء بمعنى المفعل كـ" أليمٍ " و" حكيم "، وهو خبر

([١]) من سورة الأنعام من الآية: ١٥٠.

([٢]) من سورة الأعراف من الآية: ٢٨.

([٣]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [اشتقَّه]، والتصويب من ب.

([٤]) نافع وأبو جعفر، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٠.

([٥]) **تفسير البيضاوي** للبيضاوي، ، ٤٣٦/٢.

([٦]) هو عزير بن شرحيا الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها، معاصر للنمرود والقرية هي بيت المقدس حين خربه بختنصر، وقيل القرية التي خرج منها الألوف، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٥٦٠/١.

([٧]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [لنسبة]، والتصويب من ب.

مبتدأ محذوفٍ [أي](١): هو بديع، أو مبتدأ خبره: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ ؛ أي: من أين أو كيف يكون له ولدٌ، أو فاعل تعالى، [وقيل]٢: بالجرِّ صفةً لله، أو بدلاً من ضمير سبحانه وبالنــصب علــى المدح ﴿ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞ ﴾(٣) يكُونُ منها الولدُ، وقُرِئَ ٤ بالياء للفصل، أو لأنَّ الاسم ضمير الله أو ضمير الشأن.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ لا يخفى عليه خافية، وإنَّما قال: " بكل شيء " ولم يقل " بــه "؛ لأنَّ الأوَّل اختصَّ بالمخلوقيَّة، وفي الآية استدلالٌ على نفي الولد من وُجوهٍ:

أحدها: أنه تعالى مُبدِع الأجسام كُلِّها، ومبدع الأجسام كلِّها لا يكون جسمًا، والولادة إنَّما تكــون(٥) من صفات الأجسام، فلم يكن له ولد.

وثانيها: أن الأجسام مُبْدَعَةٌ، والمُبْدِعُ هو: [الذي](٦) لا يوجد من مادة، والولد لا يكون إلا مــن مادة شخصٍ، فالمبدع ليس بوالدٍ.

وثالثها: أن الولد لا يكون إلا عن زوجة تجانس الوالد، وهو غير مجانس، فلا [زوجة] (٧) له ولا ولد.

ورابعها: أنَّه تعالى خلق الكُلَّ، والمخلوق مُمْكِنٌ، محتاجٌ إلى الخالق، والخالق واجبٌ مُستغْنٍ، فــلا يشابهه شيءٌ من خَلْقِهِ.

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [أو]، والتصويب من ب.

٢ لم أعثر على قائل هذا القول.

(٣) الآية في الأصل أ: [يكن] وهو خطأ نقل، وفي المصحف الشريف والنسخة ب: [تكن] أثبتُّها.

٤ **الكشاف** للزمخشري، ، ٥٣/٢، وانظر أيضًا: **روح المعاني**، ٢٢٩/٤.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يكون] والتصويب من ب.

(٦) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب و ج.

(٧) ما بين معكوفين في الأصل أ: [فلا درجة]، والتصويب من ب و ج.

وخامسها: أنَّه تعالى عالمٌ بكلِّ شيءٍ لذاته، ومن عداه ليس كذلك بالإجماع، فلا يجانسه غيره، والولَدُ إنَّما هو مجانسٌ للوالد فلم يكن له ولد.

﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ (١٠٢) إشارةٌ إلى الموصوف بما سَبَقَ من الصِّفاتِ، وهو: مبتدأ وما بعده أخبار مترادفةٌ وهي: ﴿ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ويجوز أنْ يكونَ البعضُ خبَرًا، والبعض بدلاً، أو صفة ﴿ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ مُسَبَّبٌ عن مضمون الجُملة؛ أي: من استَجْمَعَ هذه الصفاتِ وجب عبادتُهُ ولا [تَحِقُّ][1] العبادة إلا له ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أي: هو مَعَ تلك الصِّفاتِ مُتَوَلِّي أموركم، فكِلوا إليه أموركم، وتوسَّلوا إليه بعبادته ليُجازيكم بها.

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ﴾ (١٠٣) لا تُحيطُ به ﴿ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ فإذا لم يُحِطْ به الكلُّ، فعدم إحاطة كل واحدٍ منها به بطريق الأولى، وهذا الوجه للعُدُول عن المُفرَدِ إلى الجَمع، وإذا كان المَنْفِيُّ: الإدراكُ الخاصُّ فلا مُتَمَسَّكَ فيه لمن أنكر الرؤية، وأما الجواب عنه بتخصيص الحُكم ببعض الأوقات، أو ببعض الأشخاص، فلا يتحمَّلُهُ الكلامُ على الوجه المذكور المناسب للمقام.

والأبصارُ: جَمعُ بَصَرٍ؛ وهو: حاسَّةُ العين؛ أي: قُوَّتُها التي بها تُدرك، وقد يُطلَقُ على العين، مجازًا ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ يحيط بها علمًا ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ فيدرك ما لا يُدْرَكُ بالبَصَر، ويجوز أن يكون الأول ناظرًا إلى قوله: (لا تدركه الأبصار) ، والثاني إلى قوله: (وهو يدرك الأبصار) ؛ كأنه قيل: " لا يُدرِكُهُ الأبصار، لأنَّه اللطيف، وهو يدرك الأبصار؛ لأنَّه الخبير [بكلِّ][2] خفيَّةٍ وجليَّةٍ ".

والمُرادُ من [اللطيف][3]: ما لا يتعلَّق به حاسَّة النظر، لعدم حظِّه من الكثافة بطريق الاستعارة.

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يحق]، والتصويب من ب و ج.

(٢) ما بين معكوفين سقط في الأصل، والإضافة من ب و ج.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [اللطف]، والتصويب من ب و ج.

﴿ ﴾١٠٤﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ البصائر: جمع بصيرة؛ وهي: نورٌ للقلب يُدركُ به الحقائقَ ويَستَبْصِرُ، وهي للقلب بمنزلة البصر للعين، سُمِّيت بها الدِلالة لأنَّها يُجلَّى بها [الحقُّ][(١)] ويُبْصَرُ بها ﴿ فَمَنۡ أَبۡصَرَ ﴾[أي][(٢)] الحقَّ بهذه [الدلائل][(٣)] وآمن به ﴿ فَلِنَفۡسِهِۦۖ ﴾ [أبصر][(٤)]، وإياها نفع ﴿ وَمَنۡ عَمِيَ ﴾ [أي][(٥)] عن الحقِّ وأنكر ﴿ فَعَلَيۡهَاۚ ﴾ عميَ وإياها ضرَّ؛ إذْ ليس وبالُهُ إلا عليها، وهذا الكلام واردٌ على لسان النبي عليه السلام لقوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾ وما أنا عليكم برقيبٍ، يحفظ أعمالكم، ويجازيكم بها، بل الله [تعالى][(٦)] هو الحفيظ وما أنا إلا مُنْذِرٌ.

﴿ ﴾١٠٥﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ ومثلَ ذلك التصريفِ نصرِّفُ؛ وهو: نقل الشيء من حالٍ إلى حالٍ ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ ﴾ علةُ فعلٍ محذوفٍ؛ أي: " وليقولوا درست نُصَرِّفُها "، واللام للعاقبة، كذا قالوا، والظاهر أنَّها لامُ الأمْرِ، والفعلُ مَجزُومٌ بها لا منصوبٌ بإضمار " أن "، ويؤيِّدُه قراءةُ [٧] من قرأ بتسكين اللام؛ والمعنى عليه: متمكِّنٌ؛ كأنه قِيلَ: " ومثلَ ذلك نصرِّفُ الآياتِ وليَقولوا هم ما يقولون "، وهو أمرٌ معناه: الوَعيدُ [والتهديدُ][(٨)] وعدم الاكتراث بهم وبما يقولون.

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الخلق]، والتصويب من ب و ج.

(٢) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الدلالة]، والتصويب من ب و ج.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [وبصر]، والتصويب من ب و ج.

(٥) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب.

(٦) ما بين معكوفين سقط في الأصل، والتصويب من ب.

[٧] لم أجد هذه القراءة في كتب القراءات، وذكرها ابن سيده، **إعراب القرآن**، ٤/٦٠، انظر أيضًا: **مفاتيح الغيب**، ١٣/١١٠، **البحر المحيط**، ٤/١٨٣.

(٨) ما بين معكوفين في الأصل أ: [والتشديد]، والتصويب من ب و ج.

والدَّرْسُ: استمرارُ التِّلاوَةِ، وقُرئ [١]: دارست العلماء ودرست من [الدُّرُوس][٢]؛ أي: قدَّمت هذه الآيات وعَفَتْ؛ كقولهم: ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[٣] ، وقُرئ [٤]: " دَرُسَتَ " بضمِّ الراء مبالغة في: "دَرَسْتَ"، و" دُرِّسْتَ " -على البناء للمفعول- أي: قُرِّئْتَ هذه الآيات وعُفِيْتَ، ودارَسْتَ بمعنى: دَرَسْتَ، أو دَارَسَتْ اليهودُ محمدًا عليه السلام، وجاز الإضمارُ؛ لأنَّ اليهودَ كانت مشهورةً عِندَهم بالدراسة، ويجوز أنْ يكون الضميرُ للآيات؛ والمرادُ: أهلُها؛ وهم: أهلُ الكتاب، ودرسَ [أي: دَرَسَ][٥] محمدٌ عليه السلام.

ودَرَسْنَ أي: عَفَوْنَ، ودَارِسَاتٍ أي: قديماتٍ، أو ذاتِ دَرْسٍ كـ" عِيشةٍ راضيةٍ " ﴿ وَلِنُبَيِّنَهُۥ ﴾ اللام للتَّعليلِ على الحقيقةِ، أو بطريق الاستعارة على اختلاف الأصلين في جواز: أنْ يكونَ فعلُ الله تعالى مُعلَّلاً بالغَرَضِ، وأُعِيدَ الضمير مُفْرَدًا على معنى الآيات؛ وهو: القرآن، وكما كان التصريف اعْتُبِر فيه وحدَةُ المعنى، [كان لتوحيد][٦] الضمير ههنا باعتبار المعنى موقِعٌ حَسَنٌ ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ وجه التخصيص ما ذُكِرَ في قوله: (لقوم يؤمنون).

﴿ (١٠٦) ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ بالتَّدَيُّن به ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ اعتراضٌ أُكِّدَ به إيجابُ اتِّباع الوحي، أو حالٌ مُؤَكِّدَةٌ مِن: " ربِّك "؛ بمعنى: منفردًا في الألوهيَّةِ ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: لا

---

[١] قراءة ابن كثير وأبو عمرو، قراءة متواترة، محمد حبش، **القراءات المتواترة**، ١٦٠.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الدرس]، والتصويب من ب و ج.

(٣) من سورة الأنعام من الآية: ٢٥.

[٤] قراءة ابن عامر ويعقوب، قراءة متواترة، **القراءات المتواترة**، ١٦٠.

(٥) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب و ج.

(٦) ما بين معكوفين في الأصل أ: [كتوحيد]، والتصويب من ب و ج.

[تحفل بأقوالهم][1] ولا تلتفت إليهم، ومَنْ جَعَلَهُ منسوخًا بآية السيف[2] حَمَلَ الإعراض على ما يعمُّ الكفَّ عنهم، ولا ضرورة فيه.

﴿ ١٠٧ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ توحيدَهم وعدمَ إشراكِهم ﴿ مَآ أَشْرَكُوا۟ ﴾ دليلٌ على أنَّ الله تعالى لا يريد إيمانَ الكُفَّار، وأنَّ مرادَه تعالى واجبُ الوقوعِ ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ رقيبًا ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ يقومُ بأمورِهم.

﴿ ١٠٨ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: لا تَذْكُروا آلهتَهم التي يَعبُدُونها بما فيها من القبائح ﴿ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ ﴾ ليَتَسبَّبَ سبُّكُم لِأنْ يَسُبُّوا اللهَ تعالى، فيه تَلْوينُ الخطابِ بالعدول عن خطابه عليه السلام وَحْدَهُ إلى الخطابِ في ضمن الكُلِّ؛ لما في مواجهته عليه الصلاة والسلام بما ذُكِرَ من خلاف ما كانَ عليهِ من الأخلاق الكريمة؛ إذْ لم يكنْ فَحَّاشًا ولا سَبَّابًا، قال الإمام أبو منصور[3] : " كيف نهانا الله عن سَبِّ مَنْ يَستحِقُّ السَّبَّ لئلا يُسبَّ من لا يستحِقُّهُ؟ وقد أمَرَنا بقتالهم، وإذا قاتلناهم قتَلُونَا، وقتْلُ المؤمن بغير حَقٍّ مُنْكَرٌ، وكذا أمَرَ النبيُّ عليه السلام بتبليغ الوَحي والتلاوة عليهم وإنْ كانوا يُكذِّبُونَهُ " ثم قال في جوابه: " أنَّ السبَّ لأولئك مُبَاحٌ غيرُ مفروضٍ، وقتالُهم فَرْضٌ، [وكذلك][4] التبليغ، وما كان مباحًا فإنَّه ينهى [عمَّا][5] يتولد منه [

([1]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [تجعل أقوالهم]، والتصويب من ب و ج.

([2]) آية السيف هي الآية الخامسة من سورة التوبة: (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم).

([3]) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (نسبة إلى ماتريد محلة بسمرقند) (توفي ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) : من أئمة علم الكلام، له مؤفات كثيرة في العقيدة ككتاب التوحيد، وأوهام المعتزلة، والرد على القرامطة، ومآخذ الشرع، إضافة لكتاباته في الفقه ككتاب شرح الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة النعمان، توفي أبو منصور بسمرقند، الأعلام، ١٩/٧.

([4]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [وكذا]، والتصويب من ب و ج.

([5]) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والتصويب من ب و ج.

ويحدث][1]، وما كان فرضًا لا يُنهَى عن المتولّدِ منه. وعلى هذا يقع الفرق لأبي حنيفة[2] فيمن قطع [يد][3] قاطِعِ يَدِهِ قصاصًا فماتَ منه، فإنَّه يَضمَنُ الدِّيَةَ؛ لأن استيفاء حقّه مُبَاحٌ، فأُخِذ بالمتولد منه "[4] [والإمام إذا قطع يد السارق فمات [لا][5] يَضمن لأنَّه فرضٌ عليه فلم يؤخَذْ بالمُتَولد منه "][6] إلى هنا كلامه[7].

وعلى هذا لا دلالة في الآية على أنَّ الطاعة الواجبة [يجب][8] أن تُترَكَ إذا أدَّت إلى معصيته راجحةٍ كالنهي عن المنكر.

بقي ههنا شيء، وهو أنَّهم كانوا مُقِرِّيْن بالله تعالى وعَظَمَتِهِ، وأنَّ الأصنام إنما تُعْبَدُ [ليكونوا][9] شُفَعَاءَ عند الله تعالى فكيف يَسُبُّونه؟ وأُجِيبَ عنه: بأنَّهم لا يفعلون ذلك صريحًا، لكن رُبَّما يفضي فعلهم إلى ذلك[10] ، كما قالوا: " أتَرُكُ شَتْمَ آلهتنا، وإلا شَتَمْنَاكَ، ومن يأمرك بذلك[11] ، ويَعْضُدُ

([1]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ولو حدث]، والتصويب من ب و ج.

([2]) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت، الفقيه المجتهد، المحقق، أحد الأئمة الأربعة، كان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء، له المسند في الحديث والفقع الأكبر، توفي سنة ١٥٠هـ، انظر تاريخ بغداد ٣٢٣/١٣، والنجوم الزاهرة ١٢/٢، والأعلام ٣٦/٨

([3]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يده]، والتصويب من ب و ج..

([4]) في الأصل النسخة " أ " ينتهي نقل كلام أبي منصور الماتريدي هنا ويتابع " وعلى هذا دلالة ".

([5]) ما بين معكوفين مطابق للنقل عن روح المعاني، وفي النسخة ب: [لم]، أثبت ما في روح المعاني.

([6]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب وموافق للنقل في روح المعاني ج٧، ص٢٥٢.

([7]) موافق لما نقله الألوسي في تفسيره " روح المعاني " عن أبي منصور مع بعض الفروق بين النسخة الأصل " أ " وأثبت ما تواتر من النسخ الأخرى وما وافق ما نقله الألوسي في كتابه وأضاف الألوسي بعد ذكر أبي حنيفة " رضي الله عنه "، روح المعاني، ج٢٥٢/٧.

([8]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بحيث]، والتصويب من ب و ج.

([9]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [لِتكونوا]، والتصويب من ب و ج.

([10]) موافق لما في تفسير روح المعاني للألوسي، ٢٥٢/٧.

([11]) موافق لما في الاستشهاد في " مفاتيح الغيب " للرازي، ١٣/ ١١٥.

ذلك قوله: ﴿ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ ﴾ أي: تجاوُزًا عن الحقِّ إلى الباطل على جهالةٍ، حالٌ؛ أي: عادين، أو مفعولٌ له أي: لعُدْوانٍ فيهم، أو مصدرٌ للنَّوع أي: شيئًا عدوًا، وقُرئ [1]: [عَدُوًّا][2] بضم الدال وتشديد [الواو][3]. وبما قرَّرناه تبيَّنَ الخَلَلُ فيما قِيْلَ إنَّه -عليه الصلاة والسلام كان يطعن في آلهتهم، فقالوا: "لتنتهين عن سَبِّ آلهتنا، أو لنهجونَّ إلهك" فنزلت[4] ، فإنَّ عبارة: لنهجونَّ [تأبى][5] عن التأويل المذكور، وقد ذَكَرَ في التيسير سَبَبَ النزول على وفق ذلك التأويل ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا

---

[1] يعقوب والحسن، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧١.

(٢) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب و ج.

(٣) ما بين معكوفين سقط في الأصل: أ، والإضافة من ب و ج.

(٤) ورد في أسباب نزول الآية عدة أقوال:

١-قال ابن عباس في رواية الوالبي: قالوا: يا محمد لتنتهينَّ عن سبك آلهتنا أو لنهجُوَنَّ ربك، فنهى الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوًا بغير علم.

٢-وقال قتادة: كان المسلمون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم، فنهاهم الله تعالى أن يستسبُّوا لربهم قومًا جهلة لا علم لهم بالله.

٣-وقال السدى: لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش: انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمرنه أن ينهى عنا ابن أخيه، فإنا نستحي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب: كان يمنعه فلما مات قتلوه، فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البخترى إلى أبي طالب، فقالوا: أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإلهه، فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ماذا يريدون"؟ فقالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك، فقال أبو طالب: قد أنصفك قومك فاقبل منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم"؟ قال أبو حهل: نعم, وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، فما هي، قال: "قولوا: لا إله إلا الله"، فأبوا واشمأزوا، فقال أبو طالب: قل غيرها يا ابن أخي فإن قومك قد فزعوا منها، فقال: "يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها"، فقالوا: لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمك ونشتم من يأمرك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أسباب النزول، الواحدي، مرجع سابق، ص١٢٧.

(٥) في الأصل أ: [يأبى] والتصويب من ب و ج.

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ أي: مثل ذلك التزيين العظيم، وهو تزيين سَبَبٌ الله تعالى زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ من أُمَم الكُفَّار سُوءَ عَمَلِهم بالخِذْلان، والتخلية بينهم وبين أعمالهم، حتى [زُيِّنَ] [١] لهم.

وقيل: هو عام أي:زيَّنَّا لكلِّ أمَّةٍ عملَهُم، من الخير والشَّرِّ بإحداثِ ما يُمَكِّنُهُم منه، ويحملهم عليه توفيقًا وتخذيلاً، ويُقَوِّي الأوَّل: كونُ الكلام في الكُفَّار، والمُشَبَّهِ بهِ تزيينُ سببٍ الله تعالى لهم والتَّهديدُ بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ بالمُجَازاةِ والمُعَاقَبَةِ.

﴿ (١٠٩) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ [٢] مصدرٌ في موقع الحال؛ أي: جَاهِدِين في أيمانِهم جُهْدًا، وإنَّما أقسموا بالله تعالى مؤكِّدِينَ، تحكُّمًا على رسول الله عليه السلام في طَلَبِ الآياتِ واقتراحِها، وعَدَم الاعتدادِ بما رأوا منها ﴿ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ ﴾ من مُقْتَرَحَاتِهم ﴿ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ﴾ لا عندي؛ أي: هو القادرُ عليها، لا أنا حتى آتيكم بها ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ استفهامُ إنكارٍ للسبب، مُبَالغَةً في نفي المُسَبَّبِ؛ أي: لا تدرون أيُّها المؤمنون أنَّ الآيات المُقتَرَحَة إذا جاءتهم [لا يؤمنون بها] [٣] بل أنا أعلم بذلك؛ يعني: أنَّ سَبَبَ عَدَمِ إنزالِ الآياتِ التي تقترحونها، عَلِمَ الله بأنَّها إذا جاءت لا يؤمنون بها؛ وذلك أنَّ المؤمنين كانوا يَطمَعُون في إيمانهم، ويَتَمَنَّوْن مجيئها

---

(١) في الأصل: [تزين]، والتصويب من ب.

(٢) سبب نزول الآية كما روى محمد بن كعب قال: كلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش فقالوا: يا محمد تخبرنا أن موسى عليه السلام كانت معه عصا ضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، وأن عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى، وأن ثمود كانت لهم ناقة فأتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أي شئ تحبون أن آتيكم به" فقالوا: تجعل لنا الصفا ذهبا قال: "فإن فعلت تصدقوني" ، قالوا: نعم, والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو، فجاءه جبريل عليه السلام وقال: إن شئت أصبح الصفا ذهبا ولكني لم أرسل آية فلم يصدق بها إلا أنزلت العذاب وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتركهم حتى يتوب تائبهم" فأنزل الله تعالى – {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا} إلى قوله: {مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}، أسباب النزول، الواحدي، مرجع سابق، ص١٢٧.

(٣) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

ليؤمنوا [بها] (١) فأجيبوا بذلك، ودليله: قوله تعالى (كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ) (٢)، ومِـنهُم مَـن جَعَلَ "لا" مزيدةً في القراءة بالفتح، وقرئ [٣]: (لا تؤمنون) بالتاء، على أنَّ الخطاب للمـشركين، وقُرئ [٤]: (وما يشعرهم)؛ أي: وما يعلمون أنَّ قلوبَهم إذا جاءت كانت كما كانت مطبوعًا عليها، فلا يؤمنون بها. وقيل [٥]: إنَّها بمعنى لعلَّها من قول العَرَب: ائتِ السوقَ تشتري لحمًا. (٦) ويؤيِّـده قراءة أُبيٍّ رضي الله عنه: لعلَّها، وقُرئَ [٧]: " إنَّها " بالكسر على أنَّ " وما يشعركم " كلامٌ قـديمٌ؛ أي: وما يشعركم ما يكون منهم، ثم ابتدأ فأعْلَمَهُم بقوله: " إنَّها إذا جاءت لا يؤمنون البتَّة ".

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ (١١٠) عطفٌ على: " لا يؤمنون " داخِلٌ في حُكمِ الاستفهام، وكـذا: " نَذَرُهُمْ "؛ أي: وما يشعركم أنَّا نقلِّبَ أفئدتهم؛ أي: نطبَعُ على قلوبهم، ونُعمِي أبصارَهُم كما كانت، ولم يَذْكُرْ أسماعهم؛ إذ لا يناسبه التَّقليب، ولهذا أيضًا لم يقل: " قلوبَهم " بدل "أفئدتهم"، ويجوز أن يكون كما في قوله: ﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ للتعليل، وما: مصدريَّة؛ أي: يفعـل بهـم ذلـك لكونهم لم يؤمنوا به؛ أي: بما أنزل من الآيات أوَّلَ وَقْتٍ جاءهم هُدى الله تعالى، ويُنَاسِـبُ هـذا

---

(١) من بين القوسين سقط في الأصل، والتصويب من ب.

(٢) من الآية ١١٠ من سورة الأنعام وستأتي.

(٣) حمزة وابن عامر، قراءة متواترة، **القراءات المتواترة**، ٣٠٤.

(٤) لم أجد هذه القاءة في كتب القراءات وقد ذكرها الزمخشري، **الكشاف**، ٥/٢، انظر أيضًا: **روح المعاني**، ٢٤٠/٤.

(٥) حفص أبو عمرو والعراقيين وغيرهم، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧١.

(٦) موافق لما في تفسيرالكشاف للزمخشري، تخرج المفتوحة إلى معنى لعل، والشاهد المذكور لم أقف لـه علـى قائل، لكن استشهد به في المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، تحقيق: علي أبو ملحم، ص٣٩٨.

(٧) قراءة يعقوب وخلف، قراءة متواترة، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ٢٧١.

المعنى آخرُ الآية ﴿ وَنَذَرُهُمْ ﴾ [نُخلّيهم] (١) ﴿ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ متحيِّرين لا [نهديهم] (٢) هِدَاية المؤمنين.وقُرِئَ ٣: " ويُقلّبُ " "ويَذَرُهُمْ" على الغَيْبَةِ؛ [لإسناد ضمير إلى لفظ الجلالة] (٤) وقرئ ٥: " ويُقَلّبُ " على البناء للمفعول ورفع: "أفئدتُهم" و " أبصارُهم".

﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ كما قالوا: (لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) (٦) ﴿ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ كما قالوا: (فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ) (٧) ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾ كما قالوا: (أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا) (٨)، والقُبُلُ: جَمْعُ قَبِيلٍ بمعنى: كفيلٍ؛ أي: كُفَلاء بما بَشَّروا به وأنذروا. أو جمع قَبِيْلَةٍ؛ أي: جماعات، أو مصدرٌ بمعنى: مُقَابَلَةٍ وقُرِئَ ٩: "قِبَلاً" بكسر القاف وفتح الباء؛ أي: عيانًا [حالٌ] (١٠) على القرآن، على الوجوه كلها حالٌ من كل شيء لعمومه ﴿ مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ ﴾ [لا لما] (١١) سبق عليهم القــضاء

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [كُلّهم] فتكون توكيدًا، والتصويب من ب وج.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يهديهم]، والتصويب من ب وج.

٣ قراءة الأعمش، قراءة شاذة، **إتحاف فضلاء البش فر القراءات الأربعة عشر**، ٢٧١.

(٤) ما بين معكوفين سقط في الأصل، والتصويب من ب وج.

٥ البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٤٤٢/٢، لكن بالرجوع إلى كتب القراءات وجدت: "تُقَلّبُ" بالتاء لا بالياء، وهي قراءة المطوعي، قراءة شاذة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧١.

(٦) من سورة الفرقان من الآية: ٢١.

(٧) من سورة الدخان من الآية: ٣٦.

(٨) في الأصل أ ذكر الآية قبلاً بدل قبيلاً أثبت الصواب كما في المصحف الشريف، من سورة الإسراء من الآية: ٩٢.

٩ قراءة نافع وابن عامر، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧١.

(١٠) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب وج.

(١١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بما]، والتصويب من ب وج.

بالكفر؛ لأنَّ فيه تعليل الحوادث بالتقدير الأزلي، ولا يَخفى فسادُه؛ لبُطلان استعدادهم، وتَبَدُّلِ فِطرتِهم [القابلة لسوء] (١) اختيارهم ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ظرفٌ أي: إلا وقتَ أنْ يشاء الله ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ﴾ إنَّهم لو أَتَوْا بكلِّ آيةٍ، لم يؤمنوا فيُقسِمون جَهد أيمانهم [على ما لا يشعرون وكذلك أُسند الجهل إلى أكثرهم مع أنَّه يعمُّهم لأنَّ المُقسِمين بعضُهُم، أو ولكنَّ أكثرهم يجهلون] (٢) لا يؤمنون عند مجيء الآيات، فيطمعون في إيمانهم، ويتمنَّون نزولها، بيَّن أنَّ الآيات وإنْ توالت، وشموسُ البرهانِ وإن تعالت، فمن قصمته العِزَّة، ووكسته القسمة، لم يزده ذلك إلا [ضلالاً] ٣ فلم [يستجْدِ] ٤ إلا للقسوة حالاً.

﴿ (١١٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا ﴾ أي: كما جعلنا لك عدوًّا، جعلنا لكلِّ نبيٍّ سبقك عَدُوًّا، والحِكمة في ذلك الابتلاءُ والامتحانُ، ليُظهِرَ الثباتَ والصبرَ، [وكثرة الثواب] (٥) والأجر ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ ﴾ مُتَمَرِّدِي الصِّنْفَين، بدلٌ من "عدوًّا"، أو هما مفعولان [وعدوًّا مفعوله الثاني] (٦) و" لِكُلِّ " مُتَعلِّقٌ به، أو حالٌ منه ﴿ يُوحِي ﴾ يُلقِي في خُفْيَةٍ ﴿ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ شياطينُ الجنِّ إلى شياطين الإنس، أو بعضُ أَحَدِ الصِّنْفَيْن إلى بعضِ آخرَ منهُ ﴿ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ مُزَيَّنَه ومُمَوَّهَهُ بالأباطيل ﴿ غُرُورٗاۚ ﴾ حالٌ أي: غارِّيْن أو مغرورين، أو مفعولٌ له؛ [أي:] (٧) للغِرَّةِ ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ ﴾ حَذَفَ

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [القائلة بسوء]، والتصويب من ب وج.

(٢) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [اختلال]، والتصويب من ب وج.

(٤)ما بين معكوفين في الأصل أ: [يسمع]، والتصويب من ب وج.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ مكررة مرتين والتصويب من ب وج.

(٦) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب.

(٧) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب.

المفعولَ لدلالة: ﴿ مَا فَعَلُوهُ ﴾ عليه؛ أي: " لو شاء ربُّك أنْ لا يفعلوا مُعَاداةَ الأنبياء وإيحاءَ الزّخارفِ "، على أنَّ الضمير لِمَا ذُكِرَ بـ"ما فعلوه فيما فعلوه" ولكن ما شاءه لِمَا اقتضَتْهُ حِكمَتُهُ، ويجوزُ أنْ يكونَ الضميرُ للإيحاءِ، وفي الآية دَلالةٌ على [أنَّ الشرورَ صُدُورُهَا] (١) عنه تعالى بمشيئته ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ أي: إذا عَرَفْتَ أنَّ ذلك بمشيئته تعالى، ومشيئَتُهُ تابعةٌ لحِكمَتِهِ، فاتركْهم وكُفْرَهُم، وفيه تهديدٌ ووعيدٌ.

﴿ (١١٣) وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ عَطفٌ على " غرورًا " إن جُعِل علّةً أو علة لمحذوف؛ أي: "ولِتَصْغَى إليه جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدوًّا" ، واللام للتعليل أو للعاقبة على الاختلاف في جواز أنْ يكونَ فعله تعالى مُعلّلاً بالغَرَض، وليسَت لامَ الأمر، وإلا لَقِيلَ: ولتصغَ بحذف [الألف] (٢) ، ولا لام القسم؛ لأنَّ عَطْفَ قولِهِ: ﴿ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾ يأباه، وهذا يدفع كونها للأمر أيضًا، والضمير في: " إليه " و" ليرضوه " لما له ضمير فعلوه، والصَّغْوُ: الميلُ لغَرَضٍ من الأغراض. يُقال: " أصْغَيْتُ الإناء إذا أملْتَهُ لتَجْمَعَ ما فيه، وَلِيَرْضَوْهُ لأنفسهم ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ ﴾ وليكتَسِبُوا ﴿ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ من الآثام، فيتميَّز الشَّقِيُّ من السعيدِ، وترتيب هذه المفاعيل في غاية الفصاحةِ، ولأنه يكون أولا الخِداعُ فيكون الميل، فيكون الرضاء فيكون فِعْلُ الاقترافِ، فكان كُلُّ واحدٍ مُسَبَّبًا عمَّا قبله.

﴿ (١١٤) أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾ على إرادة القول؛ أي: "قُلْ لهم يا مُحمَّدُ"، والهمزة للإنكار، والفاء للعطف على ما دَلَّ عليه ما قَبلَهُ؛ أي: " أشُكُّ " لكثرة جِدال [الجاحدين](٣) المفترِينَ فغير الله تعالى أبتغي؛ أي: أطْلُبُ حَكَمًا يَحْكُمُ بيني وبينكم ويَفصِلِ المُحِقَّ [منّا] (٤) من المُبْطِلِ.

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [أنّه أكثره بصدورها]، والتصويب من ب وج.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [اللام]، والتصويب من ب وج..

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الجاهدين] وفي النسخة ب و ج: [الجاحدين] أثبتها كما في ب و ج.

(٤) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب و ج.

رُوي أن مشركي قريش قالوا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " اجْعَلْ بيننا وبينَك حَكَمًا من أحبارِ اليهود، وإن شئتَ من أساقِفَةِ النصارى ليُخبِرَنَا عنك بما في كتابهم من أمرك " فنزلت(١)

و" غيرَ " مفعولُ " أبتغي " وفي تقديمه إيماءٌ إلى وجوب تخصيصه تعالى بالابتغاء والرضاء بكونه حَكَمًا، و [حَكَمًا] (٢) حالٌ منه. ويُحتَمل عكسه، ويجوز أن يكون " حَكَمًا " تمييزًا من " غير " كقولهم:

" إنَّ لنا غيرها إبلاً "(٣) ، وهو أبلغُ من الحاكم، قيل ولذلك لا يُوصَفُ به إلا العادلُ، وفيه أنَّ المبالغة من جهة التكرار، ولا دَلالَة فيه على الوصفِ، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ﴾ الواو للحَالِ ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ أي: القرآنَ ﴿ مُفَصَّلٗاۚ ﴾ أي: مُبَيَّنًا فيه الحَقُّ والباطلُ، مُمَيِّزًا به الصادق من المفتري.

وفيه تنبيهٌ على أنَّ القرآن بإعجازه وتقريره مُغْنٍ عن سائر الآيات. ثُمَّ أَكَّدَ الدلالة على أنَّ القرآنَ حَقٌّ بعِلْمِ أهلِ الكتاب أنَّه حَقٌّ؛ لتصديقه ما عندهم وموافقَتِهِ لهم من غير قراءته – صلى الله عليه وسلم – لكتابهم بجُملةٍ استئنافيَّةٍ وهو قولُه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ ﴾ قُرِئَ [4] بالتخفيفِ، والتشديدِ ﴿ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ إنَّما وَصَفَ الكُلَّ بالعلم تنزيلاً للجاهلين منهم لتَمَكُّنِهم منه مَنزِلَة العالِمِ. وقيل [5]: المراد منه: مؤمنو أهل الكتاب.

---

(١) وذكر سبب النزول أيضًا مطابقًا كما في تفسير روح المعاني للألوسي طبعة دار إحياء التراث العربي ج: ٨ ص: ٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٥/ ٢٣٨.

(٢) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والأضافة من ب.

(٣) من الشواهد المذكورة في كتب النحو، ذكره في البحر المحيط ولم أقف له على قائل، البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ٣/ ٣١٠.

[4] ابن عامر وحفص بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، والقراءتان متواترتان، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٢.

[5] نقله الزمخشري، **روح المعاني**، ٤/٢٥٥.

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ إنَّهم يعلمون ذلك، أو أنَّه مُنَزَّلٌ من ربِّك بـالحقِّ لكثـرة جُحُـودِهِم وكُفرهِم، فهو من باب التهييج والإلهاب، أو خطابٌ لكُلِّ أحَدٍ؛ أي: لمَّا تَعاضَدَتْ الأدِلَّةُ وبَهرَتْ فلا ينبغي لأحدٍ أنْ يَرتابَ فيه، وقيل: الخطاب للرسول – صلى الله عليه وسلم – والمراد [أُمَّتُهُ] (١)

﴿ ﴿١١٥﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي: تَمَّتْ كُلُّ كَلِمَةٍ من ربِّك، ومعنى " تمَّت ": استمرَّت، لا أنه كان بها نقصٌ فكَمُلَتْ وبلَغَتْ الغاية ﴿ صِدْقًا ﴾ في الأخبار والمواعِيْدِ ﴿ وَعَدْلًا ﴾ في الأحكام والأقـضيَةِ، نَصبًا على الحال، والتمييز، أو المفعول له ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ لا أحد يَقدِرُ أن يُحرِّفَ شيئًا منها شيوعًا وذياعًا كما فُعِلَ بالتوراةِ، على أنَّ المُرادَ بها القرآنُ، فيكونُ ضمانًا من الله تعالى بحِفْظِه، أو "لا نبيَّ ولا كتاب بعده ينسخه ويبدِّلُ أحكامَه"، وقرئ ٢: كلمة " ربِّك "؛ أي: ما تكلَّـم بـه، أو القرآنُ، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لما يقولون ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بما يُضمِرُونَ فلا [يُهْمِلُهُم] (٣) وإن أمهلهم.

﴿ ﴿١١٦﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: أكثرَ النـاس ﴿ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ لأنَّ أكثـرهم يتَّبِعُونَ أهواءَهم، وقِيْلَ ٤: المرادُ بـــ"الأرض": أرضُ مكَّــة ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ أي: الآراءَ الفاسِدَةَ والأهواءَ الباطلة، وظنُّوا أنَّ آباءهم كانوا على الحقِّ وهُم يُقلِّدونهم، فإنَّ الظَّنَّ يُطلَقُ على ما يُقابِلُ العلم ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ أي: يُقدِّرُوْنَ أنَّهم على شيءٍ، أو يَكذِبونَ فـي قـولهم: أنَّ الله حرَّم كذا أو أحلَّ كذا؛ فإنَّ الخَرْصَ التقديرُ أو الكَذِبُ ﴿ ﴿١١٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [منه]، والتصويب من ب وج..

٢ قراءة أبي جعفر، قراءة التاء المربوطة هاء عند الوقف، قراءة متواترة، **القراءات المتواترة**، ١٤٣.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يمهلهم]، والتصويب من ب وج.

٤ البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٤٤٦/٢.

﴿أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ أي: أعلمُ بالفريقين، و"مَنْ" مَوْصولة، أو موصوفة، وهي في محلِّ النَّصب بفعل دلَّ عليه "أعلم" لا به لأنَّ "أفعل" لا يعمل في الظاهر في مثل هذه الصورةِ، أو في محلِّ الجـر لا بإسقاط حرف الجرِّ، وإبقاءُ عمله لدَلالةِ "بالمهتدين" عليه؛ لأنَّ مثله لا يجـوز إلا فـي ضـرورة الشِّعر، بل بإضافة " أعلم " إليه، أو استفهاميَّة في محلِّ الرفع بالابتداء، والخبر: يَضِلُّ، والجملـة معَلَّقٌ عنها الفعلُ المقدَّرُ، وعلى هذا صَرْفُهُ عن وِفاق [قِسْمَيْهِ] (١) تعجيبًا من شـأن المُـضِلِّينَ المتَّبِعينَ للظَّنِّ الكاذبين وإبعادًا لهم، وقُرئ [٢]: من يُضلُّ بضم الياء أي: يضلُّه الله تعالى؛ أي: أعْلَمُ المضِلِّين من قولهم: " من يُضلِلِ الله" أو "من أضللته" إذا وَجَدْتَهُ ضالًا، والتفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي من شأن العلم أن يتعلَّق بها، ولزومه وكونه بالذَّات لا بالغير.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴿١١٨﴾﴾ مُسَبَّبٌ عن [إنكارهم] [٣] اتِّباع المُضِلِّينَ الـذين يُحِلُّـون الحـرام ويُحَرِّمون الحلال؛ وذلك أنَّهم كانوا يقولون للمسلمين: " إنَّكم تعبدون الله فما قتل الله أحقُّ أن تـأكلوا مما قتلتم أنتم "، فقيل للمسلمين: "إنْ كنتم متحقِّقين بالإيمان فكلوا مِمَّا ذُكر اسمُ الله عليه خاصَّةً دونَ ما ذُكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو مات حَتْفَ أنفِه" [٤]. وما ذُكِرَ اسمُ الله عليه هو [المُـذكَّى] (٥) باسم الله تعالى ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ فإنَّ الإيمانَ بها يَقتضِيْ ما ذُكِرَ وقد دلَّ هذا على شـرط محذوفٍ جوابه: فكلوا.

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [قسمه]، والتصويب من ب.

[٢] قراءة الحسن، قراءة شاذة، **إتحاف فضلاء البشر في القاءات الأربعة عشر**، ٢٧٢.

[٣] ما بين معكوفين في الأصل أ:[إنكار]، والتصويب من ب.

[٤] موافق لما نقله الزمخشري، **الكشاف**، ج٦١/٢.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [المزكى]، والتصويب من ب وج.

﴿ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ لكم في أنْ لا تــأكلوا [1] وأيُّ [غرَضٍ] ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا ﴾ ﴿١١٩﴾

ويَتَحَرَّجُوا عن أكلِهِ، قيلَ: هو كلامٌ على القلب؛ إذِ المُرادُ أن تأكلوا مما لم يُذكَرْ اسمُ الله عليه فقلِب مبالغة في صَوْنِهِمْ عن ما حُرِّمَ عليهم، وأنَّهم ليسوا مما يَهُمُّوْن بذلك، فيحتاجون إلى التنبيه وأنَّهُـم لِشِدَّةِ الاحتراز عن الحرام كادوا يتركون ما أحلَّ لهم تَوَرُّعًا ولهذا رتَّب الوعيد على تَجَاوُزِ الحَـدِّ ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ وقد بيَّن لكم ما حرَّم عليكم مِمَّا لم يُحرِّم –يعني في هذه السورة–؛ لأنَّها على ما نُقِلَ مكِّيَّة، ونزلت في مرَّةٍ واحدةٍ، والتفصيلُ الواقعُ في البقرة والمائدة مُتَــأخِّرٌ فــي النُّزول؛ لأنَّهما مدنيَّتان، وقرئَ [2]: " فُصِّلَ " [على] [3] البنائين وكذا حرَّم ﴿ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ استثناءٌ متَّصِلٌ أي: ممَّا حَرَّمَ عليكم، ويجوز أن يكونَ: " ما " مصدريَّة و " ما اضــطُرِرتُم " فــي محلِّ النصب على أنَّه ظرف، والاستثناءُ مُفرَّغٌ أي: " ما حرَّم عليكم في جميع الأوقات إلا وقــت اضطراركم إليه " ؛ يعني: في حال الضَّرورةِ فإنَّه حينئذٍ حلالٌ ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ ﴾ [فيُحللونَ] ويحرِّمُونَ [4] ﴿ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [بتساهلهم] [5] من غير تمسُّكٍ بدليلٍ يُفِيْدُ العلمَ، وقُــرئَ [6]: "ليُضلون" بضمِّ الياء وفتحِها ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ المجاوزين الحقَّ إلى الباطل، والحلالَ إلى الحرام.

---

(1) ما بين معكوفين في الأصل أ: [أرض]، والتصويب من ب وج.

2 قراءة ابن كثير وأبي عمرو، قراءة متواترة، محمد حبش، **القراءات المتواترة**، ١٦٠.

(3) ما بين معكوفين في الأصل أ: [أفصل]، والتصويب من ب.

(4) ما بين معكوفين في الأصل أ: [فيحلون]، والتصويب من ب.

(5) ما بين معكوفين في الأصل أ:[بتشهيهم]، والتصويب من ب وج.

(6) قرأ بضم الياء عاصم وحمزة والكسائي وخلف، وهي قراءة متواترة، وقرأ الباقون بالفتح، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٢.

﴿ ﴿١٢٠﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ ما يُعلَنُ منه وما يُسَرُّ، وإمَّا يُعمل ويُسَرُّ، أو ما يُعمل بالجوارح وما بالقلب، وقيل [١]: الزنا في منازلهنَّ واتخاذ الأخدان؛ قال الضحَّاكُ [٢]:كان أهل الجاهليَّة يرَوْن ما كان من الزنا سرًا حلالاً فحرِّم بهذه الآية [٣] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴾ يكتسبونه. ﴿ ﴿١٢١﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [٤] [٥] ظاهره في تحريم المتروك عليه اسمُ الله تعالى عمدًا أو نسيانًا، وعليه أحمدُ [٦] ومالكُ [٧] [٨] وداودُ [٩]، خلافًا للشافعيِّ [١] [٢]؛ لقولــه:

([١]) **مفاتيح الغيب**، الرازي، ، ١٣/١٣٠، وانظر أيضًا: **تفسير الخازن**، ٢/١٥١.

([٢]) (الضحاك الفهري) * (٥ – ٦٥ هـ/ ٦٢٦ – ٦٨٤ م) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي، أبو أمية، أو أبو أنيس: سيد بني فهر، في عصره، وأحد الولاة الشجعان، شهد فتح دمشق، وسكنها، وشهد صفين مــع معاويــة، الأعلام للزركلي ٣/٢١٤.

([٣]) وروي أيضًا عن السدي وابن عباس كما ورد في كتاب التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشــور ج٧، ص:١١٩

([٤]) في الأصل أ يوجد خطأ في نص الآية بعدم ذكر لفظ الجلالة، أثبت الصواب كما في المصحف ونسخة ب.

([٥]) لم يذكر المؤلف سبب نزول الآية، وقد ذكر الواحدي فيه قولان:

١-قال المشركون يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها، قال الله قتلها، قالوا: فتــزعم أن مــا قتلــت أنــت وأصحابك حلال، وما قتل الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٢-وقال عكرمة: إن المجوس من أهل فارس لما أنزل الله تعالى تحريم الميتة كتبوا إلى مشركي قــريش، وكــانوا أولياءهم في الجاهلية، وكانت بينهم مكاتبة، أن محمدا وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله، ثم يزعمــون أن مــا ذبحوا فهو حلال، وما ذبح الله فهو حرام، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شئ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، أسباب النزول، الواحدي، مرجع سابق، ص١٢٨.

([٦]) نقله في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني عن الإمام أحمد بن حنبل، ج ٥/ ٤٥، والإمام أحمد ســبق ذكره.

([٧]) الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله (٩٣-١٧٩هـــ/ ٧١٢-٧٩٥م)، ولد في المدينة ومات فيها، وهو إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة المجتهدين وإليه ينسب المذهب المالكي، من أشهر كتبه في الحديث كتاب الموطأ، الزركلي، **الأعلام**، ٥/٢٥٧.

([٨]) نقل عن الإمام مالك بن أنس كما في حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢/ ١٠٦.

([٩]) داوُد بن علي بن خلف الأصبهاني، الملقب بالظاهري (٢٠١-٢٧٠هـــ/٨١٦-٨٨٤م)، أحد الأئمة المجتهدين، يسنب إليه الطائفة الظاهرية لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وترك التأويل والرأي والقياس، الزركلي، **الأعلام**، ٢/٣٣.

صلى الله عليه وسلم: "ذبيحةُ المسلم حلالٌ وإن لم يَذْكُر اسمَ الله عليه " [٣] ، وفرَّق أبو حنيفة بين العَمْدِ والنسيانِ وأوَّلَهُ بالمَيْتَةِ وبما ذُكِرَ اسم غير الله تعالى عليه لقوله: ﴿ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [٤]

﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ الواو للاستئناف، أو للعطف على جملة استئنافِيَّةٍ للتعليل؛ حُذِفَتْ لدلالة باقي [٥] الكلام عليها؛ أي: "إنَّهُ حَرَامٌ وإنَّهُ لَفِسْقٌ" الضميرُ لمصدر الفعل الذي دخل عليه النَّهـيُ؛ أي: وإنَّ الأكلَ منه لفسقٌ، أو للموصول إمَّا بحذف المُضَافِ؛ أي: وإنَّ أكله، وإمَّا بجعلِ "ما لم يذكر اسـم الله عليه" نَفْسُ الفِسْقِ، ويجوز أنْ يكون الضمير الثاني على تقدير التقديم لعدم ذكر اسم الله تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ ﴾ ليُوَسْوِسُوْنَ ﴿ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ من المشركين ﴿ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ بقـولهم المنقول فيما سَبَقَ، وهو يُؤَيِّدُ التأويل بـ"الميتة" ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾ في استحلال ما حَـرَّمَ ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ ؛ لأنَّ من اتَّبع غير الله تعالى في دينه فقد أشرك، جَوَابُ قَسَمٍ مُقَدَّرٍ قبلَ الشرطِ سادٌّ مسدَّ جوابه؛ أي: والله، وقيل [٦]: حَذْفُ الفاء لدخول الشَّرْطِ على الماضي، ورُدَّ: بأنَّه يقع ضرورةً فـلا يكون في القرآن.

---

(١) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله، (١٥٠-٢٠٤هـ/٧٦٧-٨٢٠م)، أحد الأئمة الأربعة المجتهدين، وإليه ينسب المذهب الشافعي، ولد في غزة وحمل منها إلى مكة وعمره سنتان، اشتهر بالعلم واللغة والشعر وأيام العرب، له تصانيف كثيرة منها كتاب الأم، الزركلي، الأعلام، ٢٦/٦، وتذكرة الحفاظ ٣٦١/١، وطبقات الشافعية الكبرى ١٩٢/١.

(٢) كما في الإقناع شرح الخطيب الشربيني ٢/ ٢٥٤.

(٣) الحديث الذي وجدته مطابقًا للحديث المذكور مع اختلاف بسيط ورواه البيهقي في السنن الصغرى عن يزيد عن الصلت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذبيحة المسلم حلال ذكر الله أو لم يذكر ، إنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم الله » ٢٤٤/٨.

(٤) من سورة الأنعام من الآية: ١٤٥.

(٥) في الأصل أ: "باق"، والتصويب من ب و ج.

٦ البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٤٤٨/٢، انظر أيضًا: **روح المعاني**، ٢٦٢/٤.

﴿ (١٢٢) أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ الهمزة للإنكار، والواو للعطف على مُقدَّرٍ دلَّ عليه ما قبلَهُ؛ أي: هل يكون المهتدي كالضَّالِّ ومن كان ميتًا فأحيينناه وقرئ[1]: ميتًا على الأصـل ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ ﴾ إنَّما زاد ﴿ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ تقويةً للنُّور [فإنَّ] (٢) المشي بينهم يَعْجَزُ عنه ما في نُـور بَصَرِهِ ضَعْفٌ ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ ﴾ صفته، وهو مبتدأ خبره: ﴿ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ على سبيل الحكاية؛ يعني: أنَّه إذا وُصِفَ يُقالُ له ذلك، والجُملةُ [صِفةُ] (٣) "من"؛ أي: كـ"مَن صِفَتُهُ هـذه" ، وقولـهُ: ﴿ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ حالٌ من المستكن في الظرف، والعامل مَعنَىْ الاستقرار لا مِنَ البـارز فـي مثلـه للفَصْلِ، وهو مَثَلٌ لمن بَقِيَ في الضلالة لا يُفَارِقُها بحالٍ، وما سبق مَثَلٌ لمن هداه الله تعالى وأنقذه من الضلال وجعل له نور البصيرة يُمَيِّزُ به بين الحقِّ والباطل بالتَّأمُّلِ في الآيات والبيِّنات، وكِلاهُمَا من قَبيلِ الاستعارة التمثيليَّة؛ إذْ لا ذِكرَ للمُشبَّهِ صريحًا ولا دَلالَةَ بحيثُ ينافي الاستعارةَ، وهذا كما تقول في الاستعارة الإفرادية: أيكون الأسد كالثعلب؟ ؛ أي: الشُّجَاعُ كالمُحْتَالِ ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: [مثلَ ذلك التزيين والإشارة إلى ما في قوله: زيَّنَّا لكـلِّ أمَّـةٍ عَمَلَهُـم، أو قولـه وإنَّ](٤)

---

[1] ميتًا بإسكان الياء قراءة الجمهور المتواترة، وقرأ ميِّتًا بتشديد الياء نافع وأبو جعفر ويعقوب، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٣.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بأن]، والتصويب من ب و ج.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: والتصويب من ب و ج.

(٤) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب و ج.

الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ﴿ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ والآية نزلت في حمزة[١] رضي الله عنه وأبي جَهْلٍ[٢].

وقيل: في عُمَرَ[٣]، أو عمَّارٍ[٤] رضي الله عنه وأبي جهلٍ[٥] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ ﴿١٢٣﴾ أي: كما جعلنا في مكّة أكابرَ مجرميها ليمكروا فيها ﴿ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ﴾ جعلنا بمعنى: صَيَّرْنَا، ومفعولها الأوَّل: أكابرَ مجرميها، وفي كل قريةٍ: مفعولُها الثاني. ويجوز أن يكون في كل قرية ظرف لغوٍ والمفعول الثاني لـ"يمكروا" على [٥٥/أ] أنَّ الجَعْلَ بمعنى التمكين، و"أكابرَ" على هذين الوجهين مُضَافٌ إلى "مجرميها"، وأجاز أبو

---

(١) هو حمزة بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أسد الله، عم رسول الله وأخوه من الرضاعة، أسلم في السنة الثانية من البعثة، شهد بدرا وعقد له فيها أول لواء في الإسلام، استشهد في أحد، انظر الإصابة١/٣٥٣، صفة الصفة ١/١٩٥، الاستيعاب ١/٤٢٥.

(٢) عمر بن هشام، أبو الحكم، من بني مخزوم، كان من أشد الناس عداوة وإيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه، قُتل يوم بدر على يد مِعْوذ بن عفراء الأنصاري وأجهز عليه ابن مسعود. انظر السيرة النبلاء لابن هشام ٢/

(٣)هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي، ثاني الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، وأحد السابقين الأولين وأعز الله به الدين، توفي سنة ٢٣هـ، انظر الاتيعاب ٣/١١٤٤، والإصابة ٤/٢٧٩.

(٤) عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني، أبو اليقظان، (٥٧ق.هـ-٣٧هـ/٥٦٧-٦٥٧م)، الصحابي الجليل أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به، لقبه النبي صلى الله عليه وسلم ب" الطيب المطيب"، أول من بنى مسجدًا في الإسلام، شهد بدرًا وأحدًا، الاستيعاب، ٤٦٩/٢، الأعلام، ٣٦/٥، حلية الأولياء، ١٣٩/١.

(٥) ورد في سبب نزولها قولان:

١-قال ابن عباس: يريد حمزة بن عبد المطلب وأبا جهل، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرث وحمزة لم يؤمن بعد، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع إليه ويقول: يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا؟ قال حمزة: ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله، أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٢-عن ميسر بن عقيل عن زيد بن أسلم في قوله عز وجل - {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} - - قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه، {كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} - قال: أبو جهل بن هشام، أسباب النزول، الواحدي، مرجع سابق، ص١٢٨.

البقاء [١] أنْ يكونَ "مجرميها" بدلاً من "أكابر". وأجاز ابن عطية [٢] : أن يكون "مجرميها" المفعولُ [الأوّل] [٣] و"أكابر" المفعول الثاني. والجَعْلُ بمعنى: التَّصييْر، أو بمعنى التمكين؛ على أنْ يكونَ الكلامُ من قَبِيْل: " أعْصِرُ خَمْرًا " ، ويرُدُّهُمَا: أنَّ أفْعَلَ التفضيل إذا كان بـــ "من" ملفوظًا بهـــا أو مقدرًا أو مضافًا إلى نَكِرَةٍ كان مفردًا مذكَّرًا دائمًا، سواءً كان بمُذكَّرٍ أو مؤنَّثٍ مفردٍ أو مُثَنَّـــىً أو مجموعٍ، فإذا أُنِّثَ أو ثُنِّيَ أو جُمِعَ طابق ما هُوَ لهُ في ذلك، ولزمه أحد الأمرين: إمَّا الألِفُ واللامُ، أو الإضافة إلى مَعرفَةٍ، وعلى الوجهين المذكورين يَلزَمُ أنْ يبقى "أكابر" مجموعًا وليس فيه الألف واللام، ولا هُوَ مُضَافٌ إلى معرفَةٍ، واللازم باطلٌ، وتَخصِيصُ "الأكابر" لأنَّهم أقوى على استتباع الناس في المَكْر بهم. وقُرِئَ [٤]: " أكبَرُ مجرميها " ، وعلى هذه القراءة يُمكِــنُ تمـــشيةُ الـــوجهين المردودين على القراءة السابقة ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ لأنَّ وَبَالَهُ [يَحِيْقُ] [٥] بهـــم ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ذلك ﴿ ﴿١٢٤﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ ﴾ أي: [بتلك] [٦] الآية ﴿ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾ لم يقولوا: مثل ما أُوتِيَ محمَّدٌ؛ لأنَّهم كانوا في مقام الإنكار لذلك. وفيما رُوِيَ [٧]: أنَّ أبا جهلٍ قال: " زاحمنا بني عَبْدِ مَنَافٍ حتى إذا صرنا كفَرَسَيْ رِهَانٍ قالوا: مِنَّا نبيٌّ يُوْحَى إليه، والله لا نرضى به، ولا نَتَّبِعُهُ إلا أنْ يأتِيَنا وحيٌ كما يأتيه " فَنَزَلَتْ، قوله: " كما يأتيه " لا يُنَاسِبُ النُّكتَةَ المذكورةَ، وعلى صِحَّةِ ما روى الجَمْعُ في "قالوا" ؛ لأنَّ من تبعه مِنْ قُرَيْشٍ رَضُوا بقوله فنُزِّلـــوا

([١]) عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي، أبو البقاء، (٥٣٨-٦١٦هـ/١١٤٣-١٢١٩م) عالم وأديـــب ولغوي وفرائضي، صاحب كتاب التبيان في إعراب القرآن، ولد وتوفي ببغداد، الزركلي، الأعلام، ٨٠/٤.

([٢]) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي، (٤٨١-٥٤٢هـ/١٠٨٨-١١٤٨م)، مفـــسر فقيه، من كتبه المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الزركلي، الأعلام، ٢٨٢/٣.

([٣]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب و ج.

([٤]) لم أجده في كتب القراءات، وقد ذكره الزمخشري في **الكشاف**، ٦٣/٢، انظر أيضًا: **تفسير البحر المحيط**، ١٧٢/٤.

([٥]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يحينق]، والتصويب من ب.

([٦]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [تلك]، والتصويب من ب.

([٧]) البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٤٠/٢، انظر أيضًا: **روح المعاني**، ٢٥٦/٤، **الكشاف**، ٦٣/٢.

منزلة القائلين: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ استئنافٌ للردِّ عليهم بأنَّ النُّبُوَّةَ ليست بكبر [السِّنِّ] (١) ولا بالمال والجَاهِ، إنَّما هي بخصائص يخصُّ الله تعالى بها من يشاء من عباده، ويصطفِي بها من يَعْلَمُ أنَّه يَصلُحُ لها، وهو يعلم بالمحل الذي يَضَعُها فيه، فنَاصِبُ "حيثُ يعلمُ" محذوفًا مدلولاً عليه بـ"أعلم" لا به؛ لأنَّ أفعل التفضيل لا يعمل في المفعول به، و"حيثُ" ههنا مفعولٌ به لِمَا عرَفْتَ أنَّ المعنى أنَّه تعالى يعلم نَفْسَ المَحَلِّ المُسْتَحِقِّ لِوَضعِ الرسالةِ [فيه لا شيئًا (٢) في المحلِّ، وقُرِئَ ٣: رسالته ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ ﴾ من أكابرها ﴿ صَغَارٌ ﴾ هَوَانٌ وحَقَارةٌ بَعْدَ كِبْرِهم وعظمتهم مَكَانَ ما [يفترون] (٤) من عِزِّ النُّبُوَّةِ وخِتْمَةِ الرسالة، وفيه دَلالةٌ على أنَّ المجرم يستحقُّ الذُّلَّ والهوان، وأنَّ الرُّسُلَ إنَّما [فازوا بتلك] (٥) العزة لِعِصْمَتِهم عن الجرائم ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يوم القيامة، وقيل تقديره: "مِن عند الله" ، ويأباه الفصل به بين الصَّغَار والعَذَابِ؛ لأنَّ كليهما من عند الله تعالى، ويُمْكِنُ أن يُقَالَ: إنَّه من قَبِيلِ الفَصْلِ بين المعطوفين بما له تَعَلُّقٌ بهما، ويأتي نظيرُهُ في هذه السورة ﴿ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ شديدٌ في الدارين من القَتْلِ، والأَسْرِ، وعذابِ النار ﴿ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴾ بسبب مَكْرِهِم، أو جَزَاءً عليه.

﴿ ١٢٥ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ ﴾ يُوَفِّقْهُ للإيمان، ويُعَرِّفْه طريقَ الحقِّ ﴿ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ ﴾ شَرْحُ الصدور وتَوْسيعتهُ كنايةٌ عن تَنْوير الباطن، وتَصفِيَةُ الاستعداد عمَّا ينافي قَبُولَ الحقِّ من ظُلُمَاتِ الشُّكُوكِ والشُّبَهِ، فيُصَدِّقُ الرَّغْبَةَ في الإيمان ﴿ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ ﴾ أي: يخذُلُهُ ولا يُوَفِّقْهُ ﴿ يَجۡعَلۡ

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [النفس]، والتصويب من ب.

(٢) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

٣ قراءة حفص وابن كثير، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٣.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يقترفون]، والتصويب من ب.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [جازوا لتلك]، والتصويب من ب و ج.

﴿ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا ﴾ قُرِئَ: بالتَّخفيفِ والتَّشديد، "ضَيِّقُ الصَّدر": كناية عمَّن يُكَدِّر الباطنَ ويُزيل الاستعدادَ ويُميِّلُ النفس إلى الشهوات، [فيتبرأُ] [١] عن الحقِّ فَيَنْقَبِضُ عنه، فلا يقبله ﴿ حَرَجًا ﴾ شديد الضِّيق، وقرئ [٢] بفتح الراء [وصفًا] [٣] بالمصدر ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ مثَّلَ لمن يُزَاوِل أمرًا ممتنعًا لا يَسَعُهُ قُدْرَتُهُ؛ لأنَّ صعود الإنسان إلى السماء أمرٌ خارجٌ عن طَوْقِهِ العادِيِّ، وقِيلَ [٤]: لمن يَنْبُو عن الشيء ويتباعد مبالِغًا في الهرب عن هو التَّجافِي. وأصْلُ "يصَّعد": يَتَصَعَّدُ، وقد قُرِئَ به [٥]، وقُرِئَ [٦]: "يَصْعَدُ" من صَعِدَ ويَصْعَدُ من أصْعَدَ، ويَصَّاعَدُ بمعنى: يَتَصَاعَدُ. ومعنى: "في السماء" في مدارج السماء، وهذا أبْلَغُ من: " إلى السماء " ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثل ذلك التَّضْيِيْق ﴿ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ ﴾ العذابَ أو الخِذْلانَ، أو الفِعْلَ المُؤَدِّيْ إلى العذاب ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ وضع الظاهر موضع الضمير للتعليل.

﴿ وَهَٰذَا ﴾ (١٢٦) أي: الإسلام، أو ما ذُكِر من التوفيق والخِذلان، ﴿ صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ ﴾ طريقه الذي ارتضاه، أو طريقُهُ الذي اقتضته حكمَتُهُ مُسْتَقِيمًا لا عِوَجَ فيه، ولا مَيْلَ إلى شيءٍ من الجوانب، أو عادلاً مُطَّرِدًا، وهو حالٌ مؤكِّدَةٌ؛ لأنَّ صراطه تعالى لا يكون إلا مستقيمًا، والفاعل

([١]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [فيبينوا]، والتصويب من ب و ج.

[٢] قراءة حفص وحمزة ويعقوب وابن كثير وغيرهم، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٣.

([٣]) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب و ج.

[٤] قائله البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٥٠/٢، انظر أيضًا: **روح المعاني**، ٤٢٦٦.

[٥] قراءة المطوعي، قراءة شاذة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ٢٧٣.**

[٦] قراءة ابن كثير ووافقه ابن محيصن، قراءة مشهورة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ٢٧٣.**

فيها مَعنى الإشارةِ ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ فيعْلَمُونَ أنَّه القادر على ما يشاء، وأنَّ الخير والشَّرَّ بقضائه وقدره، وأنَّه عالِمٌ بأحوالِ العباد، عادِلٌ فيما يفعَلُ بهم.

﴿ (١٢٧) ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ إضافةُ الدار إنْ كان إلى السَّلام الذي هو: اسمٌ من أسماء الله تعالى، فتعظيمٌ ورفعٌ من شأنها، وإشارةٌ إلى أنَّها دارٌ لا نقصَ فيها، ولا آفةَ، ولا عيبَ، وإلا فبمعنى السَّلامةِ من المكاره، أو دارٌ تحيَّتُهم فيها: سلامٌ ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ في نُزُلِه وضيافته، كما تقول: " نحن اليوم عند فلان " ؛ أي: في كرامته وضيافته، ويُحتمل [أن][1] يكون قوله: عند الله فيما سبق من قوله تعالى: (صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ) بهذا المعنى على التَّهكُّم، وقيل في ضمانه كقولك: " له عندي حقٌّ "، ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾ محبُّهم، أو ناصِرُهُم على أعدائهم ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ بسبب أعمالهم، أو متولِّيهم بجزائها.

﴿ (١٢٨) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ منصوبٌ بإضمار نقول، أو قائلين ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ ﴾ وهذا أولى من إضمار " اذكر " مفعولاً به؛ لخروجه عن الظرفيَّة والحاجةِ إلى تقدير القَولِ في رَبْطِ ما بعده، والضمير لمن يُحْشَرُ من الثَّقلين، وقُرِئَ[2]: " يحشر " بالياء، والمُرَادُ: من الجن والشياطين ﴿ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ من إغوائهم، أو منهم؛ بأن جعلتموهم أتباعكم فحُشِرُوا معكم، يُقَالُ: استكثر الأمير من الجنود ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ الذين أطاعوهم ﴿ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ استمتع الإنس بالجن؛ لدَلَالَتِهم على شهواتهم، وما يُتَوَصَّلُ به إليها من الحِيَلِ، واستمتع الجِنُّ بالإنس

---

[1] ما بين معكوفين في الأصل أ: [أن أن]، والتصويب من ب.

[2] قراءة يعقوب، قراءة متواترة، **القراءات المتواترة**، ٢٠٩.

لطاعتهم ومساعدتهم على مُرَادِهِمْ وما يشتهون من إغوائهم، وقيل[1]: استمتاع الإنس بهم ما في قوله تعالى: (وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ) (٢) ، واستمتاع الجنِّ بهم: اعترافُهم للجن بأنَّهم يقدرون على الدفع عنهم، وإجارتهم لهم ﴿ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ أي: البعث وهو اعترافٌ منهم بطاعة الشياطين في الدنيا والتكذيب [بالبعث](٣) ويُحْشَرُ على حالهم ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ ﴾ منزلكم، أو ذات مثواكم ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ حالٌ عامِلُها: " مثواكم " إن جُعِلَ مصدرًا، ومعنى الإضافة إن جُعِلَ مكانًا ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ من عُصَاةِ المؤمنين [واستعمال] (٤) " ما " في ذوي العقول شائع، كما في قوله تعالى: (إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ) (٥) ، وفي قوله تعالى: (فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم) (٦)، أو من الأوقات [التي] (٧) يخرجون فيها من النار؛ وهو: ما ذُكر في تفسير قوله تعالى: (ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) (٨) ؛ من أنَّه يَفْتَحُ لهم وهم في النار بابًا إلى الجَنَّةِ فيُسرعُون نَحوَهُ، فإذا صاروا إليه سدَّ عليهم البابَ، وذلك قوله تعالى: (فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) (٩)، وقيل [1]: من

---

[1] قائله البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٤٥٢/٢، انظر أيضًا: **تفسير أبي السعود**، ٤٣١/٢.

(٢) من سورة الجن من الآية: ٦.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [والبعث]، والتصويب من ب و ج.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [واشتمال]، والتصويب من ب و ج.

(٥) من سورة يوسف من الآية: ٥٣.

(٦) من سورة النساء من الآية: ٣.

(٧) ما بين معكوفين في الأصل أ : [الذي]، والتصويب من ب و ج.و ج.

(٨) من سورة البقرة من الآية: ١٥.

(٩) من سورة المطففين الآية: ٣٤.

الأوقات التي يُنقلُون فيها من النار إلى الزمهرير، وفيه من الحاجة إلى صرف النار عن معناهــا العِلمِيِّ إلى معناها اللُّغَوِيِّ،

وقيل [2]: إلا ما شاء [قبل] (٣) الدخول ولا وجه له؛ لأنَّ حُكْمَ [الخلود] (٤) والأبَدِ بعد الدخول، ومن جِهَةِ المُنْتَهَى لا من جهة المَبْدَأ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ ﴾ في أفعاله وأقواله ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأفعــال عبــاده وأحوالهم.

﴿ ﴿١٢٩﴾ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثلَ ما فعلنا من تَمكِينِ الجنِّ من إغواء الإنــس ﴿ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا ﴾ أي: نجعل بعض الظالمين وليًا على بعضٍ، يُسَخِّرونهم ويَعِدونهم، أو نَجْعَلُ بعضَهم يتولّى بعضًا [يغويهم] (٥)، أو جعل بعضهم أولياء بعضٍ [و] (٦) قُرَنَاءَهم يوم القيامة كما كانوا في الدنيا ﴿ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي.

﴿ ﴿١٣٠﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ قدَّم الجنَّ لأنَّ الخطاب للتوبيخ ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ من جملتكم، وهم رُسُلُ الإنْس، عن الكلبي (٧) : " كانت الرسل قبل نبينا – صلى الله عليه وسلم – يُبعثون إلى الإنس وهو – صلى الله عليه وسلم – بُعث إلى الثقلين "(١)

---

[1] قائله البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٢/٤٥٢، وانظر أيضًا: **حاشية الشهاب على البيضاوي**، ٤/١٢٤.

[2] قائله البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٢/٤٥٢، وانظر أيضًا: **روح المعاني**، الألوسي، ٤/٢٧١.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [وقبل]، والتصويب من ب.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [والحلول]، والتصويب من ب.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [نبوتهم]، والتصويب من ب.

(٦) الواو سقطت من الأصل أ، والإضافة من ب.

(٧)هو العلامة الإخباري أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي المفسر، وكان رأسا في الأنساب، تــوفي ســنة ١٤٦هــ، انظر سير أعلام النبلاء ٦/٢٤٨، وتهذيب التهذيب ٩/١٧٨، وطبقات المفسرين للداودي ٢/١٤٤.

وقيل [٢]: من الجنِّ أيضًا رسولٌ، ولا دِلالة في الآية على ذلك؛ إذْ لم يَقُلْ: "رُسُلٌ [منكما] [٣]" حتى يُحتاجَ على القول الأوَّل إلى التأويل بمثل ما ذكَرَ في قوله: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) [٤]، ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ ﴾ يعني: يومَ القيامة ﴿ قَالُواْ ﴾ جوابًا: ﴿ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ ﴾ بالجُرْم والعصيان؛ [إذ] [٥] أدَّوا شهادتهم عند وفاتهم، على ما نطق به قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ) [٦]، وكذلك: (قَالُواْ شَهِدْنَا) [٧] بلفظ الماضي ﴿ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ ذمٌّ لهم، وتَخْطِئةٌ لرأيهم، وتحذيرٌ لمن سَمِعَ [للاتِّعاظ] [٨] بهم.

﴿ (١٣١) ذَٰلِكَ ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّم من إرسال الرُّسُل وإنذارهم، وهو خَبَرُ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: الأمر ذلك ﴿ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ تعليلٌ، و"أن": هي الناصبة للأفعال؛ أي: لئلا

---

(١) ذكر الألوسي عن الكلبي ما يتوافق مع ما ذكره ابن كمال باشا في النسخة الأصل أ، مع اختلاف في بعض العبارات وأذكر ما نقله: " الذي نص عليه الكلبي الثاني قال: كان الرسل يرسلون إلى الأنس حتى بعث محمد صلى الله عليه و سلم إلى الانس والجن " ، روح المعاني، الألوسي، مرجع سابق، ٢٨/٨.

٢ قال مقاتل والضحاك: "أرسل الله رسلاً من الجن كما أرسل من الإنس"، **تفسير القرطبي**، ٨٦/٧. وانظر أيضًا: **مفاتيح الغيب**، ١٥١/١٣.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [منكم]، والتصويب من ب.

(٤) من سورة الرحمن الآية: ٢٢.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [أو]، والتصويب من ب.

(٦) من سورة الأعراف من الآية: ٣٧.

(٧) من سورة الأنعام من الآية: ١٣٠.

(٨) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بالاتعاظ]، والتصويب من ب.

يكون، أو المُخَفَّفَةُ من الثقيلة؛ أي: لأنَّ الشأنَ والحديثَ لم يكن ربك مُهلِكَ القُرى، ويجوز أنْ يكونَ بدلاً من ذلك؛ كقوله: (وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ) [١] ، و" أن يكون " : خبـرًا لذلك؛ أي: إرسال الرسل والإنذار [لانتفاء][٢] كَوْنِ ربِّكَ مُهلِكًا بظُلمٍ، والباء للسَّببيَّة؛ أي: بـسبب ظُلمٍ، أو بظلمٍ: حالٌ أي: ملتبسين بظلم؛ يعني [أنه][٣] : لو أهلكَهُم وهم غافلون لم يُنبَّهوا برسول ولا كتاب لكان ظلمًا، وهو تعالى مُنزَّهٌ عن الظُّلم.

﴿ وَلِكُلٍّ ﴾ (١٣٢) أي: ولِكلِّ عاملٍ بطاعةٍ، أو معصية ﴿ دَرَجَٰتٌ ﴾ أي: مراتب في الجزاء ﴿ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾ [٤] ؛ من أجل أعمالهم بحَسَبِها، فالمُحْسِنُ في رَوْحِ الثواب متنعِّمٌ، والمسيء فـي نَـوْحِ العِقابِ مُتألِّمٌ ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [٥] قرئ [٦] بياء الغائبة رَدًّا على الآية التي قبلها، و[٧] بتاء المخاطبة ردًّا على قوله: (يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ) [٨] ؛ والمعنى: وما ربـك بغافـل عمـا [يعملون] [٩] من المعاصي، ولكنْ يُؤخِّرُ تعذيبَهم رحمةً منه كما قال: (وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا

([١]) من سورة الحجر من الآية: ٦٦.

([٢]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [لا ينفك]، والتصويب من ب.

([٣]) ما بين معكوفين في الأصل أ : [أنهم]، والتصويب من ب و ج.

([٤]) في الأصل أ: خطأ في نقل الآية الكريمة حيث ذكر (مما يعملوا)، والصواب كما في المصحف والنسخة ب و ج.

([٥]) في الأصل أ: (تـعملون)، والتصويب من ب و ج.

([٦]) قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءت الأربعة عشر**، ٢٧٣.

([٧]) قراءة ابن عامر وافقه الحسن، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٣.

([٨]) من سورة الأنعام من الآية: ١٣٠.

([٩]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [تعملون]، والتصويب من ب و ج.

يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ ....) الآية [١] ، وأنَّه تعالى على علمٍ بأعمالهم خَلَقَهُمْ لا عن جهلٍ لِما أنَّ ضرر أعمالهم يَرجِعُ إليهم لا إليه، تعليق أبي يوسفَ [٢] ومحمدٍ [٣] بظاهره في أنَّ الجنَّ لهم ثوابٌ، وأبو حنيفة [٤] ذهب إلى التَّخصيص، والقراءة بتاء المخاطبة تَشْهَدُ لهما.

﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ﴾ (١٣٣) فلا ينتَفِعُ بالطاعة، ولا يتضرَّرُ بالمعصية، فليس التكليف لمصلحةِ نفسِهِ بل لتكميلهم وتبليغهم إلى الدرجات والكمالات ﴿ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ ﴾ فلا يُعاجِل بالعقوبة بل يُمهلهم عسى أنْ يتداركوا ما فاتهم، أخبرَنا بالأوَّل عن جلاله، وبالثاني عن أفضاله، فَهُمْ في سماع هذه الآية بين احتياج وارتياج، وهذه الجملة [تكملةٌ] [٥] لما قبله من أنَّ إرسالَ الرُّسُل للرحمة عليهم، لا لانتفاعه بطاعتهم، وتأسيسٌ لما بعدَهُ من قوله: ﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ ﴾ أيُّها العصاة؛ أي: لِغِنَاهُ عنكم ﴿ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾ من الخلق [المطيع] [٦] لكنَّه أبقاكم ترحُّمًا عليكم ﴿

---

(١) من سورة إبراهيم من الآية: ٤٢.

(٢) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد الأنصاري الكوفي قاضي القضاة، وهو أول من دعي بذلك. تفقه على الإمام أبي حنيفة، كان أوسع العلم جوادا سخيا، حافظا. روي أنه قال عند وفاته: كل ما تفتيت به فقد رجعت عنه إلا ما وافق الكتاب والسنة. وكان يقول: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك. توفي سنة ٨٢هـ، انظر سير الأعلام ٨/٤٧٠، تذكرة الحفاظ ا/٢٩٢

(٣) محمد بن الحسن أبو علد لله الشيباني صاحب أبي حنيفة، وإمام أهل الري، أصله دمشقي من أهل قرية تسمى حرستا، نشأ بالكوفة، كان فصيحا بليغا، تفقه بأبي حنيفة ثم بأبي يوسف، كان ذكيًّا عالما بكتاب الله تعالى، عمل في القضاء، توفي سنة ١٨٩هـ، انظر سير الأعلام ٩/١٣٤، تاريخ بغداد ٢/١٧٢

(٤)هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت، الفقيه المجتهد، المحقق، أحد الأئمة الأربعة، كان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء، له المسند في الحديث والفقع الأكبر، توفي سنة ١٥٠هـ، انظر تاريخ بغداد ١٣/٣٢٣، والنجوم الزاهرة ٢/١٢، والأعلام ٨/٣٦

(٥) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، وأثبته كما في ب و ج.

(٦) ما بين معكوفين في الأصل أ: " والمطمع " ، كما ب و ج.

﴿ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ أي: من نسل قومٍ كانوا قبلكم، وقيل "مِن" للبَدَلِ؛ كما يُقال: " أعطيتك من دينار ثوبًا " أي أنشأكم بدلاً منه.

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ ﴾ (١٣٤) من البعث وأحواله ﴿ لَأٰتٍ ﴾ أي: لكائن لا محالة ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ بفائتين طالِبَكم به؛ أي: يدرككم حيث كنتم، يُقال: " قصدت فلانًا فأعجزني " أي: سبقني ففاتني.

﴿ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ ﴾ (١٣٥) المَكَانَةُ: مصدر مَكُنَ مَكَانَه إذا تَمَكَّن أبلغَ التمكُّن، وقد يكون بمعنى المكان؛ يُقَال: مكان ومكانة، كما يُقال: مَقَام ومَقَامة؛ أي: على غاية تمكُّنِكُم [و] (١) أقصى استطاعتكم، أو على مقامكم وحالتكم التي أنتم عليها من كفركم وعدوانكم، كما يُقال للرجل: " اثْبُتْ على [مكانتك] (٢) أي: اثبت على ما أنت عليه من حالٍ ولا تَنْحَرف عنه، وقُرِئَ: " مكاناتكم " على الجمع ﴿ إِنِّي عَامِلٌ ﴾ فاعل على قُدْرَتِي واستطاعتي، أو على مقامي وحالي في الإسلام والمصابرة معكم، فحُذِفَ للاختصار، والمبالغة في الوعيد، وللإشعار بأنَّ حالَه لا يَقِفُ؛ فإنَّه تعالى يَزِيْدُ على مرِّ الأيام قُوَّةً ونُصْرَةً. ومعنى الآية على الأوَّل: إظهار التَّجَلُّدِ للعَدُوِّ وعدم المبالاة به غاية الوُثُوق بحفظ الله تعالى والاعتماد على نُصْرَتِهِ؛ أي: لا تتَّبِعُوا وأنْفِذُوا وُسْعَكُم في عداوتي فإنِّي فاعلٌ بكم ما أقدر عليه، وهذا غايَةٌ في التهديد وتعجيز الخَصْم، وعلى الثاني التخلية والتسجيل على المأمور بأنَّه لا يأتي منه إلا الشرُّ؛ فكأنَّه مأمورٌ به واجبٌ عليه ذلك لا يَسَعُهُ

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [أو]، والتصويب من ب.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [مكانك]، والتصويب من ب.

خِلافُه، والإعراض عنه بالكُلّيّة [للإشعار] (١) بأنَّه لا مطمع في خيره كقوله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾(٢).

﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ ﴾ مَنْ: إمَّا استفهاميَّةٌ عُلّقَ عنها الفعلُ ومحلُّها الرفعُ على الابتداء، ما بعده خبرٌ أي: [فسوف تعلمون] (٣) أيُّنا تكون له العاقِبَةُ الحميدة التي لها هذه الدَّارُ، وإمَّا مَوصُولَةٌ محلُّها النَّصْبُ على المفعوليَّةِ؛ أي: فسوف تعرفون الذي [تكون] (٤) له العاقبة، وَعِيدٌ وإنذارٌ لطيفُ المَسْلكِ مَعَ مراعاة حُسْنِ الأدَبِ والإنصاف للخصم في القَوْلِ عند الوثوق [يسُوْءِ] (٥) عاقبته، وحسن عاقبته المُوْعِدِ، وكذا قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ إشعارٌ بظلم المخاطَبين، وأنَّ ظُلْمَهُمْ سَبَبُ امتناع فلاحهم مَعَ حُسْنِ العبارة وإرْخَاءِ العَنَانِ والمُسَامَحَةِ، والإيْهَامُ بأنِّي إنْ كنت أنا الظالِمَ فلا فلاحَ لي، وبهذا ذَكَرَ الظُّلْمَ دونَ الكُفْرِ، ثم بيّن ظلمهم وكفرهم بالآية بعدها.

﴿ (١٣٦) وَجَعَلُواْ ﴾ أي: مُشْرِكو العرب ﴿ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ ﴾ خَلَقَ، فيه إيماءٌ إلى أنَّهم يُرجِّحُون ما لم يَخْلُقْ شيئًا ولم يقدر على شيءٍ من خَلَقَ أشياء، فيُؤثِرُونَهُ عليه بما خلقها وزكّاها [جهالة] (٦) وكان العكس أولى ولهذا قال: ﴿ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾.

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [والإشعار]، والتصويب من ب.

(٢) من سورة فصلت من الآية:٤٠.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [فستعلمون]، والتصويب من ب.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يكون]، والتصويب من ب.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [لبلو]، والتصويب من ب.

(٦) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والتصويب من ب.

﴿ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ لم يَذْكُرْ هنا نَصيْبَ الشُّرَكَاءِ إيجازًا واكتفاءً بذِكْرِهِ في التفصيل الآتي، وإيماءً إلى جهالتهم بأنَّهم جَعَلوا لِمَنْ له الكُلُّ نصيبًا ممَّا خَلَقَه، وأنَّ التَّسْوية شيءٌ لا يَلِيْقُ بالأدب التَّلَفُّظُ به مراعاةً للحِشْمَةِ.

﴿ فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ﴾ وقرئ [1] بضَمِّ الزَاي وهي لغةٌ فيه، وهو الظَّنُّ الخَطأ، وقد جاء فيه الكَسْرُ أيضًا، كـ"الودّ" ، وفيه تنبيةٌ على أنَّ ذلك من جهالاتهم وشَرْعِهِم ما لم يأذن به الله تعالى.

﴿ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ ﴾ كانوا [يُعَيِّنون] (٢) من حرثهم ونِتَاجِهم نصيبًا لله تعالى، ونصيبًا لآلهتهم، فإذا أرادوا ما يُعَيِّنوه لله تعالى أزكى رجعوا وجعلوه لآلهتهم، وإن رأوا ما عيَّنوه لآلهتهم أزكى تركوه لها؛ معلّلين بأنَّ الله تعالى غَنيٌّ، وإنَّما فعلوا ذلك حبًّا لآلهتهم وإيثارًا لهم ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ "ما": مَصدَرِيَّةٌ، و"ساء": مُتَعَدِّيَةٌ صُرِف مفعولها لدلالة المعنى؛ تقديره: ساءهم حكمهم؛ أي: جَلَبَ لهم السُّوء

﴿ ﴿١٣٧﴾ وَكَذَٰلِكَ ﴾ [و] (٣) مثلَ ذلك التزيين والإشارة إلى مضمون قوله: (وَجَعَلُواْ لِلَّهِ...) الآية (٤)، أو إلى نفس هذا التزيين، الذي هو تزيين قتْلِ الأولاد وقد مرَّ مَثَلُ هذا ﴿ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ

---

[1] قراءة الكسائي بلغة بني أسد، قراءة متواترة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٤.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يقتنون]، والتصويب من ب.

(٣) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

(٤) من سورة الأنعام من الآية: ١٣٦.

﴿ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ ﴾ بالوأدِ، وبنحرهم لآلهتهم ﴿ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ من الجنِّ، أو من السَّدَنَةِ، قُرئ [1]: زَيَّنَ على البناء للفاعل وهو: "شركاؤهم" ، ونَصْبِ: قَتْلَ، وعلى البناء للمفعول وهو القَتْلُ ورَفْعُ شركاؤهم بإضمار فِعْلٍ دلَّ عليه المذكور؛ كأنَّه قِيلَ: "مَنْ زيَّنَهُ؟" فقيل: "زيَّنه شركاؤهم"، وأمَّا قراءة ابنُ عامر (٢) [زُيِّنَ] (٣) على البناء للمفعول؛ وهو القتل، ونَصْبِ [أولاد] (٤) وجَرِّ الشُّرَكَاءِ على إضافةِ القَتْلِ إليه والفَصْلُ بينهما بغير الظَّرْفِ فقد رُدَّت بأنَّ: ذلك غيرُ مَقبُولٍ في مَقَام الضرورة كما في قوله:

.... زَجَّ القَلُوصَ أبِي مَزَادَه (٥)

فكيف به في غيره، لكنَّه مردودٌ؛ لأنَّه مُختَلَفٌ فيه بين النحويين على ما ذكره أبو حيَّان (٦) [7]، ووقوعُهُ في قراءةٍ متواترةٍ دالٌّ على الصِّحَّة؛ لأنَّ العربيَّة تَثبُتُ بالقرآن، وفَهْمُ العَكس من عكس

---

(١) قراءة الجمهور، قراءة متواترة، محمد حبش، **القراءات المتواترة**، ١٥٠.

(٢) ابن عامر (٨ – ١١٨ هـ = ٦٣٠ – ٧٣٦ م) عبد الله بن عامر بن زيد، أبوعمران اليحصبي الشامي: أحد القراء السبعة، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك،ولد في البلقاء، في قرية " رحاب " وانتقل إلى دمشق، بعد فتحها، وتوفي فيها، قال الذهبي: مقرئ الشاميين، صدوق في رواية الحديث، الأعلام للزركلي ٤/ ٩٥.

(٣) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الأولاد]، والتصويب من ج.

(٥) البيت من بحر الكامل المجزوء والعجز أنشده أبو الحسن الأخفش ولم ينسبه والبيت وصدر البيت وعجزه:

فزَجَجْتُهَا بمَزَجَّةٍ زَجَّ القَلُوصَ أبِي مَزَادَه

البيت استشهد به الكوفيون من جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الجر، زج: دفع بالزج، وهو الحديدة التي في أسفل الرمح، القلوص: الناقة الفتية، أبي مزادة: اسم رجل، الطبري، جامع البيان، ١٢/ ١٣٨.

(٦) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي (٦٤٥-٧٤٥ هـ/ ١٢٥٦-١٣٤٤م)، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في غرناطة، وعاش بمالقة، ثم انتقل للقاهرة وتوفي فيها.

[7] **روح المعاني**، الألوسي، ٤/٢٧٧.

الفَهْم، ثمَّ إنَّه لا ضرورة في الشِّعر المذكور كما تُوُهِّمَ؛ لاستقامة الوزن، والقافِيَةُ بجرِّ " القَلُوص " ورَفْع " أبي " ، واعتقادُ الضَّعْفِ في مثل تلك القراءة من ضعف الاعتقاد مَبْنَاهُ: عَدَمُ الاعتمادِ على القراءة، والطعنُ في الإسنادِ، ولا يخفى ما فيه من [الفساد] (١) ﴿ لِيُرْدُوهُمْ ﴾ ليُهلِكُوهم بـالإغواء والإضلال، واللام للتعليل إنْ كان التزيين من الجنِّ، وللعاقبة إنْ كان من السَّدَنَةِ ﴿ وَلِيَلْبِسُوا ﴾ وليخلطوا ﴿ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ وهو ما كانوا عليه في الأصل من دين إسماعيل عليـه الـسلام أو دينِهم الذي وجب عليهم أنْ يتديَّنوا به ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾ أي: ما فعل المشركون، أو مـا فعل الشياطين أو السَّدَنَةُ: [التزيينُ] (٢)، أو الارتدادُ واللَّبْسُ، [والأولـى] (٣) أن يُجْـرَى الـضميرُ مَجْرَى اسم الإشارة فيُرَادُ به الجَمْعُ ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ وافتراءَهم [أو] (٤) الذي يفترونه من الإفك.

﴿ (١٣٨) وَقَالُوا هَٰذِهِ ﴾ إشارةٌ إلى ما جُعِلَ للآلهة ﴿ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ حرامٌ من الحَجْر وهـو: المَنْعُ، فِعلٌ بمعنى مَفعُول، كـ"الذِّبْح"، ويستوي فيه المُذكَّرُ والمؤنَّثُ، والواحدُ والكثيرُ؛ لأنَّ حكمَه حكمُ الأسماءِ لا الصفاتِ، وقُرِئ (٥): "حُجْرٌ" بالضَّمِّ، وعن ابن عباس (٦) رضي الله عنه: حجر: أي

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الإسناد]، والتصويب من ب.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [أو التزيين]، والتصويب من ب.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [والأول]، والتصويب من ب.

(٤) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

(٥) قائله البيضاوي، وهي قراءة الحسن، قراءة شاذة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٥، انظر أيضًا: **تفسير البيضاوي**، ٢/٤٥٦.

(٦) ابن عباس الصحابي الجليل سبقت ترجمته.

ضيق ﴿ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ ﴾ يعني: خدمَ الأوثان، أو الرجالَ دونَ النساءِ ﴿ بِزَعۡمِهِمۡ ﴾ أي: قولِهم الباطل ﴿ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا ﴾ من البحائر والسوائب والحوامي ﴿ وَأَنۡعَٰمٌ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ﴾ في الذَّبح، وإنَّما يَذْكُرُونَ عليها أسماء أصنامهم، وقيل [1]: لا يحُجُّون ولا يُلَبُّون على ظهورها؛ أي: قَسَمُوا أنعامهم أجناسًا بهوائهم فقالوا: هذه حِجرٌ، وهذه مُحَرَّمة الظهر، وهذه لا يُذْكَرُ عليها اسمُ الله ﴿ ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِ ﴾ أي: نسبوا ذلك الجنس إلى الله تعالى، "افتراءً عليه" نصبٌ على المفعول له، أو حالٌ أي: "مفترين على الله تعالى" ، أو مَصْدَرٌ مؤكِّدٌ؛ لأنَّ [تَقَوُّلَهُم] [2] ذلك مَحْضُ الافتراء، والجار متعلّقٌ بـ"قالوا" ﴿ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ بسببه،

﴿ (١٣٩) وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ يعني: ما في بطون هذه البحائر ونَحْوِها من الأجِنَّةِ، وفي قول ابن عباس [3] والشّعْبيِّ [4]: " هي الباه " [5] ، ويأباه قوله: (وَإِن يَكُن مَّيۡتَةً) [6] ﴿ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ حلال للذكور خاصَّةً لا يُشاركُهُم فيها الإناث إنْ وُلِد حيًّا لقوله: (وَإِن يَكُن مَّيۡتَةً) ،

[1] قائله البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٢/٤٥٦، وانظر أيضًا: الطبري، **جامع البيان**، ١٢/١٤٤.

[2] ما بين معكوفين في الأصل أ: [بقولهم]، والتصويب من ب.

[3] عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، (٣قهـ-٦٨هـ/٦١٩-٦٨٧م)، الصحابي الجليل ترجمان القرآن وحَبر الأمَّة، ولد بمكة واشتهر برواية الحديث والتفسير وشهد الغزوات والمواقع، الزركلي، الأعلام، ٤/٩٥.

[4] عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري، (١٩-١٠٣هـ/٦٤٠-٧٢١م) فقيه تابعي حافظ للحديث، ولد ونشأ في الكوفة ومات فيها، الزركلي، الأعلام، ٣/٢٥١.

[5] الباه كما عرفه في المعجم الوسيط: النكاح والجماع، ١/ ١٦٢. وأرى أنه المعنى المقصود هنا -في استشهاد ابن عباس والشعبي- كمسألة عسب الفحل المذكورة في كتب الفقه.

[6] من الآية ١٣٩ ستأتي في نهاية هذه الآية.

ومعنى الاختصاص للمذكور مُهِمٌّ في المقام؛ لأنَّه قرينة لإرادة الإناث من الازدواج، وهو لا يُفَادُ بعبارة المباح، فلذلك أورد عبارة "خالصة" عليها، مع أنَّ حقَّ المقابلة مع عبارة: " مُحَرَّم " لها، والتاء في "خالصة" ليست للتأنيث، بل يُقال في الاسم: خَالِصٌ، وخالصة، أو حَمَلَ " خالصة " في التأنيث على المعنى؛ لأنَّ ما في بطونهم في معنى الأجِنَّةِ.

﴿ وَمُحَرَّمٌ ﴾ على اللفظ، أو كانت التاء للمبالغة كرواية الشِّعْر، أو كان مصدرًا كالعاقبة وَقَعَتْ مَوقِعَ النصب؛ أي: " ذو خالصة " بمعنى: خالِصٍ، ويؤيده قراءة [١] "خالصة" بالنصب على أنَّه مصدرٌ مُؤَكِّدٌ، والخَبَرُ: " لذكورنا "، ويجوز أنْ يكون حالاً من الضمير الذي هو [فاعل] [٢] الاستقرار في قوله: (فِي بُطُونِ) لا من الذي في: (لذكورنا) ؛ لأنَّ العامِلَ المعنويَّ لا يتقدَّم معموله عليه، ولا من الذكور؛ لأنَّ المجرور لا يتقدَّم عليه حاله، وقرأ ابن عباس [٣] رضي الله عنهما- (خَالِصُهُ) على الإضافة، وهو بدل مِنْ: " ما " ، أو مبتدأ ثانٍ، وفي مصحف عبد الله [٤]: " خالصٌ " وقُرِئ [٥]: " خالصًا " ﴿ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾ لم يقل على إناثنا مع أنَّ المراد من الأزواج الإناث، وهي المُنَاسِبُ أنْ يُذْكَرَ في مقابلة الذكور؛ لأنَّ المقصود الإشارة [إلى] [٦] وجه تحريمها على الإناث؛ وهو: كونُهنَّ أزواج الرجال في الجُمْلَةِ لا [بيانُ] [٧] حُرْمَتِها على الإناث، فإنَّها قد فُهِمَتْ ممَّا تقدَّم، ولهذا صدَّره بأداة الوَصْلِ؛ فإنَّه لو أُرِيْدَ به بيانُ الحُرْمَةِ على الإناث لكان حقُّه

---

(١) ذكره الطبري، جامع البيان، ١٦٢/١٠، تفسير القرطبي، ٩٦/٧.

(٢) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

(٣) ابن عباس الصحابي الجليل سبقت ترجمته.

(٤) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، (توفي٣٢هـ/٦٥٣م) صحابي جليل وأول من جهر بالقرآن في مكة، اشتهر بطيب الرائحة، وتوفي في المدينة عن عمر يناهز ستين عامًا، الزركلي، الأعلام، ١٣٧/٤.

(٥) قراءة سعيد بن جبير رضي الله عنه، تفسير القرطبي، ٩٦/٧، البحر المحيط، ١٨٧/٤.

(٦) ما بين معكوفين في الأصل أ: [على وجه]، والتصويب من ب و ج.

(٧) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يُباحُ]، والتصويب من ب.

الفَصلُ؛ لِمَا بينَه وبين ما تقدَّم [كمال] [١] الاتّصال ﴿ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةً ﴾ الضمير لـ: " ما في بطونها " ، وقُرِئَ [٢]: بالتاء الفوقانيَّة الأجِنَّةُ على تأويل الأجِنَّة، وقرأ ابن عباس [وابن] [٣] عامر [٤] بها، ورَفْعُ "ميتة" على كان التَّامَّةِ [وتذكير] [٥] الضمير في ﴿ فَهُمۡ فِيهِ ﴾ لأنَّ الميتة قد [تكونُ] [٦] ذكَرًا فغُلِّبَ.

وقُرِئَ [٧] بالياء التحتانيَّةِ ورَفْع: "مَيْتَةٍ" ﴿ شُرَكَآءُ ﴾ أي: الذكور والإناث فيه سواءٌ ﴿ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡ ﴾ الكَذِبَ؛ أي: جزاءَ وصفِهم الكذبِ على الله تعالى في التحريم والتحليل ﴿ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ ﴾ في [جزائهم][٨] ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأفعالهم.

﴿ (١٤٠) قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ ﴾ يريد بهم العَرَبَ الذين يدفنون بناتِهم أحياء، فبعضُهُم يفعلُ ذلك خَوْفَ العَيْلَةِ والإقتَار، وبعضهم خوفَ السَّبْي والعَار، وقُرِئ [٩]: "قتّلوا" بالتشديد ﴿ سَفَهَۢا ﴾

([١]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [كما في] ، والتصويب من ب.

([٢]) قراءة متواترة عن عاصم في رواية أبي بكر، السبعة في القراءات، ٢٧١.

([٣]) ما بين القوسين غير موجود في الأصل النسخة أ، وأثبته لموافقته ما في النسخة ب و ج، وما ذكره الزمخشري في الكشاف، ج٢، ص: ٥٤، والألوسي في روح المعاني، ٨/ ٣٦.

[٤] عبد الله بن عامر اليحصبي (٨-١١٨هـ)، أخذ القراءة عن الصحابة مباشرة، وقرأ على أبي شهاب عن عثمان بن عفان، ٥٥.

([٥]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ويذكر]، والتصويب من ب.

([٦]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يكون]، والتصويب من ب.

([٧]) قراءة مشهورة عن هشام، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٦.

([٨]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [جزائكم]، والتصويب من ب وج.

([٩]) قراءة هشام من طريق الداجوني، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٣١.

مفعولٌ له، والسَّفَهُ: خِفَّةُ الحِلْمِ بالعَجَلَةِ إلى ما لا ينبغي أن يُعْجَلَ إليه ﴿ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ حالٌ، أو صفة مصدرٍ؛ أي: "قتلاً بغير علم"، فيه إشارةٌ إلى أنَّ فعلهم ذلك [لجهلهم] [1] بأنَّ الله تعالى هو الرزاق والمقدر للسَّبْي وغَيرِه ﴿ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ من البحائر ونحوها ﴿ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ قد مرَّ وجوه الإعراب في مثله ﴿ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ إلى الحقِّ والصوابِ، وزيادَةُ: " كان " للدلالة على الاستمرار؛ أي: استمرُّوا على عدم الاهتداء، على أنَّ القيد المذكور داخِلٌ على النَّفي في الاعتبار، وإن كان مدخولاً له في الظاهر، [وبهذا] [2] اندفع وَهْمُ القصور والتَّكْرار.

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ ﴾ من الكروم ﴿ مَّعۡرُوشَٰتٖ ﴾ مرفوعاتٍ على دعائِمَ ﴿ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ ﴾ متروكاتٍ على الأرض، وقيل: الأول: ما غرسه الناس [وعَرَشُوْهُ] [3]، والثاني: ما نبت في الجبال والبراري ولم [يُغْرَسْ] [4] ﴿ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا ﴾ حالٌ مقدَّرَةٌ؛ لأنَّه لم يَكُن كذلك حال الإنشاء ﴿ أُكُلُهُۥ ﴾ ثَمَرُهُ الذي يُؤكَلُ في الحقيقة والكيفية، والضمير في النخل والزرع داخلٌ في حكمه لكونه معطوفًا عليه؛ لأنَّ الأصل أنْ يُطلَقَ الأُكُلُ على الثَّمرةِ والجنَّات [بالحقيقة] [5]، فغُلِّبَ فيه الزرعُ أو للزرع والباقي مَقِيسٌ عليه، أو للجميع على تأويل ذلك، أو كلٌّ واحدٍ منهما ﴿ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ ﴾ يتشابه بعض أفرادهما في الكَمِّ والكيفية ولا يتشابه

---

(1) ما بين معكوفين في الأصل أ: [لحملهم]، والتصويب من ب.

(2) ما بين معكوفين في الأصل أ: [لهذا]، والتصويب من ب.

(3) ما بين معكوفين في الأصل أ: [وغرسوه]، والتصويب من ب.

(4) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يعرش]، والتصويب من ب.

(5) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الحقيقة]، والتصويب من ب.

بعضها ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ ﴾ الضمير لكلِّ واحدٍ ﴿ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ قد كان من المعلوم أنَّه لا يُؤكَـلُ قبل أنْ يُثْمِرَ، ففائدة القَيْدِ المذكور التنبيهُ على أنَّ إباحة الأكْلِ تَثْبُتُ قبل الإدراك والإيناع، بخلاف وجوب الحقِّ الشرعيِّ المذكور في قوله: ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ وهو: ما يُتَصدَّق به وقت الحصاد، وكان ذلك الحقُّ واجبًا حتى نُسِخَتْ بالزكاة، والآية مدنيَّة، والظـرف لحِقِّـهُ لـيُعلَمَ أنَّ الوجوبَ وجوبُهُ بالإدراكِ، لا بالتنقية لا للإيتاء؛ للحاجة إلى التأويل، والتوقيت في [الأوامر] (١) حقُّه أنْ يحافظ على ظاهره؛ كيلا يشتبه المؤقَّتُ بالمُطْلَق. وقُرِئ [٢]: " حِصاده " بكسر الحاء، وهو لغةٌ فيه ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ أي: في التصدُّق ولا في الأكل [٣]، ولذلك اقتصر على نفي المحبَّة عنهم،

وقد قيل [٤] إنَّهم كانوا يُعطُونَ شيئًا سِوَى المُقَـدَّر ويُـسرفون فيـه فنَهَـى عنـه ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ الموصوفين بهذه الصفة، فإنَّه من أمارات الممكورين لا المشكورين.

﴿ (١٤٢) وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ عَطفٌ على "جنات" أي: وأنشأ من الأنعام ﴿ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ ما يُحَمِّلُ الأثقالَ، وما يُفرَشُ للذبح، أو يُنسَج من وَبَرِهِ وصُوفِهِ وشَعرِهِ الفَرْشَ، وقيل: الأوَّلُ الكبار التـي [تصلح] (٥) للحَمْلِ، والثاني الصِّغَارُ مِثْلُ الفَرْشِ وهي [الأرض] (٦) المستوية التي يتوطأها الناس ﴿ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: ما أحلَّ لكم منه، ولا دلالة فيه على أنَّ كلَّ رزقٍ مـأكولٍ حتـى

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ بإسقاط "ال"، والتصويب من ب.

(٢) قراءة مشهورة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٦.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره عن ابن زيد، جامع البيان، ١٠/١٥٦.

(٤) قائله أبو حيان الأندلسي عن أبي العالية بالمعنى من قوله: "كانوا يعطون شيئًا عند الجذاذ فتماروا فيه فأسرفوا فنزلت"، **تفسير البحر المحيط**، ٤/٦٧٠.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يـصلح]، والتصويب من ب.

(٦) ما بين معكوفين في الأصل أ : [أرض] بإسقاط ال، والتصويب من ب.

ينتهض حجةً للمعتزلة في أنَّ الحرام ليس برزق ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ أي لا تتَّبعوا آثاره في التحليل والتحريم من عند أنفسكم اعتقادًا وقولاً وعملاً، وكان في الإتيان بعبارة الجمع إشـارةٌ إلى هذه الثلاثة ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ ظاهر العداوة.

﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ ﴾ بدلٌ من "حمولة" و "فرشًا"، والزوج [١]: ما معه آخرُ من جنسه يُزاوجُهُ، وقد يُقال لمجموعهما، والمراد هنا الأوّل ﴿ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ أي: زوجين اثنين الكـبش والنعجـة، وهو مع ما بعدَهُ عطفُ بيانٍ لثمانية أزواجٍ، أو "من الضأن" بدلٌ من "الأنعام"، واثنين من حمولـة وفرشًا، أو من ثمانية أزواجٍ إنْ جوَّزنا للبدل بدلاً، وقُرئ [٢]: اثنان على الابتداء، والضَّأنُ: جمـعُ "ضائن" كالتجر جمع تاجر، و[قيل هي] [٣] [جمعٌ] [٤] لا واحدَ [له] [٥] من لفظه، [ويجمـع] [٦] على ضئين، كـ"العبد" يُجمَعُ على "عبيد"، وقُرئَ (١)[٧] بفتح الهمزة، وهي لغة فيـه ﴿ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ ﴾ التيس والعنز وهو جمع ماعز، وقُرئ [٨]: بالفتح، وهو أيضًا جمعٌ لـه؛ كـــ"حـارسٍ"

([١]) الزوج: البعل، والزوجة، وخلاف الفرد، ويقال للاثنين: هما زوجان وهما زوج، القاموس المحيط، ٢٤٦.

([٢]) ذكره البيضاوي عن أبان بن عثمان وهي قراءة شاذة، **تفسير البيضاوي**، ٤٥٩/٢، **المحرر الوجيز**، ٤٨٤/٢.

([٣]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [وهي قيل]، والإضافة من ب.

([٤]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [جميع]، والتصويب من ب.

([٥]) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

([٦]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [والجمع]، والتصويب من ب.

([٧]) قراءة منقولة عن البصريين لم أجدها في كتب القراءات، **تفسير البيضاوي**، ٤٥٩/٢، **تفسير القرطبي**، ١١٤/٧.

([٨]) قراءة متواترة عن ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، السبعة في القراءات، ٢٧١.

و"حَرَسٍ" فيه، وقرئ [١]: معزى ﴿ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ ﴾ ذكَرَ الضأْن والمَعز، والهمزة للإنكار ﴿ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ أمْ أنثييهما، ونَصبُ "الذكرين" و"الأنثيين" بـ" حرَّم " وتقديمُ المفعول للتخصيص ﴿ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ﴾ أي: حوَتْهُ وانضمت عليه، ذكرًا كانَ أو أنثى ﴿ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ الأرحام: جَمعُ رَحِمٍ، وهو: موضعُ الولَدِ وما كان في الحيِّ منه عُضوٌ واحدٌ، فالإضافة إلى الاثنين بالجمع كما في قوله تعالى: (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) [٢] ﴿ نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ ﴾ أخبروني بأمرٍ معلومٍ من جهةِ الله تعالى يَدُلُّ على أنَّه حرَّم شيئًا من ذلك، عبَّر عنه بالعلم مبالغةً للتنبيه على أنَّ دليلَ التحريم لا بُدَّ أنْ يكونَ قطعيًّا، وهو اعتراضٌ لطيفٌ بين أقسام التفصيل للتأكيد في الاحتجاج على مَن حرَّم ما أحلَّ الله تعالى لعباده ومَنَّ بالتَّفضُّل به عليهم مبالغة في التحليل ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في زعمكم أنَّ الله تعالى حَرَّم هذا.

﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ ﴿١٤٤﴾ كما سبق، والمرادُ إنكارُ تحريم الله تعالى شيئًا من الأجناس المذكورة؛ وذلك أنَّهم كانوا يُحَرِّمون ذكورَ هذه الأنعام تارةً وإناثها أخرى، وأولادها كيف ما كانت ذكورًا أو إناثًا تارةً، وينسبون تحريمها إلى الله تعالى [فأنكر] [٣] ذلك عليهم ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ﴾ معنى بل في " أمْ " المنقَطِعَةِ الإضراب عن طلب العلم، والدليلُ [القطعيُّ] [٤] الدَّالُّ على التحريم من عند الله على سبيل المسامحة، ومعنى الهمزة: إنكار المشاهدة، وذِكرُها تهكُّمٌ بهم؛ لأنَّهم لم يؤمنوا بنبيٍّ ولا

---

(١) أظن أن هناك خطأ لأنه يجمع على معزى ولا توجد قراءة بهذا اللفظ.

(٢) من سورة التحريم من الآية: ٤.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [فأنك] بإسقاط حرف الراء، والتصويب من ب.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [العطف]، والتصويب من ب.

كتابٍ، وزعموا أنَّ الله تعالى حرَّم هذا، فلم يبقَ إلا طريقُ المشاهدة والسَّمَاع، فقيل [١]: "أشاهدتُمْ ربَّكم" ﴿ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ ﴾ حين وصَّاكم بهذا التحريم وأمَرَكم، والوصيَّةُ مُقدّمة مؤكّدةٌ فيما يُفعَلُ أو يُترَكُ، ولمَّا ثبت أنَّه لا عِلْمَ لهم أصلاً في هذا فلم يَبْقَ إلا الافتراءُ وهو ظلمٌ قال: ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ نَسَبَ إليه تعالى تحريمَ ما لم يحرِّمْ وهو عمرو بن لُحَيٍّ [٢] بن قمعة المؤسِّس لتبحير البحائر وتَسْيِيْبِ السوائب ﴿ كَذِبًا ﴾ كاذبًا، لا مخطئًا في ظنِّه، فإنَّ فيه مندوحةً عن الكَذِبِ ﴿ لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: عَمِلَ عَمَلَ القاصدِ إضلالَهم من أجل دعائهم إلى ما فيه الضَّلالةُ، وإن لم يقصد الإضلال، ولذلك قال: ﴿ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إلى دار الثواب؛ لأنَّهم يستحقُّون العِقَابَ.

﴿ (١٤٥) قُل لَّآ أَجِدُ ﴾ كنَّى بعَدَمِ الوِجْدَانِ عن عدم الوجود، ومَبْنَى هذه الكناية على أنَّ طريقَ التحريم التنصيصُ من الله تعالى عليه، ولا مَسَاغَ للرأي فيه، ففيها ثبوت ذلك المعنى المبنيِّ اقتضاء، ثم إنَّ فيها إشارةً إلى أنَّ من الأحكام المنزَلَةِ ما في العثور عليه حاجةٌ إلى التَّفَقُّدِ والتَّتَبُّعِ؛ لكونه بطريق الدَّلالة الخَفِيَّةِ، وإنَّما قال: ﴿ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ دونَ "ما أُنزل عليَّ"؛ لأنَّ النصَّ المحرِّم لا يلزَمُ أنْ يكونَ من جنس الكتاب ﴿ مُحَرَّمًا ﴾ طعامًا محرَّمًا ﴿ عَلَىٰ طَاعِمٍ ﴾ نكَّرَهُ تجريدًا له عن قَيْدٍ زائدٍ حتى ينتظم الطاعِمُ الظالمُ وغيرُ الظالم، فيَؤُول المعنى إلى أنَّه ليس في جنس المطعوم من حيث أنَّه مطعومٌ محرَّمٌ إلا هذه الأربعة، فلا يَتَّجِهُ النقضُ بحرمة المأكول ظلمًا؛ لأنَّ حُرْمَتَهُ من قَيْدِهِ لا

([١]) قائله الإمام عبد الله النسفي، **تفسير النسفي**، ١/٣٥٣.

([٢]) عمرو بن لحيى بن حارثة بن عمرو ابن عامر الازدي، من قحطان: أول من غير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الاوثان، كنيته أبو ثمامة، وفي نسبه خلاف شديد، الأعلام للزركلي ٥/ ٨٤.

من جِنْسِهِ، وفائدة التوصيف بقوله: ﴿ يَطْعَمُهُۥٓ ﴾ قَطْعُ المجاز، كما في: (طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ) (١) ، فإنَّ الطاعمَ يُطلقُ على [المُطعِمِ] (٢) مجازًا ﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ ﴾ أي: إلا أنْ يكونَ المطعوم، فالاستثناء من المفهوم، وقُرِئ ٣: بالتاء لتأنيث الخبر، وبرَفْعِ ﴿ مَيۡتَةً ﴾ على أنَّ "كان" هي التَّامَّةُ، والمراد من "الميتة" هنا: ما فَقَدَ حَيَاتَه بلا ذَبْحٍ أصلاً؛ أي: شرعيًّا كان أو غير شرعيٍّ، ولهذا [احتيج] (٤) إلى ذكر المحرَّم الرابع، وفي قوله: (على طاعمٍ يطعمه) دَلالةٌ على أنَّ جِلدَ الميتة قبل الدباغ مُحرَّمٌ؛ لأنَّه [قد] (٥) يُشوَى فيُؤكَلُ، وإذا دُبِغَ خرج عن قابليَّتِهِ الأكْلَ ﴿ أَوۡ دَمٗا ﴾ عطفٌ على "ميتةٍ"، أو على "أنْ" مَعَ ما في خبره على اختلاف [القراءتين] (٦) ٧ فيها، وإنَّما ذَكَرَهما هنا منكَّرَيْنِ وفي سورة البقرة (٨) والمائدة (٩) [مُعَرَّفَين] (١٠)؛ لأنَّ هذه السورة مكِّيَّةٌ وهما مدنيَّتانِ، فناسب أن يُذكَرَا فيهما [معرَّفين] (١١) بتعريف العَهْدِ، وتعريفهما في سورة النحل (١) مع أنَّها أيضًا مكِّيَّة بناءً على

---

(١) من سورة الأنعام من الآية: ٣٨.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [المطعوم]، والتصويب من ب.

(٣) قراءة ابن عامر، قراءة متواترة، محمد حبش، **القراءات المتواترة**، ١٦٠.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [اقبح]، والتصويب من ب.

(٥) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

(٦) ما بين معكوفين في الأصل أ: [القراءتين] مكررة مرتين، والتصويب من ب.

(٧) أي قراءة ابن عامر "ميتة" بالضم وقراءة الباقين "ميتة" بالفتح، قراءتان متواترتان، محمد حبش، **القراءات المتواترة**، ١٦٠.

(٨) الآية ١٧٣ من سورة البقرة: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ ﴾

(٩) الآية ٣ من سورة المائدة: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾

(١٠) ما بين معكوفين في الأصل أ: [معرفتين]، والتصويب من ب.

(١١) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والتصويب من ب و ج.

تأخُّر نزول ما فيها من الآية المشتملة عليها من نزول ما في هذه السورة ﴿ مَّسۡفُوحًا ﴾ مصبوبًا ضائعًا، يرشدك إلى اعتبار هذا القيد الزائد [على معنى] (٢) الصَّبِّ في مفهوم السفح، إطلاقهم السِّفَاحَ على الزاني باعتبار تضييعه الماء لمَّا قال النبي صلى الله عليه وسلم: « وُلِدْتُ من نكاحٍ لا من سِفَاحٍ » (٣) وإذا تقرَّر هذا ففي العبارة المذكورة إشارةٌ إلى أنَّ حقَّ هذا الدَّم التضييعُ والإهدارُ لا الحفظُ والادِّخارُ، وإنَّما خصَّ الدمَ بالقيد المذكور؛ لأنَّ ما اختلط باللحم منه وقد تعذَّرَ تخليصه من اللحم عَفْوٌ مُبَاحٌ، وأمَّا الطِّحالُ فليس بدم حقيقةً، وكذلك الكبد، فلا حاجة إلى الاحتراز عنهما إلى القيد المذكور ﴿ أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ ﴾ إنَّما زِيْدَ عبارة "لحم" لا لأنَّ كُلَّه غيرُ مأكولٍ وإلا لَنَاسَبَ زيادَتَها في الميتة أيضًا؛ للاشتراك [في العلَّة] (٤) المذكورةِ، بل لئلا يَسبِقَ إلى الوهم أنَّه من قبيل صيد البَرِّ حتى [لا] (٥) يبقى محرَّمًا بعدما صار لحمًا، ولمَّا كان المأكول المحرَّمُ من الخنزير غيرَ منحصرٍ في اللَّحمِ تدارك الحكم في الباقي بالتعميم دلالةً؛ حيث علَّل المذكور بقوله: ﴿ فَإِنَّهُۥ ﴾ أي: فإنَّ لحم الخنزير ﴿ رِجۡسٌ ﴾ أي: قَذِرٌ يَنْفِرُ عنه الطبعُ [المستقيم] (٦) لتعوُّدِهِ أكلَ النجاسةِ، ولا يخفى ما في [هذا] (٧) الاعتراض بين المعطوفين للتعليل من الدلالة على سائر أجزائه القابلة للأكل، ويجوز أنْ يُرادَ بـ"اللحم" ما يُؤكَلُ منه مطلقًا، على طريقة التعبير عن الكلِّ بالجُلِّ، وعلى

---

(١) الآية ١١٥ من سورة النحل: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٥﴾ ﴾.

(٢) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

(٣) الحديث رواه البيهقي في السنن الكبرى – في باب نكاح أهل الشرك وطلاقهم– بلفظ: "خرجت من نكاح غير سفاح" رقم الحديث: ١٤٤٥٧، وفي المعجم الأوسط للطبراني عن علي رضي الله عنه: « خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي » رقم الحديث ٤٨٨٤.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [للعلة]، والتصويب من ب وج.

(٥) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، والإضافة من ب.

(٦) ما بين معكوفين في الأصل أ: [المستقيم]، والتصويب من ب وج.

(٧) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

هذا لا حاجة إلى صرفِ الضميرِ عن المضاف، فإنْ قلتَ: "أليس في هذا التعليل غنىً عن إقحام اللحم لإفهام ما ذُكِر آنفًا؟" قلت: "لا؛ لأنَّ التعليل النحويَّ لا يَلزَمُ أنْ يكونَ بالعلّيَّة الشَّرعيَّةِ، بل قد يكون بالحكمة التي لا يَلزَمُهَا الاطّرادُ ولا الانعكاسُ، وإنَّما خصَّص هذا والذي يليهِ بالتعليل عبارةً وإشارةً؛ لأنَّ الطَّبْعَ يساعِدُ السمع في الأوّلين، بخلافهما في الآخرَيْن﴿ أَوْ فِسْقًا ﴾ نُصِبَ عطفًا على "لحم خنزير"، لا على أنَّه مفعول له، دلَّ على ذلك قوله تعالى – في موضع آخر –: (وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ) [1] سُمِّيَ بالمصدر مبالغةً، فهو بعبارته تحذيرٌ منه بإشارته تعليلٌ لحُرمَتِـهِ ﴿ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ صفة مُوضِّحَةٌ له، و"الإهلال به" كنايةٌ عن ذَبْحِهِ، وهو في الأصل رَفْعُ الصَّوتِ بالشيء ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ ﴾ دعَتْهُ الضَّرورَةُ إلى أكل شيءٍ من ذلك ﴿ غَيْرَ بَاغٍ ﴾ على مُضطَرٍّ مِثْلِهِ ﴿ وَلَا عَادٍ ﴾ قَدْرَ الضرورة في تناوله ﴿ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ ﴾ لِمَا عسى أنْ يُفْرِطَ عند العمل بالرخصة ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بالرخصة فيه، وقد استُدِلَّ بهذه الآية على انتساخ الكتاب بالسنة؛ لأنَّ عبارَتَهَا وإنْ كانت ساكتةً عن عَدَمِ مُحَرَّمٍ آخرَ لكِنَّ دِلالَتَهَا ناطقةٌ بأنَّه لا مُحَرَّمَ غَيْرُ هذه، وليس فيها توقيتٌ، فلَمَّا زِيْدَ مُحَرَّمٌ آخرُ بالسُّنَّةِ انتسخ حكمُ تلك الدلالة.

﴿ (١٤٦) وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ قال ابن عباس – رضي الله عنهما – وجماعةٌ: "هي ذَوَات الظِّلْفِ كالإبل والأنعام، وما ليس بذي أصابعَ مُنْفَرِجَةٍ كـ"البطِّ والإوزِّ ونحوهما"، واختاره الزجاج. وفي قوله: "حرَّمنا " تكذيبٌ لليهود في قولهم: " إنَّ الله تعالى لم يُحرِّمْ علينا شيئًا، وإنَّما حَرَّمْنَا على أنفسنا ما حرَّمَهُ إسرائيل على نفسه "[2] ﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ ذَٰلِكَ ﴾ عَطفٌ على "كل ذي ظفر"، وقولُهُ: ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ ﴾ تَبْيِيْنٌ للمحرَّم منهما، ولا بُدَّ من الإضافة

---

(١) من سورة الأنعام من الآية: ١٢١.

(٢) نقل هذا القول أيضًا القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ٧/ ١٢٤، كما ذكره أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط، ٥/ ٢٨٠.

للرَّبْطِ، وفي الإجمال ثم التفصيل زيادةُ تقريرٍ وتأكيدٍ، ولولا القصد إلى ذلك لكان الظاهر أنْ يُقالَ: "وشحومَ البَقَرِ والغَنَم"، [أو] (١) يُقالَ: "ومن البقرِ والغنمِ الشحومَ"، والمعنى: "حرَّمنا لَحْمَ كلَّ ذي ظُفُرٍ وشَحْمَهُ وكلَّ شيءٍ منه وتَرَكْنا البَقَرَ والغَنَمَ على التحليل لم نُحرِّم منهما إلا الشحوم الخاصَّة"؛ وهي: الثُّروب وشحوم الكِلى، وكان بعض ذوات الظفر حلالاً لهم، فعمَّمَ التحريمَ بسبب ظُلْمِهِم لقوله تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) (٢) ، وتدَّعي النصارى أنَّ ذلك نُسِخ في شَرْعِ عيسى – عليه السلام – ويشهد لذلك التخصيصُ المُستفادُ من تقديم الجارِّ والمجرورِ في قوله تعالى: (وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا).

﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾ إلا ما علِقتْ بظهورهما ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ إنْ قُدِّرَ وزنُها فواعل فجَمْعُ "حاوية" كـ"زَاوِيَةٍ" و"زَوَايَا"، [أو] (٣) جمع "حَاوِيًا" كـ"قاصِعًا" و"قَوَاصِعَ"، وإنْ قُدِّرَ وزنُها "فعائل" فجَمْعُ "حَوِيَّةٍ" كـ"مَطِيَّةٍ" و"مَطَايَا"، وهي: الدَّوارَةُ التي تكون في بطون الشياه، وقيل [٤]: هو عطف على "شحومهما" و[أو] (٥) للتفصيل فصَّل بها ما حرَّم من البقر و الغنم ﴿ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ كالإلية، وما في القوائم والجُنُوبِ والرأسِ والعُيُونِ والآذانِ والمُخِّ.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التحريم أو الجزاء ﴿ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ﴾ بسبب ظلمهم ﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ فيما أخْبَرْنَا لهم.

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ : [أن] والتصويب من ب وج.

(٢) من سورة النساء من الآية: ١٦٠.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [و] والتصويب من ب وج.

٤ قائله البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ٢/٤٦١.

(٥) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

﴿ ١٤٧ فَإِن كَذَّبُوكَ ﴾ في ذلك ﴿ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ أي: لا تُعْرِضْ عنهم ولا تؤيِّسهم مِنْ رحمتي، بل كن ثابتًا في مَقَام الدَّعْوَةِ على قَدَمَي الإبشار والإنذار، وذلك: أنَّ ما ذُكِـرَ كَلِمَـةٌ جامِعَةٌ لهما، أمَّا الإبشارُ [فلما] (١) فُهِمَ من العبارة المذكورة من أنَّه تعالى يقبل التوبة ويغسل الحَوْبَة، فإنْ رَجَعُوا عن التكذيب إلى التصديق فلهم الفوزُ والنجاةُ. وأمَّا الإنذارُ فلِما فهم من إشاراتها إلى أنَّه تعالى لِسِعَةِ رحمته يُمْهِلُ، ولمَّا كان في الإمهال مَظَنَّةُ الاندفاع تداركه بقوله: ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ ﴾ حين يَنْزِلُ ﴿ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ فلا يغتروا بإمهاله، أو فإنْ كذَّبوك في الإنذار وإِيْعَادِ العُصَاةِ واعتلُّوا بأنَّ الله واسعُ الرحمةِ فلا يؤاخِذُ بالبغي فقل: "ربكم ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين، فلا [تَرُدُّ] (٢) رحمتُهُ بَأسَهُ عليهم، بل ربَّما أَوْدَعَ قَهْرَهُ في صورة لُطْفِهِ استدراجًا فلا تَغْتَرُّوا.

﴿ ١٤٨ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ في رَدِّ الدعوة وتكذيب الرسول ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ عطفٌ على الضمير المرفوع في "أشركنا"، بلا تأكيدِ المُفَصَّل بـ"لا" ﴿ وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ أي: ما صدر منا ومن آبائنا ما صدر إلا بمشيئته تعالى وإرادته، أصابوا فيما قالوا على وفق ما مرَّ في هذه السورة من قوله تعالى: (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟) (٣) [وقوله تعالى] (٤): (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) (٥) ولكنهم أخطأوا في تمسُّكهم به في الردِّ على الرسول – صلى الله عليه وسلم – وزعمِهم أنَّ فيه حُجَّةً عليهم؛ بناءً على ظَنِّهم أنَّ ما أراده الله تعالى لا يكون منهيًّا عنه، وما لم يُرِدْهُ الله تعالى لا يكون مأمورًا به، فلا مَسَاغ للنهي عن شِرْكٍ دلَّ وقوعُهُ على أنَّه مُرَاد الله تعالى، والأمر بتوحيدٍ

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [كما] مكررة مرتين، والتصويب من ب.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ والنسخة ب: [يرد]، ولأن الرحمة مؤنث أبدلت الياء تاء.

(٣) من سورة الأنعام من الآية: ١٠٧.

(٤) ما بين معكوفين سقط من الأصل أ، أثبته كما في النسخة ب.

(٥) من سورة الأنعام من الآية: ١١٢.

دلَّ عدم وقوعه على أنه لم يكن مرادًا [له][١] تعالى؛ لما تقرَّر في موضعه: أنَّه لا تـلازم بـين الأمر والإرادة، بل يَنْفَكُّ كلٌّ منهما عن الآخر، وكذا بيْنَ النَّهْيَ وعَدَمَ الإرادة، ولـذلك أي: لعـدم خطأهم في [القول][٢]المذكور بل في احتجاجهم به صلى الله عليه وسلم ذمَّهم بالتكـذيب دون [الكذب][٣] حيث قال: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثل ذلك التكذيبِ العظيمِ لكَ ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم ﴾ للرُّسُلِ، وهذا دليلٌ على أنَّ مُرادَهُم التكذيب دون إيْلاءِ لعُذْر ﴿ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ ﴾ حتى أنزلنـا عليهم العذاب بتكذيبهم، وبيَّن أنَّ احتجاجَهم ليس عن عِلمٍ ويقينٍ بل عن ظنٍّ وتخمينٍ بقوله: ﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ ﴾ أي: ليس عندكم بذلك علمٌ ﴿ فَتُخۡرِجُوهُ ﴾ فتظهروه ﴿ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ الذي لا يغني عن الحق شيئًا ﴿ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾ وما أنتم إلا تُخَمِّنون وتُقدِّرون أنَّ الأمرَ كما زعموا، وليس كذلك؛ لِمَا مرَّ من بُطلانِ مَبْنَى ذلك الظَّنِّ، فلا مُتَمَسَّكَ فيما ذُكِرَ لأهـل الزَّيـغ والضلالِ من أصحاب الاعتزال، ولا حاجة إلى التوجيه والتأويل بتقييد المشيئة أولاً؛ أي: فيما مَرَّ، وإجرائها على إطلاقها آخرًا؛ أي: فيما سيمرُّ.

﴿ ١٤٩ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ ﴾ الفاء: للسَّبَبِيَّةِ، والجُمْلَةُ مُسَبَّبَةٌ عمَّا دلَّ عليه الكلام السابق، والمعنى: إذ قد ظهر عدمُ تمام حُجَّتكم فالحُجَّةُ التَّامَّةُ مُخْتَصَّةٌ به تعالى.

﴿ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ الفاء قامت مقام إنَّ في تحقيق ما دلَّ عليه الكلامُ السابقُ مِن كـونهم محجوجين؛ وذلك أنَّ فيه إلزامًا لهم [بناءً][٤] على قولهم: "بل قد صَدَقْتُم ولكنْ كما شاءَ كُفرَكُم لو شاء هِدايَتَكم لهداكم كُلَّكُم فبأيِّ شيءٍ عَلِمْتُم أنَّه لم يشأ هدايَتَكم حتى أصرَرْتُم"، وهذا تهيـيجٌ لمـن

([١]) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ:، والإضافة من ب.

([٢]) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

([٣]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الكذيب]، والإضافة من ب.

([٤]) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

عسى أنْ يَكونَ له استعدادٌ منهم فيَنتَفِعَ ويهتدي فيَرجِعَ عن الشِّركِ ويؤمنَ. وفيه [فائـدة أخـرى وهي تَدارُكٌ لما يَخْطُرُ بالبال من إبطال احتجاجهم أنْ يكون الاختلال في] (١) قولهم: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ (٢) بتصديقهم في ذلك المقال، ففيه حُجَّةٌ دامِغَةٌ لأصحاب الاعتزال.

﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ﴾ (١٥٠) هلمَّ من أسماء الأفعال يجيء متعدِّيًا كما ههنا بمعنى: هـاتوا، ولازمًـا كقوله: ﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ (٣) ؛ أي: تعالوا، وإنَّما أضاف الشهداء إليهم؛ لأنَّها لو أُطلِقَت لكان المعنى: "هَلُمَّ ناسًا يشهدون"، فكان ظاهِرُهُ طَلَبُ الشُّهَدَاءِ بالحقِّ، وذلك فاسدٌ ﴿ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ﴾ يعني: "مُرتضاهم وقُدْوَتُهم" أمَرَهم بإحضارهم ليُلزِمَهُم الحُجَّة ويُبَكِّتَهم فيُظهِرَ للمشهود لهـم عنـد انقطاعهم أنَّهم ليسوا على شيءٍ؛ ولهذا قال: ﴿ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾ فلا تُـصَدِّقهُم، ولا تُسَلِّم لهم؛ كنَّى عن ذلك بالشهادة معهم مُبَالغة في النهي، دلالةً على أنَّ الإصغاء إليهم دخولٌ فـي عِدَادِ الشُّهَدَاء بالباطل ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ من باب وَضْـعِ الظـاهر مَوْضِـعَ المضمَر، للدلالة على أنَّ المكذب بآيات الله تعالى لا يكون إلا [مُتَّبِعَ] (٤) الهـوى؛ إذ لـو اتَّبـع الدليلَ والعقلَ لكان مُصَدِّقًا بها ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ ﴾ كـ[عامَّةِ] (٥) عَبَدَةِ الأوثـان ﴿ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ أي: يجعلون له تعالى عديلاً.

---

(١) ما بين معكوفين سقط في الأصل، والإضافة من ج.

(٢) من سورة الأنعام من الآية: ١٤٨.

(٣) من سورة الأحزاب من الآية: ١٨.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [متتبع]، والإضافة من ب.

(٥) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

﴿ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ ﴿١٥١﴾ من التعالي [١]، وأصلُهُ: أمرُ مَنْ كانَ في مكانٍ عالٍ لمن هو أسفل منه، فعُمِّمَ اتساعًا فيه؛ لكثرة الاستعمال، ﴿ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ ما: موصولة منصوبة بـ"أتل"، أو استفهامية منصوبة بـ"حرَّم"، والجملةُ في محلِّ النصبِ بـ" أتلُ " ؛ لأنَّ التلاوة من باب القول أي: "أتلُ أيَّ شيءٍ حرَّم ربُّكم" ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ متعلقة بـ"حَرَّمَ"، و"أنْ" في: ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ مُفَسِّرَةٌ، ولا: للنهي لعَطْفِ الأوامر عليه في قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ لأنَّ تقديره: "وأحسنوا بالوالدين [إحسانًا] (٢)"، وعَطْفُ الأوامر على النواهي الواقِعَةِ بعد "أنْ" المفسِّرَةِ لتلاوة المُحَرَّمَاتِ مَعَ القَطْعِ، [فإن] (٣) المأمورَ به لا يكون محرمًا، دلَّ عليه أنَّ التحريمَ راجِعٌ [إلى] (٤) أضدادها، وذلك أنَّه لمَّا علَّق التلاوة بالتحريم إجمالاً ثُمَّ فسَّرَهُ بالتفصيل وجب أنْ يكون التفاصيلُ كلُّها مَنْهِيَّاتٌ مُحرَّماتٌ، لكِنْ عَدَلَ في بعضها إلى الأمر [بأضدادها] (٥) مبالغة في النَّهْيِ وتنبيهًا على أنَّ أضدادها واجبة فيَلْزَمُهُ النَّهْيَ عنها بأبْلَغ الوجوهِ، ويُحتمل أنْ [تكون](٦) الأوامرُ معطوفةً على المناهي، وداخِلَةٌ تحتَ [أنْ] (٧) التفسيرية و"شيئًا" يَحْتَمِلُ المَصْدَرَ والمَفْعُولَ.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: وأحسنوا بهما إحسانًا، وَضَعَهُ [في](٨) موضع النهي عن الإساءة إليهما؛ للدلالة على [أنَّ](١) ترك الإساءة في شأنهما غير كافٍ، بخلاف غيرهما، و[لك] (٢) أنْ تقولَ إنَّها

---

[١] التَّعالِي: الارْتِفاعُ إذا أمَرْتَ منه قُلْتَ : تَعالَ بفتح اللام ولها : تَعالَيْ، **القاموس المحيط**، ١٦٩٤.

(٢) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [تارة]، والتصويب من ب و ج.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [على]، والتصويب من ب وج.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بأضداد]، والتصويب من ب وج.

(٦) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يكون]، والتصويب من ب.

(٧) ما بين معكوفين أسقطت في الأصل أ، والإضافة من ب وج.

(٨) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب وج.

معطوفةً على قوله: ﴿ أَتْلُ مَا حَرَّمَ ﴾ أمرهم أولاً [بأمرٍ يترتب][٣] عليه ذِكْرُ مَنَاهٍ، ثم أمـرهم ثانيـًا بأوامرَ ويُتْبِعُهَا المُبَالَغَة في النَّهْي ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم ﴾ النَّهْيُ مُطْلَقٌ، وإنَّما قال: ﴿ مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ إظهارًا لسوء صنيعهم [فأنَّهم] [٤] كانوا يفعلون [ذلك] [٥] من أجله في الأساس، "أَمْلَقَ الرَّجُـلُ": أنفق ماله حتى افتَقَرَ، ولمَّا كان الإملاق باعتبار بدايته إنفاقًا وباعتبار نهايته فقرًا جاز استعمالُهُ في كُلٍّ منها، وقد قيل [٦]: الخطاب [هنا] [٧] للفقراء، ولِذا قُدِّمَ رِزْقُهُم فقيل: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ منعًا لمُوْجَبِهِ ما كانوا يفعلون لأجله، واحتجاجًا عليهم فناسب أنْ يُفَسَّرَ الإملاقُ هنا بــ "الفقــر"، والخطاب في: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ [٨] للأغنياء ولذا قُدِّمَ رزق أولادهم فقيـل: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ فناسب أنْ يُفَسَّرَ الإملاقُ [بالإنفاق] [٩] ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ كبائرَ الـذُّنوبِ ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ بدلٌ منه، والظاهر: ما بينك وبين الخلق، والباطن: ما بينك وبينَ الحَقِّ ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ﴾ لمَّا كان في إطلاق النفس شُمُولٌ للنفوس الحيوانيَّةِ والأصل في قتلهـا الإباحـة؛

---

(١) ما بين معكوفين سقط في النسخة أ، والإضافة من ب وج.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ذلك]، والتصويب من ب.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ترتب]، والتصويب من ب.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بأنهم]، والتصويب من ب.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [كذلك]، والتصويب من ب.

٦ لم أعثر على قول أن المخاطب هنا الفقراء، لكن أغلب الأقوال على تحريم قتل الولد خشية الفقر، تفسير الطبري، ٦٥٧/٩، مفاتيح الغيب، ١٣/١٧٧-١٧٨، وذكر القرطبي أنه حجة لبعض الفقهاء في تحريم العزل، تفسير القرطبي، ١٣٠/٧.

(٧) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

(٨) من سورة الإسراء .

(٩) ما بين معكوفين في الأصل أ: [والإنفاق] والتصويب من ب.

قيَّدها بقوله: ﴿ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ يعني: النفسَ الإنسانيَّة ﴿ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: بما يَحِقُّ به قتلُها [ككفرٍ] [(١)] بعد إيمان، [عُهرٍ] [(٢)] [بعدَ إحصانٍ] [(٣)] ، وقتلِ نفس ظلمًا ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ إشارة إلى ما ذكر مُفصَّلاً ﴿ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾ لمَّا كان في الوصية [٤] معنى الاهتمام والمحافظةِ زيادة على معنى الطلب استُعِيرَتْ للأمر المؤكَّد، والموصى به نفس ما ذكر، لاحِظْهُ.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ترشدون؛ فإنَّ غاية العقلِ الرُّشدُ.

﴿ (١٥٢) وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ ﴾ نهى عن القُرْبِ الذي يعمُّ وجوه التَّصَرُّفِ، وفيه سدُّ الذريعةِ ﴿ إِلَّا بِٱلَّتِي ﴾ أي: بالخصلة التي ﴿ هِيَ أَحْسَنُ ﴾ في حقِّ اليتيم، وإنَّما هي بصيغة التفضيل مراعاةً [لمال] [(٥)] اليتيم ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ غايةٌ من حيث المعنى أي: احفظوه عليه حتى يبلغ أوَانَ الحِلم مَع الرُّشدِ فادفعوه إليه، و"الأشُد": جَمعُ "شِدَّةٍ" كـ"أنعُم" و"نِعْمَةٍ" ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ الإيفاءُ مخصوصٌ بالكَيل، والميزان عَطفٌ عليه بطريقة ذِكْرِ أحَدِ الفِعلين، وعَطفِ متعلَّق المحذوف على المذكور على حسب ما يقتضيه لفظ "حتى" كأنَّه شريكه في أصل الفعل، كقوله:

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [فكفر] وفي نسخة ب و " ج: [ككفر] أثبت ما وافق ب و ج؛ لأنَّه في معرض التعديد لأسباب استحقاق الولي بإقامة الحد بالقتل، كما في الحديث: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزان والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة) رواه مسلم في صحيحه عن مسروق عن عبد الله، في باب ما يباح به دم المسلم، ٥/ ١٠٦.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ورَجْم]، والتصويب من ب.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [إحصار]، والتصويب من ب وج.

(٤) وصى فلانًا وإليه: جعله وصية يتصرف في أمره وماله وعياله بعد موته، وعهد إليه وإليه وله بشيء جعله له وبه فلانا استعطفه عليه، ووصى فلانًا بالشيء أمره به وفرضه عليه يقال أوصى الله الناس بكذا وكذا، المعجم الوسيط، ١٠٣٨/٢.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بمال]، والتصويب من ب و ج.

[علفتها] (١) تبنًا وماءً باردًا (٢) ....

وقوله: ﴿ بِٱلْقِسْطِۖ ﴾ بالعدل والتسوية، متعلق بالفعل المحذوف أي: "وزِنُوا الميزانَ بالقسطِ" فإنَّه مظنَّةُ البَخْسِ بحيث لا يَتَفطَّنُ به صاحِبُه، بخلاف الكيل.

﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ ﴾ الوُسْع: ما احتملته [الطاقة] (٣)، وذِكرُهُ عَقِيبَ الأمرِ للدلالة على أنَّه لا يؤاخذها بتقصيرٍ يَقعُ بعدَ الاجتهاد في مراعاة العدل ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ ﴾ أريد بالقول هنا: ما لا يُطَّلعُ عليه إلا بالقول من أمرٍ وحُكمٍ وشهادةٍ وخبرٍ وسعادةٍ وغيرِ ذلك.

﴿ فَٱعْدِلُواْ ﴾ فيه ﴿ وَلَوْ كَانَ ﴾ المقولُ له، أو عليه، ﴿ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ من ذوي قرابَتِكم

﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ أي: بما عاهدتم الله من أوامره ونواهيه ﴿ أَوْفُواْۚ ﴾ وبما عاهدتم الله عليه من أيمانِكم ونُذُورِكم ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾ أي: أمَرَكُمْ بهِ، وأكَّدَ الأمرَ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ لمَّا كان في هذه الأمورِ نَوْعُ خفاءٍ بالقياس إلى ما سَبَقَ، بحيثُ يَحْتَاجُ إلى الاجتهاد والذِّكْرِ الكثير خُتِمَتْ بـ: " تَذَكَّرون ".

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يجعله]، والتصويب من ب.

(٢) صدر بيت من بحر الرجز ولم أقف على قائله، والبيت بتمامه:

عَلَفْتُها تِبْنًا وَمَاءً بارداً   حَتَّى غَدَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الكُلفة]، والتصويب من ب.

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى ﴾ الصراط مِنَ السبيل: ما لا التواء فيه ولا اعوجاج، بل يكون على جهة القَصْدِ، وإنَّما يُوصَفُ بالاستقامة للاحتراز [عن] (١) المَيْلِ إلى شيءٍ من الجوانب الأربعة بالصعود والهبوط ونَحْوِهِمَا، إلا أنَّ [الاحتراز] (٢) المذكور حصل هنا بالإضافة، فقوله: ﴿ مُسْتَقِيمًا ﴾ حالٌ مؤكَّدةٌ، والإشارةُ إلى ما ذُكِرَ في السورة؛ فإنَّها بأسْرِها في إثبات التوحيد والنبوَّةِ وبَيَانِ الشريعةِ، وقرئ [٣]: " إنَّ " بالكسر على الاستئناف، وبالفَتْحِ بتقدير اللام على أنَّه [علَّة الأمر] (٤) في قوله: ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ وقُرئ [٥]: " أنْ " مُخَفَّفَة من الثقيلةِ، وفيها ضمير الشَّأْنِ ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ الأديان المختلفة، أو الطُّرُقَ التابعة للهوى، [والطريق] (٦) [٧]: كلُّ ما يَطْرُقُهُ طارقٌ، مُعْتَادًا [كان أو غير معتاد] (٨) ، والسبيل من الطُّرُقِ: ما هو معتاد [السلوك] (٩) أعمُّ من أن يكون على جهة القصد أو لا، وبهذا التفصيل تبيَّنَ وَجهُ إصابة كلٍّ من الصراط والسبل فتَحَرَّهُ، ﴿ فَتَفَرَّقَ ﴾ الفاء: جواب النهي، والمضارع المحذوفُ "التاءِ": منصوبٌ بإضمار أنْ، وفاعله: ضمير

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [على]، والتصويب من ب وج.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [للاضطرار]، والتصويب من ب.

[٣] قراءة متواترة عن حمزة والكسائي، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٧.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [لام]، والتصويب من ب وج.

(٥) قراءة متواترة رويت عن ابن عامر، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٧.

(٦) ما بين معكوفين في الأصل أ غير واضحة، أثبتها كما في ب و ج.

[٧] الطَّرِيْقُ: المطروق، والممر الواسع الممتد أوسع من الشارع، ومسلك الطائفة من المتصوفة، جمعه: طرق، المعجم الوسيط، ٥٥٦/٢.

(٨) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

(٩) ما بين معكوفين في الأصل أ: [السوس] والتصويب من ب وج.

"السُبُلَ"، ومنهم [1]: من لم يحذف التاء بل أدغمها في تاء التفعيل، فقرأها بتشديد التَّاءِ. والباءُ فــي: ﴿ بِكُمْ ﴾ للتعدية، وتعديته بـــ" عن " لتَضَمُّنِهِ معنى الإزالة؛ أي: فتزيلكم متفرقين ﴿ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ فيه التفاتٌ وتفنُّنٌ [وتنبيهٌ] (٢) على أنَّ الطريقَ المنسوبَ إليه تعــالى لا يكــونُ إلا صــراطًا مستقيمًا ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ الإشارة إلى مجموع الأمْر والنَّهْي ﴿ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ذكَرَ أوَّلاً: " تعقلون " ثُمَّ " [تذكرون] " (٣) ثُمَّ " تتقون "؛ لأنَّهم يَعقِلون، ثم يَتَفَطَّنونَ، ثم يتَّقون المحارمَ والمَهَالِكَ

﴿ (١٥٤) ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ عَطفٌ على " ذلكم وصَّاكم به "، فــ" ثُمَّ ": للتراخي في الإخبار، أو للتفاوت في الرُّتبة، كأنَّه قيل: " ذلكم وصَّاكم به قديمًا ثم آتينا "، أو " ثُمَّ أعْظَمَ من ذلك أنَّنَا آتينا موسى الكتاب" ، ﴿ تَمَامًا ﴾ للكرامة والنعمة ﴿ عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ على كلِّ من أحْــسَنَ القيــام، ويؤيِّده قراءة ابن مسعود [4] رضي الله عنه: (على الذين أحسنوا)، وقراءة أُبَيٍّ [5]: (تمامًــا علــى المحسنين) ، أو على الذي أحسن بتبليغه وهو موسى – عليه السلام –، أو تمامًا على [الذي] (١)

([1]) قراءة البزي عن قنبل، قراءة متواترة، **القراءات المتواترة**، ١٢٧.

(٢) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يتذكرون]، والتصويب من ب وج.

([4]) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، (توفي٣٢هــ/٦٥٣م) صحابي جليل وأول من جهر بالقرآن في مكة، اشتهر بطيب الرائحة، وتوفي في المدينة عن عمر يناهز ستين عامًا، الزركلي، الأعلام، ١٣٧/٤.

([5]) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد، واسمه تيم اللات (توفي ٢١هــ/ ٦٤٢م)، كناه النبي صلى الله عليه وسلم بأبي المنذر، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي بن كعب، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح " .وكان يقول عنه عمر: "أبي سيد المسلمين"، أسد الغابة، ٣٠/١، الأعلام، ٨٢/١.

(١) أحسنه؛ أي: أجَادَهُ من العِلْمِ والشَّرَائِعِ؛ أي: زيادةً على علمه إتمامًا له، وقُرِئَ [٢]: بالرفع على أنَّ تقديره: " على الذي هو أحسنُ ". وقيل [٣] في وجه النصب: أنَّه خُفِضَ لكنَّه لا ينصرفُ فَفُتِحَ وحينئذٍ يكون بدلاً من "الذي" ، وترجمةً عنه كقولك: "مررت بالذي خيرٍ منك" بالخَفْض ﴿ وَتَفْصِيلًا ﴾ بيانًا في غاية التفصيل، عَطْفٌ على " تمامًا " ، ونَصبُهُمَا يَحتَمِلُ العِلَّة والحالَ والمَصْدَرَ، ﴿ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ يُحْتَاجُ إليه في الدين، ففيه دَلالةٌ على أنَّه لا اجتهاد في شريعة موسى عليه السلام؛ لأنه فَرْعُ الإجمالِ في بعض الأمور الدينيَّة ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ يهوِّن عليهم مُقَاساة التكليف [بما](٤) ذُكر من التعريف ﴿ لَعَلَّهُم ﴾ لعلَّ بني إسرائيل ﴿ بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ ﴾ بلقاء ثوابهِ وعِقَابِهِ يومَ الجزاء ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ يُصدِّقون.

﴿ (١٥٥) وَهَٰذَا ﴾ أي: القرآنُ ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ عظيمُ الشأن ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ أسنَدَهُ إلى نفسه بـ"نون العظمة " ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ كثيرُ النفع؛ إنَّما فرَّق بينه وبين قرينه بـ" أنزلنا " ؛ لأنَّ الانتفاع [به](٥) بعد نزوله ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ ﴾ مخالفته ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [بذلك] (٦) علَّقها بكلمة [الترجِّي](٧)؛ لأنَّ حصولَهَا بالخَتْم على الإيمان وفيه خَطَرٌ.

---

(١) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

(٢) قراءة الحسن والأعمش، قراءة شاذة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٧.

(٣) قائله الطبري، تفسير الطبري، ٦٧٥/٩.

(٤) ما بين معكوفين في الأصل أ: [لما]، والتصويب من ب وج.

(٥) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

(٦) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

(٧) ما بين معكوفين في الأصل أ: [التراخي]، والتصويب من ب.

﴿ (١٥٦) أَن تَقُولُوٓاْ ﴾ كراهة أنْ تقولوا علةٌ لمقدَّرٍ دلَّ عليه " أنزلناه "، فيما تقدَّم، وقُـرِئَ[١]: بالتـاء والياء، وعلى الثاني: فيه التفاتٌ من خطابٍ [في][٢]: " فاتبعوه واتقوا "، وفـي: " قـد جـاءكم " التفاتٌ من الغَيْبَةِ إلى الخطابِ، وكلاهُما في مَحَزِهِ حيثُ أعرَضَ عنهم، وجعلهم غائبين عند مكانَةِ أقوالِهم الرديَّةِ، ثم خاطبهم عندَ قصدِ توبيخهم وتبكيـتهم ﴿ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ جـنسُ الكتـابِ [المنحصر][٣] في التوراةِ والزَّبُورِ والإنجيلِ بقولهم: (من قبلنا) ، وأمَّا الصُّحُفُ فليست من جنس الكتاب في العُرْفِ ﴿ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا ﴾ أي: اليهودِ والنصارى، ودلَّ هذا على أنَّ المجـوسَ ليسوا من أهل الكتاب، إذ لو كانوا منهم كانوا ثلاثَ طوائِفَ ﴿ وَإِن كُنَّا ﴾ إنْ: هي المُخَفَّفَـةُ [دلَّ][٤] عليه دخول اللام الفارقة خَبَرَ " كان " ؛ أي: "وأنَّه كنَّا" ﴿ عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴾[٥] لا ندري ما هي؛ لأنَّه [لم يكنْ][٦] على لغتنا فلم [نقدر][٧] على قراءته.

﴿ (١٥٧) أَوۡ تَقُولُواْ ﴾ عَطفٌ على الأوَّلِ ﴿ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ ﴾ [أرشـد][٨] وأسْـرَعَ اهتداءً ﴿ مِنۡهُمۡۚ ﴾ لِحِدَّةِ أذهانِنَا، وثَقَابَةِ أفهامِنَا، ولهذا تلقَّفنا فنونًا من العلـم كـالتواريخ والأشـعار

---

(١) قراءة الجمهور المتواترة بالتاء، وقراءة أبي عمرو ووافقه ابن محيصن واليزيدي بالياء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ٢٩٣.

(٢) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ والإضافة من ب.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ:[المنحصرة]، والتصويب من ب وج.

(٤) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

(٥) في الأصل أ: [من دراستهم]، والتصويب من ب وج.

(٦) ما بين معكوفين في الأصل أ: [لا يكون]، والتصويب من ب.

(٧) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يقدر]، والتصويب من ب.

(٨) ما بين معكوفين في الأصل أ: [أشد]، والتصويب من ب.

والخُطَبِ على أنَّا أُمِّيُّون ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ حُجَّةٌ واضحة تعرفونها، تبكيتٌ لهم وإلزامهم الحُجَّة، وفيه إيجازٌ بحذف الشرط إشعارًا بتصديقهم [في][(١)] دعوى الذكاء وحِدَّةِ الذِّهن، وأنَّ من يدَّعي ذلك فليَتَنَبَّهْ بِمِثْلِ هذه النُّكْتَةِ، وليُدْرِكْ البيِّنة، وبعثًا لأفهامهم وتهييجًا وإيذانًا [بأنَّ][(٢)] الأهمَّ هو الجزاء لا الشرط، والمعنى: إنْ صَدَقْتُم في الدعوى فقد جاء أوانُ إظهار صِدْقِهِ ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ كالذي أُنْزِلَ على من قبْلَكُمْ ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ أي: لنفسه [ولغيره][(٣)] وقد مرَّ في تفسير قوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ)[(٤)] تحقيقُ هذا النوع من الاستفهام[(٥)] ﴿ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ بعدما عَرَفَ صحَّتَهَا وتمكَّنَ من معرفتها ﴿ وَصَدَفَ ﴾ صَدَّ ﴿ عَنْهَا ﴾ الناسَ فَضَلَّ وأضَلَّ، وأمَّا معنى الإعراض فقد حَصَلَ بالتكذيب ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي: العذاب السيِّئ وهو الموصوف بنِهَايَةِ النِّكَايَةِ ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾ بسبب استمرارهم على تجديد الصدِّ وإحداثه حِينًا فَحِينًا.

﴿ ﴿١٥٨﴾ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي: ما ينتظرون يعني الذين قالوا: (لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا)[(٦)] [إلى آخره][(١)] ﴿ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾ هذا ما ذكروه بقولهم: (أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [عن]، والتصويب من ب.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [إن]، والتصويب من ب وج.

(٣) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

(٤) من سورة البقرة من الآية: ١١٤.

(٥) وهو: " أي: لا أظلم منه؛ دلت على ذلك صيغة التفضيل في سياق الاستفهام الإنكاري، وهذا لا ينافي كون المشرك أظلم؛ لأن فضله في الظلم لنفسه وفضل هذا في الظلم للغير "، تفسير ابن كمال باشا تحقيق: نوح الربابعة، مرجع سابق، ٢/٣٧٦.

(٦) من سورة الإسراء من الآية: ٩٠.

وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا)[٢]، ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ ﴾ هذا ما ذكروه بقولهم: (أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا)[٣] وإنَّما عبَّر عنه ببعض آيات ربِّك تعظيمًا؛ لأنَّه أعظم الآيات الظاهرة قبل قِيَام السَّاعَةِ ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ يعني: الآيات المذكورة آنفًا لا بَعضَ أشراطِ الساعةِ مطلقًا؛ لأنَّ الإيمان نافِعٌ بعد ظهورها، كيف ونزول عيسى عليه السلام لِدَعْوَى الخَلْقِ إلى دين الحقِّ بعد خروج الدجَّال ﴿ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا ﴾ كالمُحْتَضِرِ إذا صار الأمر عيانًا، والإيمان المقبول برهانيًّا كان أو تقليديًّا: ما يكونُ بالغَيبِ ﴿ لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ ﴾ صفة " نفسًا " ﴿ مِن قَبۡلُ ﴾ متعلِّقٌ بالمعطوفين ﴿ أَوۡ كَسَبَتۡ ﴾ عَطفٌ على: "آمنت" ﴿ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ ﴾ أريد بـ"الإيمان" المَعْرِفةُ، يُرْشِدُكَ إلى هذا قراءة[٤]: " لا تنفع " بالتاء، وبـ"كسب الخير": الإذعان والقبول، ونحن مَعَاشِرَ أهلِ السُّنَّةِ نقول بما هو مُوجَبُ النَّصِّ من أنَّ الإيمانَ النافعَ مَجمُوعُ الأمْرَين، فلا حُجَّة فيه للمخالف؛ لأنَّ مبناها على حمل الإيمان على المعنى الاصطلاحي المُخْتَرَعِ بعدَ نزولِ القرآن، وتخصيصُ الخيرِ بما يكون بالجوارح، وكلٌّ منها خلافُ الأصل والكلام، ولو سُلِّمَ فنقول: الإيمان النافع لا بد فيه من أمرين: الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان، وقد عبَّر عن الأوَّل بقوله: "آمنَتْ" وعن الثاني بقوله: "أو كسَبَتْ" ؛ فإنَّ الكسْبَ يكون [بالآلات][٥] البدنية [ومنها][٦] اللسان، [فمنطوق][١] الآية على وفق مذهبنا والله تعالى أعلم.

([١]) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

([٢]) من سورة الإسراء من الآية: ٩٢.

([٣]) من سورةالإسراء من الآية: ٩٢.

([٤]) قراءة شاذة ذكرها البيضاوي في تفسير البيضاوي دون نسبته لقائل، ٤٦٩/٢، ونسبها القرطبي لابن سيرين وقال أبو حاتم: "يذكرون أن هذا غلط من ابن سيرين"، تفسير القرطبي، ١٤٨/٧.

([٥]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بالإيمان] والتصويب من ب و ج.

([٦]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [وفيها]، والتصويب من ب.

﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ [أي: انتظروا] (٢) إتيانَ أحَدِ الثلاثة ﴿ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ له؛ وعيدٌ لهم، [ووعـدٌ] (٣) لنا.

﴿ ١٥٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾ أي: بدَّدُوا ﴿ دِينَهُمْ ﴾ فآمنوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ وافترقوا فيه؛ قال صلى الله عليه وسلم: " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقةٍ، كلُّها فـي الهاويـة إلا واحـدةً، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقةً كلُّها في الهاوية إلا واحدةً، وستفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقةً كلُّها في الهاوية إلا واحدة "(٤) ، وقُرِئَ: فارقوا ﴿ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ [فِرَقًا]٥ جَمْعُ شيْعَةٍ؛ وهي: الفرقة المُتَّفِقَةُ على طريقٍ ومذهبٍ، مِنْ " شـاعه " إذا اتَّبَعَـهُ وأصـلُهُ: [الـشِّيَاعُ]٦ وهـو [الحطَبُ]٧ الصِّغَارُ تُوقَدُ به الكبار ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ ﴾ من أمرهم ﴿ فِي شَيْءٍ ﴾ أي: ليس إليك شيءٌ من مجازاتِهم أو العفوِ عنهم، إنَّما عليك إنذارُهم وتبليغُ الوحي إلـيهم ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إنْ شـاء

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [لمنطوق]، والتصويب من ب.

(٢) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

(٣) ما بين معكوفين في الأصل أ: [وعد] بواو واحدة، والتصويب من ب.

(٤) الحديث كما في المستدرك على الصحيحين عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وتفترق أمتي على ثلاث وسـبعين فرقة » الحديث رقم ١٠.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [فرق]، والتصويب من ب.

(٦) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الشاع]، والتصويب من ب.

(٧) في الأصل أ: [الخطب]، والتصويب من ج.

عاجَلَهُم بالعقوبة، وإنْ شاء أخَّرَهم إلى الآخرة، وإنْ شاءَ [وفّقهم للرجوع][1] عنها فعفا عـنهم ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفۡعَلُونَ ﴾ ؛ أي: في الآخرة ويُجازيْهمْ على ذلك.

﴿ ﴿١٦٠﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ ﴾ لم يقُلْ: "من عمل الحسنة"؛ ليُعلَمَ أنَّ النَّظرَ إلى ما خُتِمَ به، وعلى ذلك قال صلى الله عليه وسلم: "... الأعمالُ [بالخواتيم][2] " [3] ﴿ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ﴾ على إقامـة صـفة الجنس المميَّز مَقامَ الموصوفِ تقديره: عَشْرُ حَسَنَاتٍ أمثالها، لم يُرد به القصْرَ بل أراد به التَّفَضُّلَ بالتَّضعيف، وهذا أقلُّ ما وَعَدَنَا لأضْعَافٍ، وقد جاء الوعد بسبعين، وبسبعمائة، وبغير حسابٍ [4].

وقرئ [5]: " عشرٌ " بالتنوين، و" أمثالها " بالرَّفع على الوَصْفِ ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ﴾ أي: واحدةٌ بواحدةٍ، هذا بحُكْمِ الوَعْدِ لا باقتضاء العدل كما توهَّمَهُ المُعتزلةُ؛ إذ لا حقَّ للخلـق على الخالق ﴿ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ بنقص ما وَعَدَ لهم من الأجر وبالعقاب بلا استحقاقٍ.

([1]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [منهم الرجوع]، والتصويب من ب.

([2]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [بالخواتم]، والتصويب من ب.

([3]) الحديث طويلٌ رواه البخاري عن سهل بن سعد وفيه: «إنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أهْلِ النَّارِ وَإنَّهُ مِنْ أهْـلِ الجَنَّـةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أهْلِ الجَنَّةِ وَإنَّهُ مِنْ أهْلِ النَّارِ، وَإنَّمَا الأعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»، صحيح البخاري، ١٢٤/٨.

[4] الأحاديث كثيرة كالحديث الذي رواه الترمذي في سننه عن أبي هريرة : قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إن ربكم يقول كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والصوم لي وأنا أجزي به الصوم جنة من النار ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وإن جهل على أحدكم جاهل وهو صائم فليقل إني صائم"، الترمذي، سنن الترمذي، ١٣٦/٣.

[5] قراءة عن الأعمش قراءة شاذة، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٨/١.

﴿ (١٦١) قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ؛ أي: أرشدني إلى ما نَصَبَ من الحُجَجِ ﴿ دِينًا ﴾ بَدَلٌ من مَحَلِّ إلى صراطٍ؛ لأنَّ معناه: " هداني صراطًا "؛ لقولـه: (وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا)[(١)] ، أو مفعولُ فِعْلٍ مُضمَرٍ دلَّ عليه الملفوظ، أو حالٌ مِن " صراطٍ " [لاختصاصه] [(٢)] بالصفة، أو نَصبٌ على المدح؛ أي: " أعني وأخصُّ دينًا " ﴿ قِيَمًا ﴾ "فَيْعِلٌ" من "قَامَ كـ"سَيِّدٍ" مِن "سَادَ" ، وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزِّنَةِ، والمستقيمُ [أبلغُ منه][(٣)] باعتبار الصيغة؛ لأنَّه نَصٌّ في الاستقامة، وقُرِئَ [٤]: " قِيَمًا " وهو: مَصْدَرٌ بمعنى: "القيام" وُصِفَ به ﴿ مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ عَطفُ بَيَانٍ لـ"دينًا"، إنَّما ذَكَرَ ذلك حثًّا لهم على اتِّباعه؛ لأنَّه دينُ أبيهم ﴿ حَنِيفًا ﴾ حالٌ من إبراهيم ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ عطف عليه.

﴿ (١٦٢) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ عبادتي وتقرُّبي كلُّه، وقيل[٥]: "وذبحي"، وجَمَعَ بين الصلاة والذَّبْح كما في قوله تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ)[(٦)] ، وقيل[٧]: " وحَجِّي " من مناسِكِ الحَجِّ، وإنَّما خصَّه بالذكر؛

---

(١) من سورة الفتح من الآية: ٢٠.

(٢) ما بين معكوفين في الأصل أ: [للاختصاص]، والتصويب من ب.

(٣) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

٤ قراءة مشهورة عن ابن عمرو وابن كثير وأبي جعفر، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ٢٧٨/١.

(٥) قائله القرطبي، تفسير القرطبي، ١٥٢/٧.

(٦) من سورة الكوثر الآية: ٢.

٧ قائله البيضاوي في تفسير البيضاوي، ٤٧٣/٢.

لأنَّ المشركين كانوا يُدخِلون الشِّرْكَ في التلبية وكذا [تخصيص][1] الذَّبْح بالـذِّكر علـى القـول الأوَّل.

﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾ وما أنا عليه في حياتي وأموتُ عليه من الإيمان والطَّاعَةِ، أو طاعاتِ الحيـاة والخيرات المضافة إلى الممات، كـ "الوصيَّةِ"، و[التدبير][2]، وقرئ [3]: " [مَحْيَـايْ][4] " بإسـكان "الياء" إجراءً للوقف مُجْرَى الوصل ﴿ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

﴿ (١٦٣) لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ خالصة له لا أشركُ فيها غيرَهُ الإخلاص ﴿ وَبِذَٰلِكَ ﴾ الإخـلاص ﴿ أُمِرْتُ ﴾ بَدَاءً بقوله: " قُلْ " ، وختَمَ بهذا بيانًا أنَّه يقول ائتمارًا لا افتخارًا ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ لأنَّ إسلام كُلِّ نبيٍّ متقدِّمٌ على إسلام أمته.

﴿ (١٦٤) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ هذا أبلغ من: (أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ)[5]؛ لدلالته على معنـاه بطريـق البرهان وهو: جواب عن دعائهم له صلى الله عليه وسلم إلى عبادة الأصنام ﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فلا يَصلُحُ أنْ يكونَ غيرُهُ معبودًا أصلاً، فضلاً [عن][6] أنْ يكونَ شريكًا له تعالى في المعبودية، وهو مُستَحِقٌ لأنْ يكونَ معبودَ كلِّ شيءٍ، جملةٌ حاليَّةٌ في مقام التعليل للإنكـار المـذكور ﴿ وَلَا

([1]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [الخصيص]، والتصويب من ب وج.

([2]) ما بين معكوفين في الأصل أ: [التقدير]، والتصويب من ب وج.

([3]) قالون وورش بالإسكان، قراءة متواترة، محمد حبش، **القراءات المتواترة**، ١١٨.

([4]) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

([5]) في الأصل أ: [أغير الله أعبد]، أثبت الصواب كما في سورة الزمر من الآية: ٦٤.

([6]) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ ﴾ أي: لا [تكون][(١)] جِنَايَةُ نفسٍ إلا عليها، ومعناه السَّلْبُ الكليُّ لا [رَفْعُ][(٢)] سَلْبِ الكلّيِّ فأداة السُّور داخلة عن النفي معنىً، وإن كانت مدخولـةً لفظـًا ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ﴾ أي: لا تحمل نفسٌ حاملِةٌ حِمِلَ نفسٍ أخرى، قال عطاء[٣]: قال الوليد بن المغيرة[(٤)] " اتَّبِعُوا سبيلي أَحْمِلْ عنكم فنزلت هذا، [فالمعنى][(٥)] نفيُ القُدرةِ عن الغير على ذلك التَّحَمُّلِ، وأمَّـا نفـيُ التَّحَمُّلِ من الله تعالى فالآية ساكتةٌ عنه، فلا منافاة بينها وبين حديث أبي موسى[٦] المـذكور فـي صحيح مسلم وهو هذا: " يجيء يوم القيامة ناسٌ من المسلمين بذُنُوبٍ أمثالِ الجبالِ فيغفِرُ الله لهـم ويضعها على اليهود والنصارى "[(٧)] ﴿ ثُمَّ ﴾ متعلّقٌ بقوله: " ولا تكسب كـل نفـس إلا عليهـا " وقوله: " ولا تزر " [معترضٌ][(٨)] تأكيدًا لما ذكر ﴿ إِلَىٰ رَبِّكُم ﴾ لا إلى غَيْـرِهِ ﴿ مَّرۡجِعُكُمۡ ﴾ يـوم القيامة ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾[(٩)] يُبَيِّنُ الرُّشْدَ من الغَيِّ ويميِّزُ الحقَّ من الباطل.

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يكون]، والإضافة من ب.

(٢) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب.

(٣) عطاء بن أسلم بن صفوان، ابن أبي رباح، (٢٧-١١٤هـ/٦٤٧-٧٣٢م)، تابعي من أجلاء الفقهاء، عبد أسود ولد في جند اليمن ونشأ بمكة، مفتي مكة ومحدثها توفي في مكة، الزركلي، الأعلام، ٤/٢٣٥.

(٤) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم، أبو عبد شمس (٩٥ ق هـ - ١ هـ / ٥٣٠ - ٦٢٢ م): من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها، الأعلام للزركلي ٨/ ١٢٢.

(٥) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والتصويب من ب.

(٦) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب القحطاني، (٢١ق هـ-٤٤هـ/٦٠٢-٦٦٥م)، صحابي جليل، وهو سيد الفوارس أبو موسى، ومن أحسن الأصوات بقراءة القرآن، ولي في عهد الخطاب البصرة سنة ١٧هـ، وكان أحد الحكمين الذين رضي بهم علي ومعاوية بعد صفين، الزركلي، **الأعلام**، ٤/١١٤.

(٧) الحديث رواه مسلم في صحيحه عن أبي بردة عن أبيه في باب قبول التوبة على القاتل وإن كثر قتله.

(٨) ما بين معكوفين في الأصل أ: [إما معترضة]، والتصويب من ب.

(٩) في الأصل أ: يوجد نقص في الآية وهو كلمة: [فيه]، والتصويب من ب و ج.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ خلائف الأمم الماضية في الأرض ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ في الخِلْقَةِ والمكْنَةِ والعِلْمِ والعُمْرِ ﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ ﴾ أي: [ليختبركم][١] ﴿ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ فيما أعطاكم من النِّعَم بالشُّكْر، [و][٢] فيما ابتلاكم به من المِحَن بالصَّبْر ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾ أي: لأعدائه، وإنَّما كان عقابه سريعًا؛ لأنَّه لا يحتاج إلى استعمال آلاتٍ، ولا يتوقَّف على استحصال أدواتٍ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ أي: لأوليائه، وَصَفَ العِقَابَ ولم يُضِفْهُ إلى نفسه، ووَصَفَ ذاتَهُ بالمغفرة، وضمَّ إليه الوصف بالرحمة، وأتى بـ" نا " المبالغة وعلى التأكيد "إنَّ" ، واللام تنبيهًا على أنَّه تعالى غفورٌ بالذات مُعَاقِبٌ بالعَرْضِ، كثيرُ الرَّحمة مُبَالغٌ فيها، قليل العقوبة مُسَامِحٌ فيها، لقوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)[٣] أي: استخلافُكُمْ فيها بعدَ القُرُونِ التي أهلكناها [استخلاف][٤] من يَختبِرُ، ولا يَلْزَمُ من هذا أنْ يكونَ الخِطَابُ للمؤمنين خاصَّة، وكلُّ من جاء بعد ما مضى فهو خليفَتُهُ: والجَمْعُ "الخلائف"، جاؤوا به على الأصل مثل: " كريمة" و"كرائم"، وقالوا أيضًا: "خُلَفَاء" من أجل أنَّه لا يَقَعُ إلا على مذكَّر، وفيه الهاء جمعوه على إسقاط الهاء فصار مثل: "ظَرِيْف" و"ظُرَفَاء"، [لأنَّ][٥] فعيلة بالهاء لا [تُجمع][٦] على فعلاء.

---

(١) ما بين معكوفين في الأصل أ: [ليختبر]، والتصويب من ب.

(٢) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ، والإضافة من ب وج.

(٣) من سورة يونس الآية: ١٤.

(٤) ما بين معكوفين سقط في الأصل أ،والإضافة من ب.

(٥) ما بين معكوفين في الأصل أ: [فإنَّ]، والتصويب من ب.

(٦) ما بين معكوفين في الأصل أ: [يُجمَع]، والتصويب من ب.

الخاتمة

قد حققت دراستي لسيرة حياة ابن كمال باشا، ومصنفاته، وشهادات العلماء فيه، وتحقيق تفسيره فوائد كبيرة، إذ بينت مدى ارتباط أبناء الثقافة الإسلامية بالقرآن الكريم وعلومه، وتواصلهم في شتى أقطارهم لخدمة كتاب الله العزيز ودينه القويم. ومع أن دارسين كثيرين سبقوني في تحقيق تفسير ابن كمال باشا لسور كثيرة من سور القرآن الكريم، فإن جهدي هذا ينضاف إلى جهودهم لإكمال مشروع ابن كمال باشا في تفسير القرآن الكريم، ويتيح الفرصة لأبناء العقيدة الإسلامية للاطلاع والإفادة من هذا التفسير. ثم إن في المنهج الذي اختاره ابن كمال باشا لتفسيره ما يوقف طلاب العلم على الجهد المبذول في خدمة كتاب الله العزيز، وما ضمنه المؤلف فيه من فوائد لغوية، وأنظار نحوية، وتوجيهات دلالية، وقراءات قرآنية. غير أن في الكتاب على فضائله الكثيرة هنات لا يكاد يسلم منها جهد إنساني، من ذلك مثلا أن المؤلف لم يكن يتحقق من صحة الأحاديث النبوية أو ضعفها، كما لم يكن يذكر مصادره في القراءات القرآنية المتواتر منها والشاذ. ومع كثرة إشاراته إلى الزمخشري والبيضاوي إلا أنه كان يغفل الإشارة إليهما في مواضع متعددة، رصدناها في مظانها في هذه الدراسة.

الفهارس

فهرس الآيات

	خَٰضِعِينَ)		
١٤	(وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ....)	سورة الكهف الآية: ٤٨.	٦٤
١٥	(إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ)	من سورة سبأ الآية: ٣١.	٦٤
١٦	(فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ)	من سورة الزمر الآية: ٥٦.	٦٥
١٧	(سَٰحِرٌ كَذَّابٌ)	من سورة ص الآية: ٤، ومن سورة غافر الآية: ٢٤.	٦٦
١٨	(كَاهِنٍ)	من سورة الحاقة الآية: ٤٢.	٦٦
١٩	(إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ)	سورة النمل الآية: ٨٠.	٦٩
٢٠	(صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ)	من سورة البقرة الآية: ١٨.	٧١
٢١	(وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ)	من سورة النمل الآية: ٢٣.	٧٣
٢٢	(مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ)	من سورة الفرقان الآية: ٧.	٧٧
٢٣	(إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى)	من سورة الشعراء الآية: ١١٣.	٨٢
٢٤	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	من سورة الأنعام الآية: ١٦٤، ومن سورة الإسراء الآية: ١٥، ومن سورة فاطر الآية: ١٨، ومن سورة الزمر الآية: ٧.	٨٢
٢٥	(أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا)	من سورة الفرقان الآية: ٤١.	٨٣

٢٦	﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾	من سورة الأحقاف الآية: ١١.	٨٣
٢٧	﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	من سورة الأنفال الآية: ٣٢.	٨٧
٢٨	﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾	من سورة الزمر الآية: ٤٢.	٩٥
٢٩	﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾	من سورة محمد الآية: ١١.	٩١
٣٠	﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾	من سورة البقرة الآية: ٢٥، وآية ٢٦٦، وسورة آل عمران من الآية: ١٥،	٩٤
٣١	﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾	من سورة ص الآية: ٨٨.	٩٥
٣٢	﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾	سورة الحجر الآية: ٣.	٩٨
٣٣	﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	سورة المدثر الآية: ٣٨.	٩٨
٣٤	﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ﴾	سورة القيامة الآية: ٢٤.	٩٨
٣٥	﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾	من سورة البقرة من الآية: ٤٨.	٩٨
٣٦	﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾	سورة النساء الآية: ٢٦.	١٠٠
٣٧	﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾	من سورة لقمان الآية: ٣٤.	١٠١
٣٨	﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾	من سورة غافر من الآية: ١٦.	٩٨

٣٩	(وَمَا لِىَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى)	من سورة يس من الآية: ٢٢.	١٠٥
٤٠	(إِنَّ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ)	من سورة النمل الآية: ٧٦.	١١٤
٤١	(لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ)	من سورة يس من الآية: ٦.	١١٤
٤٢	(ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَـٰبُ)	من سورة البقرة من الآية: ٢.	١١٥
٤٣	(وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا	من سورة الشورى من الآية: ٧.	١١٥
٤٤	(وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ)	من سورة المؤمنون الآية: ١٢.	١١٧
٤٥	(ثُمَّ أَنشَأۡنَـٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ)	من سورة المؤمنون من الآية: ١٤.	١١٧
٤٦	(لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَـٰذَآۙ)	من سورة الأنفال من الآية: ٣١.	١١٨
٤٧	(وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ)	من سورة النحل من الآية: ٨٦.	١١٩
٤٨	(يُحۡىِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ)	من سورة الحديد من الآية: ١٧.	١٢٠
٤٩	(يُسۡقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٍ فِى ٱلۡأُكُلِۚ)	من سورة الرعد من الآية: ٤.	١٢٤
٥٠	(سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ)	من سورة النحل من الآية: ٨١.	١٢٥
٥١	(هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ)	من سورة البقرة من الآية: ٢.	١١٥

٥٢	(وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ)	من سورة الأعراف من الآية: ٢٨.	١٢٨
٥٣	(لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ)	من سورة الفرقان من الآية: ٢١.	١٣٨
٥٤	(فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ)	من سورة الدخان من الآية: ٣٦.	١٣٨
٥٥	(وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ)	من سورة الجن من الآية: ٦.	١٥٣
٥٦	(إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ)	من سورة يوسف من الآية: ٥٣.	١٥٤
٥٧	(فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم)	من سورة النساء من الآية: ٣.	١٥٤
٥٨	(ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ)	من سورة البقرة من الآية: ١٥.	١٥٤
٥٩	(فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ)	من سورة المطففين الآية: ٣٤.	١٥٤
٦٠	(يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ)	من سورة الرحمن الآية: ٢٢.	١٥٥
٦١	(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ)	من سورة الأعراف من الآية: ٣٧.	١٥٦
٦٢	(وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ)	من سورة الحجر من الآية: ٦٦.	١٥٦
٦٣	(وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ ....)	من سورة إبراهيم من الآية: ٤٢.	١٥٧
٦٤	(ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ)	من سورة فصلت من الآية: ٤٠.	١٥٩

٦٥	(فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)	من سورة التحريم من الآية: ٤.	١٧٠
٦٦	(فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ)	من سورة النساء من الآية: ١٦٠.	١٩٥
٦٧	(هَلُمَّ إِلَيْنَا)	من سورة الأحزاب من الآية: ١٨.	١٧٨
٦٨	(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ)	من سورة البقرة من الآية: ١١٤.	١٨٨
٦٩	(لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا)	من سورة الإسراء من الآية: ٩٠.	١٨٨
٧٠	(أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا)	من سورة الإسراء من الآية: ٩٢.	١٨٨
٧١	(أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا)	من سورةالإسراء من الآية: ٩٢.	١٨٨
٧٢	(وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا)	من سورة الفتح من الآية: ٢٠.	١٩١
٧٣	(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ)	من سورة الكوثر الآية: ٢.	١٩٢
٧٤	(ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)	من سورة يونس الآية: ١٤.	١٩٥

فهرس الأحاديث

فهرس الأشعار

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والملل والفرق والقبائل

أولا: المصادر المخطوطة

- المخطوطة أ : وهي من مكتبة مهرشاه سلطان إسطنبول-تركيا. تحمل رقم ١٣، وقد كتبت سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة.
- المخطوطة ب : وهي من مكتبة نور عثمانيه إسطنبول- تركيا، وهي نسخة لم يذكر عليها تاريخ نسخها.
- المخطوطة جـ : وهي من مكتبة حاجي محمود أفندي، وقد كتبت سنة ١٢١٦هـ.
-

ثانيا: المصادر والمراجع المطبوعة

- ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ) **أسد الغابة في معرفة أسماء الصحابة**، دار الفكر/بيروت، ١٩٨٩م.
- ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ) **الكامل في التاريخ**، دار صادر/بيروت، ١٩٦٦م.
- ابن الأثير: مجد الدين بن السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي.
- الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ) **تهذيب اللغة**، تحقيق: د. عبد الحليم النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الأصفهاني، أبو نعيم: أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الأصفهاني: علي بن الحسين أبوفرج (ت ٣٥٦هـ) **الأغاني**، دار الثقافة/ بيروت ١٩٥٥م.
- الآلوسي: شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) **روح المعاني**، ط:٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
- ابن الأنباري: **نزهة الألباء في طبقات الأصفياء**، تحقيق محمد أبو الفضل دار دار نهضة، مصر القاهرة.
- أنور أربا، **تفسير ابن كمال باشا (سورة هود ويوسف والرعد)**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤.
- البخاري : إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ) **صحيح البخاري**، دار الجيل، بيروت.

- البغدادي: عبد القادر بن عمر (١٩٠٣هـ) **خزانة الأدب ولب لسان العرب**، تحقيق/عبد السلام هارون، ط:٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩.
- البناء: أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي (ت١١١٧هـ)، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر**، تصحيح/علي محمد الطباع، دار الندوة الجديدة/بيروت.
- البيضاوي: ناظر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت٦٥٨هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضواي**، دار الجليل.
- البيهقي: أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ) **دلائل النبوة ومعرفة أصحاب الشريعة**، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- تحسين أحمد، **تفسير ابن كمال باشا، دراسة وتحقيق من خلال سورتي التوبة ويونس**، رسالة جامعية، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤م.
- الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ) **الجامع الصحيح**، دار الفكر ١٩٨٨م.
- تغريد تايه، **تفسير ابن كمال باشا دراسة وتحقيق من خلال سور (إبراهيم والحجر والنحل والإسراء)**، رسالة جامعية، الجامعة الأردنية، ١٩٩٦م.
- التميمي: تقي الدين بن عبد القادر الداري (ت ١٠٠٥هـ) **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، ١٩٧٠.
- ابن الجزري: شسم الدين محمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٣٣هـ) **النشر في القراءات العشر**، تصحيح محمد أحمد دهمان، مطبعة التوفيق، ١٣٤٥هـ.
- ابن جزيّ: محمد بن أحمد الكلبي (ت ٧٤١هـ) **التسهيل لعلوم التنزيل**، ط:٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣م.
- جميل بن مصطفى بن محمد بن العظم (ت ١٣٥٢هـ) **عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فسائة فأكثر**، المطبعة الأهلية، بيروت، ١٣٢٦هـ.
- ابن جني: عثمان بن جنّي (٣٩٢هـ) **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات**، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي، المجلي الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٩م.
- الجوهري: إسماعيل بن حمد (ت ٣٩٣هـ) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط:٣، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.
- ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) **كتاب الجرح والتعديل**، ط:١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٦٠هـ.
- حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، وكالة المعارض، ١٩٤٣م.
- الحاكم: محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) **المستدرك على الصحيحين في الحديث**، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.

- ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) **الإصابة في تمييز الصحابة**، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٣٧م.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العبقلاني (ت ٨٥٢هـ) **الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف**، ضبط وترتب مصطفى حسين أحمد، ط:٣، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٧م.
- ابن حنبل: أحمد ابن حنبل (ت ٢٤١هـ) **المسند**، مؤسسة قرطبة.
- ابن خالويه: حسينبن أحمد (ت ٣٧٠) **مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع**، يشر ج. برجستراسر، دار الهجرة.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) ، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٤٩هـ، ١٩٣١م.
- ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر/بيروت.
- الذهبي: شسم الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنووط، وحسين الأسد، ط:١، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.
- الذهبي: شسم الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) **معرفة القراء الكبار**، تحقيق بشار عود معروف، وشعيب الأرنووط، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٩٨٤م.
- الرازي: فخر الدين محمد بن حسن بن حسين التيمي البكري (ت ٦٠٦هـ) **مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير**، ط:٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الراغب الأصفهاني: حسين بن محمد (٥٠٢هـ) **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق أحمد خلف الله، مكتبة الهجلو المصرية.
- الرماني: علي بن عيسى (ت ٣٨٦هـ) **النكت في إعجاز القرآن**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.
- رمضان شاش، **فهرس مخطوطات مكتبة كوبرلي**، مكتبة وفق الديانة، أنقرة، ١٩٨٦م.
- الزبيدي، محمد بن محمد مرتضى الحسين (ت ١٢٠٥هـ) **تاج العروس من جواهر القاموس**، مطبعة حكومة الكويت.
- الزجاج: إبراهيم بن السري (٣١١هـ) **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط:١، عالم الكتب، ١٩٨٨م.
- الزركلي: خير الدين (ت ١٣٩٦هـ) **الأعلام**، ط:٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) **الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط:١، دار الفكر، ١٩٨٣م.

- السجستاني، أبو داود: سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ) **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية.
- أبو السعود: محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي**، بيروت.
- السمين الحلبي: أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦هـ) **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق أحمد محمد الخراط، ط:١، دار القلم، دمشق، ١٤٠٨هـ.
- سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) **الكتاب**، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، ١٣١٦هـ.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ط:١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) **لباب النقول في أسباب النزول**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٤م.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- الشهاب: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩هـ) **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي**، دار صادر بيروت.
- الشهرستاني: عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ) **الملل والنحل**، (بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، (ت ٤٥٦هـ)
- ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر الكوفي، (ت ٢٣٥هـ) **المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق مختار أحمد الندوي، ط:١، ١٩٨١م، الدار السلفية، الهند.
- طاشكبري زاده : أحمد بن مصطفى (ت٩٦٨هـ) **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٥م.
- ابن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) **التبصرة في القراءات**، تحقيق محي الدين ومضان، ط:١، نشر معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٥م.
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الطبري: محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق وتخريج محمود شاكر، دار المعارف، مصر.

- عباس: فضل حسن عباس، (٢٠١٠م) **البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني**، ط:١، عمان ، ١٩٨٩م.
- عباس: فضل حسن عباس (٢٠١٠م) **البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع**، ط:١، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٧م.
- ابن عبد البر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٣٤هـ) **الأمثال**، حققه؛ د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ) **التيسير في القراءات السبع**، مطبعة الدولة، اسطنبول، ١٩٣٠م.
- العكبري: عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت ٦١٦هـ) **إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن**، تحقيق إبراهمي عطوه عوض، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م.
- عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، المكتبة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٩، بيروت.
- عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، بيروت.
- ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله بن مالك أبو عبد الله محمد جمال الدين (ت٧٦٩هـ) **شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط:١٥، دار اتحاد العربي للطباعة ١٩٦٧م.
- الغزي: نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ) **الكواكب السائرة**، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩.
- الفراء: يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ) **معاني القرآن**، تحقيق محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الفراء: همام بن غالب بن صعصعة الدارمي (ت ٢٠٧هـ) **معاني القرآن**، تحقيق محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الفيروز آباد: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) **القاموس المحيط**، دار الجيل، بيروت.
- ابن قتيبة: محمد بن عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) **تفسير غريب القرآن**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابلي الحلبي.
- ابن قتيبة: محمد بن عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) **الشعر والشعراء**، دار الثقافة، ط:٣، ١٩٨٠م، بيروت.

- القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ) **الجامع لأحكام القرآن**، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.
- الكازوري: أبو الفضل القرشي الصديقي الخطيب، **حاشية الكازوري على تفسير البيضاوي**، دار صادر،بيروت.
- ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٤هـ) **تفسير القرآن العظيم**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- الكسائي: علاء الدين بن مسعود (ت ٥٨٧هـ) **بدائع الصنائع وترتيب الشرائع**، الطبعة الثانية، دار الكتب العربي، ١٩٨٢م.
- لبيد بن ربيعة: **ديوان لبيد بن ربيعة**، حققه وقدم له إحسان عباس، التراث العربي، الكويت، ١٩٦٢.
- اللكنوي: محمد عبد الحي بن محمد (ت١٣٠٤هـ) **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، مكتبة ندوة المعارف، ١٩٦٧، الهند.
- ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) **سنن بان ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
- ابن مجاهد: أحمد بن موسى بن العباس التميمي (ت ٣٢٤هـ) **كتاب السبعة في القراءات**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر.
- محيي الدين الدرويش اليمامة، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، دار ابن كثير للطباعة والنشر.
- مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) **صحيح مسلم**، ط:٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ) **لسان العرب**، دار صادر، ١٩٥٥م.
- مؤسسة آل البيت: **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط**، عمان ١٩٨٩م.
- ميادة الرماح بن أبرد: **شعر ابن ميادة**، جمع وتحقيق: محمد نايف الهديمي، مطبعة الجمهورية، الموصل.
- ميساء بدر الدين، **تفسير ابن كمال باشا دراسة وتحقيق من خلال سور (الأنبياء والحج والمؤمنون والنور)** رسالة جامعية، الجامعة الأردنية، ١٩٩٦م.
- النسائي: أحمد بن علي (ت ٣٠٣هـ) **سنن النسائي الكبرى بشرح السيوطي**، ترقيم عبد الفتاح أبي غدة.
- نوح الربابعة، **تفسير ابن كمال باشا سورتي الفاتحة والبقرة، دراسة وتحقيق وتعليق**، رسالة جامعية، الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م.
- النووي: محيي الدين بن شرف (٦٧٦هـ) **صحيح مسلم بشرح النووي**، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.

- ابن هشام: عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ) **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وأخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن هشام: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، دار الجيل، ط:٥، بيروت.
- ابن هشام: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي، ط:٦، دار الفكر، ١٩٨٥م.
- الواحدي: علي بن أحمد النيسابوري (٤٦٨هـ) **أسباب النزول**، ط:١، ١٩٥٩م.
- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ) **معجم الأدباء**، دار إحياء التراث، بيروت.
- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ) **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت.

المراجع باللغة التركية

١. Abdulkadir Altınsu, Osmanlı Şeyhulislamları, Ayyıldız matbaası, Ankara, ١٩٧٤.

(عبد القادر آلطينسو، شيوخ الإسلام العثمانية، مطبعة آي يلديز، أنقرة، ١٩٧٤.)

٢. Prof. Dr. Ahmet Uğur, İbn-i Kemal, kültür ve turizm bakanlığı yayınları: ٨٢٢.

(أ.د. أحمد أغور، إبن كمال، وزارة الثقافة والسياحة، ٨٢٢.)

٣. Doç. Dr. M. A. Yekta Saraç, Şeyhülislam Kemal Paşazade; hayatı, şahsiyeti, eserleri ve bazı şiirleri, risale yayınları.

(أ.د. م. يكتا سراج، شيخ الإسلام كمال باشا زاده: حياته، شخصيته، مؤلفاته وبعض أشعاره، نشريات الرسالة.)

٤. Mustafa Kılıç, İbni Kemal ve Tefsirindeki Metodu, Erzurum, ١٩٨١

(مصطفى كيليج، ابن كمال ومنهجه في تفسيره، أرضورون، ١٩٨١.)

٥. İslam Ansiklopedisi, M.E.B. Istanbul maarif basımevi, ١٩٥٥

(الموسوعة الإسلامية، وزارة التربية، ١٩٥٥)

٦. Yrd. Doç. Dr. Sayın Dalkıran,İbn-i Kemal ve Düşünce tarihimiz, Osmanlı araştırmaları vakfı, ١٩٨٤

(أ.د. سايين دالكران، ابن كماب و تاريخنا الفكري، وقف البحوث العثمانية، ١٩٨٤)

٧. Şarkiyat Mecmuası sayısı, ٦. İstanbul, ١٩٦٦ sayı ٧, İstanbul. ١٩٧٧.

(مجموعة "رقيات"، العدد ٦، إسطنبول، ١٩٦٦)

٨. Şeyhulislam ibn kemal paşa, T.D.V. yay, ٢ baskı Ankara ١٩٨٩.

(شيخ الإسلام ابن كمال باشا، T.D.V، أنقرة)

٩. محمد طاهر بورسلي، عثمانلي مؤلفلري، مطبعة عامره، إسطنبول، ١٣٣٣هـ.

The Interpretetaion Of The Holy Quran by Ibn Kamal Basha. Sura Al-An`am: A Study and Adition

By

Menduh Yıldırım

Supervisor

Dr Yasen Ayesh Prof

ABSTRACT

The thesis contains a study and Edition of Sura: Al-An`am and its exegesis by Ibn Kamal Basha (d. ٩٤٠ h.)

The thesis is divided into two main parts:

The First Part:

A brief study of the author`s life. I succinctly talked about his name and his birth and date of birth. I also talked about his scholarly life, his mentors and sheikhs, his disciples and students, in addition to some information regarding his works and books. Then I endeavored to highlight the value of the book, and the methodology adopted by the author in the exegesis, in addition to my commentary on it the part of the exegesis I chose to study in this thesis.

The Second Part:

This part includes a study of the exegesis of Sara Al-An'am, in which I relied on two editions for the purpose of comparison and contrast, proofreading the text and using the necessary punctuation as to eliminate any possible ambiguities and to calrify and problematic sentences. I also revised the resources and I compared between the points of Ibn Kamal and other scholars. I documented the traditions of prophet Muhammad peace be upon him, verses of poetry cited in the text, and I punctuated the Quranic verses, and documented them. This section also includes comprehensive indexes Quranic verses, traditions of Prophet Muhammad, verses of poetry, biographies, and references.